كِتَابٌ فيه الرِّسَالَةُ

المَعْرُوفَةُ بطَوْقِ الحَمَامَةِ في الأُلْفَةِ والأُلَّافِ

تَأْليفُ ابي مُحَمَّدٍ علىّ بن حَزْم الانَدلُسىّ

عَفَا اللَّهُ عنه وغَفَرَ لَهُ

وللمُسْلِمِينَ

طبع بمطبعة بريل في مدينة ليدن

سنة ١٩١٤م

باسم الله الرّحمن الرّحيم وبه أستعين 1b

قال ابو محمّد عفا الله عنه أفضلُ ما ابتدى بــه حمد الله عزّ وجلّ بما هو اهله ثم الصلاة على محمّد عبده ورسوله خاصّة وعلى جميع انبيايــه عامّة. وبعد عصمنا الله وإياك من الحيرة ولا حمّلنا ما لا طاقة لنا به وقيّض لنا من جميل عونه دليلا هاديا الى طاعته و وهبنا من توفيقه أَدبًا(؟) صارفا ٥ عن معاصيه ولا وكلنا الى ضعف عزايمنا وخور قوانا و وهاءِ بِنْيَتنا[1] وتلدّد ارايناا[2] وسوءِ اختيارنا وقلّة تمييزنا وفساد اهوآينا فانّ كتابك وردنى من مدينة المريّة الى مسكنى بحضرة شَاطِبَةَ تذكر من حسن حالك ما يسرّنى وحمدت الله عزّ وجلّ عليه واستدمته لك واستزدته فيك ثم لم البث أن اطلع على شخصك وقصدتَنى بنفسك على بعد الشقّة وتناءى الديار وشحط المزار ١٠ وطول المسافة وغول الطريق وفى دون هذا مـا سلّى المشتاق و نسّى الذاكر الاّ من تمسّك بحبل الوفاء مثلك و رعى سالف الاذمّــة و وكيد المودّات وحقّ النشأة ومحبّة الصبى وكانت مودّته لله تعالى ولقد اثبت الله بيننا من ذلك ما نحن عليه حامدون وشاكرون. وكانت مغازيك فى كتابك 2a زايدة على ما عهدتُه من ساير كتبك ثم كشفتَ الىّ باقبالك غرضك واطلعتنى ١٥ على مذهبك سجيةً لم تزل علينا من مشاركتك لى فى حلوك ومرّك وسرّك وجهرك يحدوك الودّ الصحيح الذى انا لــك على اضعافه لا ابتغى جزآءً غير مقابلته بمثله. وفى ذلك اقول مخاطبا لعبيد الله بن عبد الرحمن بن المغيرة ابن امير المومنين الناصر رحمه الله فى كلمة لى طويلة وكان لى صديقا ١٩

(1) Leçon proposée par M. Snouck Hurgronje; dans le MS peu lisible.

(2) MS آرآينا.

أَوَدُّكَ وُدًّا لَيْسَ فيه غَضَاضَةٌ * وبَعْضُ مَوَدَّاتِ الرِجالِ سَرَابُ
وأَمْحَضْتُكَ النُصْحَ الصَرِيحَ وفى الحَشَى * لوُدِّكَ نَقْشٌ ظاهِرٌ وكِتَابُ
فَلَوْ كَانَ فى رُوحِي هَوَاكَ اقتَلَعتُهُ * ومُزِّقَ بالكَفَّيْنِ عَنْهُ إِهَابُ
ومَا لِيَ غَيْرُ الوُدِّ مِنْكَ إرَادَةٌ * ولاَ فى سِوَاهُ لى إلَيكَ خطابُ
إِذَا حُزْتُهُ فالأَرْضُ جَمْعَاءُ والوَرَى * هَبَاءٌ وسُكَّانُ البِلاَدِ ذُبَابُ ٥

وكَلَّفتنى اعزّك الله ان اصف لك رسالة فى صفة الحبّ ومعانيه واسبابه واعراضه وما يقع فيه وله على سبيل الحقيقة لا متزيّدا ولا مفنّنا لكن موردا لما يحضرنى على وجهه وبحسب وقوعه حيث انتهى حفظى وسعة باعى فيما اذكره فبدرت الى مرغوبك ولولا الإيجاب لك لما تكلّفتُه فهذا من الفقر والاولى بنا مع قصر اعمارنا ألّا نصرفها الّا فيما نرجو به رحب المنقلب ١٠ 2b
وحسن المآب[1] غدًا وان كان القاضى حمّام بن احمد حدّثنى عن يحيى ابن مالك عن عائذ[2] باسناد يرفعه الى ابى الدرداء انّه قال أَجِمُّوا النفوسَ بشىء من الباطل ليكون عونا لها على الحقّ ومن بعض اقوال الصالحين من السلف المرضىّ من لم يحسن يتفتّى لم يحسن يتقوّى وفى بعض الاثر أَرِيحُوا النفوسَ فانّها تَصدأ كما يَصدأ[3] الحديد والذى كلّفتنى فلا بدّ ١٥
فيه من ذكر ما شاهدته حضرتى وادركته عنايتى وحدّثنى به الثقات من اهل زمانى فاغتفر لى الكناية عن الاسماء فهى إمّا عورة لا نستجيز كشفها وإما نحافظ في ذلك صديقا ودودا ورجلا جليلا وبحسبى ان اسمّى من لا ضرر فى تسميته ولا يلحقنا والمسمّى عيب فى ذكره إمّا لاشتهار لا يُغْنِي عنه الطىّ وترك التبيين وإمّا لرضى من المختبر عنه بظهور ٢٠
خبره وقلّة إنكار منه لنقله وسأورد فى رسالتى هذه اشعارا قلتُها فيما شاهدته فلا تنكر انت ومن رآها على انّى سالك فيها مسلك حاكى الحديث عن نفسه فهذا مذهب المتحلّين بقول الشعر واكثر ذلك ٢٢

(1) MS المآب. (2) MS عايد. (3) MS تصدا كما يصدا; dans le texte leçon proposée par M. Snouck Hurgronje.

فانّ اخوانى يجشمونى القول فيما يعرض لهم على طرايقهم ومذاهبهم و كفانى
انّى ذاكر لك ما عرض لى مما يشاكل مــا نحوت نحوه وناسبه الىّ والتزمت
3a فى كتابى هذا الوقوف عند حدّك والاقتصار على ما رأيت اوضح عندى
بنقل الثقات و دعنى من أخبار الاعراب والمتقدّمين فسبيلهم غير سبيلنا
وقد كثرت الاخبار عنهم وما مذهبى ان أُنْضى مطيّة سواى ولا أتحلّى ٥
بحليٍ[1] مستعار والله المستغفر والمستعان لاربّ غيره بَابٌ وقسمتُ رسالتى
هذه على ثلاثين بابا منها فى أصول الحبّ عشرة فاوّلهــا هــذا الباب فى
علامات الحبّ ثم باب فيه ذكر من احبّ فى النوم ثم باب فيه ذكر من
احبّ بالوصف ثم باب فيه ذكر من احبّ من نظرة واحدة ثم باب فيه
ذكر من لا تصحّ محبّته إلّا مع المطاولة ثم باب التعريض بالقول ثم بــاب ١٠
الاشارة بالعين ثم باب المراسلــة ثم باب السفير ومنها فى أعراض الحبّ
وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر بابا و ان كان الحبّ عرضا والعرض
لا يحتمل الأعراض وصفة والصفة لا توصف فهذا على مجاز اللغة فى اقامة
الصفة مقام الموصوف وعلى معنى قولنا و وجودنــا عرضا اقلّ فى الحقيقة
من عرض غيره واكثر واحسن واقبح فى ادراكنا لها علمنــا انهــا متباينة ١٥
3b فى الزيادة والنقصان من ذاتها المرئيّة والمعلومة اذ لا تقع فيهــا الكمّيّة
ولا التجزّى لانّها لا تشغل مكانا وهى باب الصديق المساعد ثم باب
الوصل ثم باب طىّ السرّ ثم باب الكشف والاذاعة ثم باب الطاعة ثم باب
المخالفة ثم باب من احبّ صفة لم يحبّ بعدها غيرها مما يخالفها ثم باب القنوع
ثم باب الوفاء ثم باب الغدر ثم باب الضنى[2] ثم باب الموت ومنها فى الآفات ٢٠
الداخلــة على الحبّ ستــة ابواب وهى باب العاذل ثم باب الرقيب ثم
باب الواشى ثم باب الهجر ثم باب البين ثم باب السلوّ من هــذه الابواب
الستة بَابانِ[3] لكل واحد منهما ضدّ من الابوابــ المتقدّمــة الذكر وهو
باب العاذل وضدّه باب الصديق المساعد بابــ الهجر وضدّه باب ٢٤

---

(1) MS بحلى. (2) MS الضنا. (3) MS بان.

الوصل ومنها اربعة ابواب لا ضدّ لها من معانى الحبّ وهى باب الرقيب
وباب الواشى ولا ضدّ لهما إلّا ارتفاعهما وحقيقة الضدّ ما اذا وقع ارتفع
الاوّل و ان كان المتكلّمون قد اختلفوا فى ذلك ولولا خوفُنا اطالة الكلام
فيما ليس من جنس الكتاب لتقصّيناه وباب البين وضدّه تصاقب الديار
وليس التصاقب من معانى الحبّ التى نتكلّم فيها وباب السلوّ ضدّه الحبّ ٥
4a بعينه اذ معنى السلوّ ارتفاع الحبّ وعدمُه ومنها بابان ختمنا بهما الرسالة
وهما باب الكلام فى قبح المعصية وباب فى فضل التعفّف ليكون خاتمة
ايرادنا وآخر كلامنا الحضّ على طاعة الله عزّ وجلّ والامر بالمعروف
والنهى عن المنكر فذلك مفترض على كلّ مؤمن لكنّا خالفنا فى نسق
بعض هذه الابواب هذه الرتبة المقسّمة فى درج هذا الباب الذى هو ١٠
اوّل ابواب الرسالة فجعلناها على مباديها الى منتهاها واستحقاقها فى
التقدّم والدرجات والوجود ومن اوّل مراتبها الى آخرها وجعلنا الضدّ
الى جنب ضدّه فاختلف فى المساق فى ابواب يسيرة والله المستعان
وهيّأتها فى الايراد اوّلها(١) هذا الباب الذى نحن فيه وفيه صدر الرسالة
وتقسّم الابواب والكلام فى مائيّة الحبّ ثم باب علامات الحبّ ثم باب ١٥
من احبّ بالوصف ثم باب من احبّ من نظرة واحدة ثم باب من لا يحبّ
إلا مع المطاولة ثم باب من احبّ صفة لم يحبّ بعدها غيرها مما يخالفها ثم
باب التعريض بالقول ثم باب الاشارة بالعين ثم باب المراسلة ثم باب
السفير ثم باب طىّ السرّ ثم باب اذاعته ثم باب الطاعة ثم باب المخالفة
ثم باب العاذل ثم باب المساعد من الاخوان ثم باب الرقيب ثم باب ٢٠
4b الواشى ثم باب الوصل ثم باب الهجر ثم باب الوفاء ثم باب الغدر ثم باب
البين ثم باب القنوع ثم باب الضنى ثم باب السلوّ ثم باب الموت ثم باب
قبح المعصية ثم باب فضل التعفّف ٢٣

(١) MS ولهذا ولها.

الكلام في مائيّة(١) الحبّ

الحبّ اعزّك الله اوّله هزل و آخره جدّ دقّت معانيه لجلالتها عن ان
توصف فلا تدرك حقيقتها الاّ بالمعاناة وليس بمنكر فى الديانة ولا بمحظور
فى الشريعة اذْ القلوب بيد الله عزّ وجلّ. وقد احبّ من الخلفآء المهديّين
والأئمّة(٢) الراشدين كثير منهم باندلسنا عبد الرحمن بن معاوية لدَعْجَآء ه
والحكم بن هشام وعبد الرحمن بن الحكم وشغفه(٣) بطروب امّ عبد الله ابنه
اشهر من الشمس ومحمّد بن عبد الرحمن و امره مع غزلان امّ بنيه عثمان(٤)
والقاسم والمطرّف معلوم والحكم المستنصر وافتتانه بصبح امّ هشام المويّد
بالله رضى الله عنه وعن جميعهم وامتناعه عنْ التعرّض للولد من غيرها
ومثل هذا كثير ولولا انّ حقوقهم على المسلمين واجبة وانّما يجب ان نذكر ١٠
من اخبارهم ما فيه الحزم وإحيآء الدين وانّما هو شىءٌ كانوا ينفردون به فى
قصورهم مع عيالهم فلا ينبغي الاخبار به عنهم لأوردت من اخبارهم فى هذا
5a الشأن غير قليل وأمّا كبار رجالهم ودعايم دولتهم فاكثر من ان يُحصوا
واحدث ذلك ما شاهدناه بالامس من كلف المظفّر بن عبد الملك بن
ابى عامر بواحد بنت رجل من الجبانين حتى حمله حبّها ان يتزوّجها وهى ١٥
التى خُلف عليها بعد فنآء العامر بن الوزير عبد الله بن مسلمة ثم تزوّجها
بعد قتله رجل من رؤسآء البربر وممّا يشبه هذا انّ ابا العيش بن ميمون
القرشىّ الحسينىّ اخبرنى انّ نزار بن معد صاحب مصر لم ير ابنه منصور بن
نزار الذى ولى الملك بعده وادّعى الالاهيّة الاّ بعد مدّة من مولده مساعدة لجارية
كان يحبّها حبّا شديدا هذا ولم يكن له ذكرٌ ولا من يرث ملكه و يُحيى ذكره ٢٠
سواه ومن الصالحين والفقهآء فى الدهور الماضية والازمان القديمة من قد
اُستغنى باشعارهم عن ذكرهم وقد ورد من خبر عبيد الله بن عبد الله بن
عتبة بن مسعود وشعره ما فيه الكفاية وهو احد فقهآء المدينة السبعة و قد ٢٢

(١) Dans le MS par une seconde main corrigé en ماهية.

(٢) MS وإية (٣) MS شغف (٤) MS عثمن

جآء من فُتْيَا ابن عبّاس رضى الله عنه ما لا يحتاج معه الى غيره حين يقول
هذا قتيل الهَوَى لاعَقْلَ ولاقَوَدَ وقد اختلف الناس فى مائيّته وقالوا
واطالوا والذى اذهبُ اليه انّه اتّصال بين أجزآء النفوس المقسومة فى
هذه الخليقة فى اصل عنصرها الرفيع لا على ما حكاه محمّد بن داود
5b رحمه الله عن بعض اهل الفلسفة الارواح أُكَرٌ مقسومة لكن على سبيل ٥
مناسبة قواها فى مقرّ عالمها العلوى ومجاورتها فى هيئة[1] تركيبها وقد علمنا
انّ سرّ التمازج والتباين فى المخلوقات انّما هو الاتّصال والانفصال
والشكل دأبا يستدعى شكله والمثل الى مثله ساكن وللمجانسة عمل محسوس
وتأثير مشاهد والتنافر فى الاضداد والموافقة فى الانداد والنزاع فيما تشابه
موجود فيما بيننا فكيف بالنفس وعالمها العالم الصافى الخفيف و جوهرها ١٠
الجوهر الصعاد المعتدل وسنخها المهيّأ لقبول الاتّفاق والميل والتوق
والانحراف والشهوة والنفار كلّ ذلك معلوم بالحضرة فى احوال تصرّف الانسان
فيسكن اليها والله عزّ وجلّ يقول هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق
منها زوجها ليسكن اليها[2] فجعل علّة السكون انّها منه ولو كان علّة الحبّ
حسن الصورة الجسدية لوجب ألاّ يُستحسن الانقصُ من الصورة ونحن نجد ١٥
كثيرا ممن يوثر الادنى ويعلم فضل غيره ولا يجد محيدا لقلبه عنه ولو كان
للموافقة فى الاخلاق لما احبّ المرء من لا يساعده ولا يوافقه فعلمنا انّه
شىء فى ذات النفس وربّما كانت المحبّة لسبب من الاسباب وتلك تفنى
6a بفنآء سببها فمن ودّك لأمر ولّى مع انقضايه وفى ذلك اقول

وَدَادِى لك البَاقِى عَلَى حَسْبِ كَوْنه * تَنَاهَى فَلَمْ يَنْقُصْ بَشْىءٍ ولم يَزِدْ ٢٠
ولَيْسَتْ لـه غَيْرَ الإِرَادَة عِلَّـةٌ * ولا سببٌ حَاشَاهُ يَعْلَمُـهُ أَحَـدْ
إِذَامَا وَجَدْنَا الشَّىْءَ عِلَّةَ نَفْسِـه * فذَاكَ وُجُودٌ لَيْسَ يَفْنَى عَلَى الأَبَدْ
وإِمَّا وَجَدْنَاه لشَىْءٍ خِلاَفَـهُ * بإِعْدَامِه فى عُدْمِنـا مَا لَهُ وَجَدْ

ومِمّا يُؤَكّدُ هَذَا القَوْلَ انّنا قد علمنا انّ المحبّة ضروب فافضلها محبّة المُتحابّين ٢٤

(١) MS هييه.
(٢) 7, 189.

فى الله عزّ وجلّ إِمَّا لِاجتهاد في العمل وإِمَّا لاتّفاق فى اصل النحلة والمذاهب
وإِمَّا لفضل علمٍ يَمْتَحِنُه[1] الانسان ومحبّة القرابة ومحبّة الالفة والاشتراك فى
المطالب ومحبّة التصاحب والمعرفة ومحبّة لبرّ يضعها المرء عند اخيه ومحبّة
لطمع فى جاه المحبوب ومحبّة المتحابّين لسرّ يجتمعان عليه يلزمهما سترُه ومحبّة
لبلوغ اللذّة وقضاء الوطر ومحبّة العشق التى لا علّة لها إلّا ما ذكرنا من ٥
اتّصال النفوس وكل هذه الاجناس فمنقضية مع انقضاء عللها وزايدة بزيادتها
وناقصة بنقصانها متأكّدة بدنوّها فاترة ببعدها حاشى محبّة العشق الصحيح
الممكن من النفس فهى التى لا فناء لها الّا بالموت وانّك لتجد الانسان السالى
6b بزعمه و ذا السِنّ المتناهية اذا ذكّرته تذكّر و ارتاح وصبا واعتاده الطرب
واهتاج له الحنين ولا يعرض فى شىء من هذه الاجناس المذكورة من شغل ١٠
البال والخبل والوسواس وتبدّل الغرايز المركّبة واستحالة السجايا المطبوعة
والتحوّل والزفير وساير دلايل الشجا ما يعرض فى العشق فصحّ بذاك انّه
استحسان روحانى وامتزاج نفسانى فان قال قايل لو كان هذا كذلك لكانت
المحبّه بينهما مستوية اذ الجزءان مشتركان فى الاتّصال وحظّهما واحد فالجواب
عن ذلك ان نقول هذه لعمرى معارَضة صحيحة ولكنّ نفس الذى لايحبّ من ١٥
يحبّه مكتنفة الجهات ببعض الاعراض الساترة والحجب المحيطة بها من الطبايع
الارضيّة فلم تحسّ بالجزء الذى كان متّصلا بها قبل حلولها حيث هى ولو
تخلّصت لاستويا فى الاتّصال والمحبّة ونفس المحبّ متخلّصة عالمة بمكان ما
كان يشركها فى المجاورة طالبة له قاصدة اليه باحثة عنه مشتهية لملاقاته جاذبة
له لو امكنها كالمغنيطس والحديد قوّة جوهر المغنيطس المتّصلة بقوّة جوهر ٢٠
الحديد لم تَبْلُغْ من تحكّمها ولا من تصفيتها أَنْ تقصد الى الحديد على انّه
7a من شكلها وعنصرها كما انّ قوّة الحديد لشدّتها قصدت الى شكلها وانجذبت
نحوه اذ الحركة ابدًا انّما تكون من الاقوى وقوّة الحديد متروكة الذات غير
ممنوعة بحابس تطلب ما يشبهها وتنقطع اليه وتنهض نحوه بالطبع والضرورة ٢٤

(1) Leçon proposée par M. Snouck-Hurgronje; dans le MS يمتحنه.

بالاختيار والتعمّد و انت متى امسكت الحديــد بيدك لم ينجذب اذ لم يبلغ
من قوّته ايضا مغالبة الممسك له ممّا هو اقوى منه ومتى كثرت أجزاء
الحديد اشتغل بعضها ببعض و اكتفت باشكالها عن طلب اليسير من قواها
النازحة[1] عنها فمتى عظم جرم المغنيطس و وازت قواه جميع قوى جرم الحديد
عاد الى طبعها المعهود وكالنار فى الحجر لا يبرز على قوّة النار فى الاتّصال ٥
والاستدعاء لأجزائها حيث كانت الاّ بعد القدح ومجاورة الجرمين بضغطهما
واصطكاكهما والاّ فهى كامنة فى حجرها لا تبدو ولا تظهر ومن الدليل على
هذا ايضا انّك لا تجد اثنين يتحابّان الاّ وبينهما مشاكلة واتّفاق الصفات الطبيعية
لا بدّ من هذا وان قلّ وكلّما كثرت الاشباه زادت المجانسة وتأكّدت المودّة
7b فانظر هذا تراه عيانا وقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يؤكّده اَلْأَرْوَاحُ ١٠
جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ما تَعَارَفَ منها اِئْتَلَفَ وما تَنَاكَرَ منها اِخْتَلَفَ وقول مرويّ عن
احد الصالحين ارواح المومنين تتعارف ولهذا ما اغتمّ بقراط حين وُصف له
رجل من اهل النقصان يحبّه فقيل له فى ذلك فقال مــا احبّنى الاّ وقد
وافقتُه فى بعض أخلاقه وذكر افلاطون انّ بعض الملوك سجنه ظلما فلم يزل
يحتجّ عن نفسه حتى اظهر براءته وعلم الملك انّه له ظالم فقال لــه وزيره ١٥
الذى كان يتولّى ايصال كلامه اليه ايّها الملك قد استبان لك انّه بريّ
فما لك وله فقال الملك لعمرى ما لى اليه سبيل غير انّى اجد لنفسى استثقالا
لا أدرى ما هو فأدّى ذلك الى افلاطون قال فاحتجت ان افتش فى نفسى
و اخلاقى شيئا اقابل به نفسه واخلاقه ممّا يشبهها فنظرت فى اخلاقه فاذا
هو محبّ للعدل كاره للظلم فميّزت هذا الطبع فيّ فما هو الاّ ان حركت هـذه ٢٠
الموافقة وقابلت نفسه بهذا الطبع الذى بنفسه فأمر باطلاقى وقال لوزيره قد
انحلّ كل ما اجد فى نفسى له وأمّا العلّة التى توقع الحبّ ابدًا فى اكثر الامر
على الصورة الحسنة الظاهر انّ النفس حسنة تولع بكل شىء حسن وتميل الى
8a التصاوير المتقنة فهى اذا رأت بعضها تثبّتت فيه فان ميّزت وراءها شيئا ٢٤

(1) MS النارحة.

من أشكالها اتّصلت وصحّت المحبّة الحقيقيّة وان لم تميّز وراءها شيئا من أشكالها لم يتجاوز إحبابها الصورة و ذلك هو الشهوة و انّ للصور لتوصيلا عجيبا بين أجزاء النفوس النائية وقرأت فى السفر الاوّل من التوراة انّ النبىّ يعقوب عليه السلم ايام رعيه غنما لابن خاله مهرا لابنته شارطه على المشاركة فى انسالها فكل بهيم ليعقوب وكل اغرّ للابان فكان يعقوب عليه السلم يعمد الى قضبان ٥
الشجر يسلخ نصفا ويترك نصفا بحاله ثم يلقى الجميع فى المآء الذى ترده الغنم ويتعمّد إرسال الطروقة فى ذلك الوقت فلا تلد الّا نصفين نصفا بهمًا ونصفا غرًّا وذكر عن بعض القافة انه أُتى بابن اسود لابيضين فنظر الى اعلامه فرآه لهما غير شكّ فرغب ان يوقف على الموضع الذى اجتمعا عليه فأُدخل البيت الذى كان فيه مضجعهما فرأى فيما يوازى نظر المرأة صورة ١٠
اسود فى الحائط فقال لابيه من قبل هذه الصورة أُتيت فى ابنك وكثيرا ما يصرف شعرآء اهل الكلام هذا المعنى فى اشعارهم فيخاطبون المرئىّ[1] فى الظاهر خطاب المعقول الباطن وهو المستفيض فى شعر النظام ابرهيم بن سيّار 8b
وغيره من المتكلّمين و فى ذلك اقول شعرا منه

مَا عِلَّةُ النَصْرِ فى الأَعْدَاءِ تَعْرِفُهَا * وَعِلَّةُ الفَرِّ مِنْهُمُ إنْ يَفِرُّنَا ١٥
إلاَّ نِزَاعُ نُفُوسِ النَاسِ قَاطِبَةً * إلَيكِ يا لُؤْلُؤًا فى النَاسِ مَكْنُونَا
مَنْ كُنْتِ قُدَّامَهُ لاَينْثَنِى أَبَدًا * فَهُمْ إلَى نُورِكِ الصَعَّادِ يَعْشُونَا
وَمَنْ تَكُنْ خَلْفَهُ فَالنَفْسُ تَصرِفُهُ * إلَيكِ طَوْعًا فَهُمْ دَأْبًا يَكُرُّونَا

وفى ذلك اقول

أَمِنْ عَالَمِ الأَمْلاَكِ أَنْتَ أَمْ إِنْسِىٌّ * أَبِنْ لِى فَقَدْ أَزْرَى بِتَمْيِيزِىَ العِىٌّ ٢٠
أَرَى هَيْئَةً إِنْسِيَّةً غَيْرَ أَنَّهُ * إِذَا أَعْمَلُ التَفْكِيرَ فَالجِرْمُ[2] عُلْوِىٌّ
تَبَارَكَ مَنْ سَوَّى مَذَاهِبَ خَلْقِهِ * عَلَى أَنَّكَ النُورُ الأَنِيقُ الطَبِيعِىٌّ
وَلَا شَكَّ عِنْدِى أَنَّكَ الرُوحُ سَاقَهُ * إِلَينَا مِثَالٌ فِى النُفُوسِ اتِّصَالِىٌّ
عَدِمْنَا دَلِيلاً فى حُدُوثِكَ شَاهِدًا * نَقِيسُ عَلَيه غَيْرَ أَنَّكَ مَرْئِىٌّ ٢٤

(1) MS المرفى. (2) MS الجزم.

وَلَوْلَا وُقُوعُ العَينِ فِى الكَوْنِ لَمْ نَقُلْ * سِوى أَنَّكَ العَقْلُ الرَفِيعُ الحَقِيقِىُّ

وكان بعض اصحابنا يسمّى قصيدة لى الادراك المتوهَّم منها

تَرَى كُلَّ ضِدٍّ بِـه قَائِمًا * فَكَيْفَ تَحُدُّ ٱخْتِلَافَ المَعَانِى

9a فَيَا أَيُّهَا الجِسْمُ لَا ذَا جِهَاتٍ * وَيَا عَرَضًا ثَابِتًا غَيْرَ فَانِ

نَقَضْتَ عَلَيْنَا وُجُوهَ الكَلَامِ * بِمَا هُوَ مُذْ لُحْتَ(١) بِالمُسْتَبَانِ ٥

وهذا بعينه موجود فى البغضة ترى الشخصين يتباغضان لا لمعنى ولا علة ويستثقل بعضهما بعضا بلا سبب والحبّ اعزّك الله داء عياء وفيه الدواء منه على قدر المعاملة ومقام مستلذّ وعلّة مشتهاة لا يودّ سليمها البرء(٢) ولا يتمنّى عليلها الافاقة يزيّن للمرء ما كان يأنف منه ويسهل عليه ما كان يصعب عنده حتى يحيّل الطبائع المركّبة والجبلة المخلوقة وسيأتى كل ذلك ملخّصا فى ١٠ بابه ان شاء الله خَبَرٌ ولقد علمت فتًى من بعض معارفى وقد وحل فى الحبّ وتورّط فى حبائله وأضرَّ به(٣) الوجد وانضجه الدنف وما كانت نفسه تطيب بالدعاء الى الله عزّ وجلّ فى كشف ما به ولا ينطلق به لسانه وما كان دعاؤه الّا بالوصل والتمكّن ممّن يحبّ على عظيم بلائه وطويل همّه فما الظنّ بسقيم ولا يريد فقْد سقمه ولقد جالسته يوما فرأيت من إكبابه وسوء حاله واطراقه ١٥ ما ساءنى فقلت له فى بعض قولى فرّج الله عنك فلقد رأيت أثر الكراهية فى 9b وجهه وفى مثله اقول من كلمة طويلة

وأَسْتَلِذُّ بَلَائِى فِيكَ يَا أَمَلِى * وَلَسْتُ عَنْكَ مَدَى الأَيَّامِ أَنْصَرِفُ

إِنْ قِيلَ لِى تَتَسَلَّى عَنْ مَوَدَّتِـه * فَمَـا جَوَابِى إِلَّا ٱللَّامُ وَالأَلِفُ

خَبَرٌ وهذه الصفات مخالفة لما أخبرنى به عن نفسه ابو بكر محمّد بن قاسم ٢٠ ابن محمّد القرشىّ المعروف بالشلشىّ(٤) من ولد الامام هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية انه لم يحبّ أحدا قطّ ولا أسف على إلف بان منه ولا تجاوز حدّ الصحبة والإلفة الى حدّ الحبّ والعشق منذ خُلق ٢٢

---

(١) MS لحب مد; dans le texte leçon proposée par M. Paul Kokovtzof.

(٢) MS البُر. (٣) MS واضربه. (٤) Cf. Dozy, Supplément, I, 782, 744.

بَابُ عَلَامَاتِ ٱلْحُبِّ

وللحبّ علامات يقفوها الفطن ويهتدى اليها الذكىّ فاوّلها ادمان النظر والعين باب النفس الشارع وهى المنقّبة عن سرائرها والمعبّرة لضمائرها والمعربة عن بواطنها فترى الناظر لايطرف يتنقّل بتنقّل المحبوب وينزوى بإنزوائه ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس وفى ذلك اقول شعرا منه ٥

10a فَلَيْسَ لِعَيْنِي عِنْدَ غَيْرِكَ مَوْقِفٌ * كَأَنَّكَ مَا يَحْكُونَ مِنْ حَجَرِ ٱلْبَهْتِ
أُصَرِّفُهَا حَيْثُ ٱنْصَرَفْتَ وَكَيْفَ مَا * تَقَلَّبْتُ كَالْمَنْعُوتِ فِى ٱلنَّحْوِ وَٱلنَّعْتِ

ومنها الاقبال بالحديث بما يكاد يقبل على سوى محبوبه ولو تعمّد ذلك وانّ التكلّف ليستبين لمن يرمقه فيه والانصات لحديثه اذا حدّث واستغراب كل ما يأتى به ولو انّه عين المحال وخرق العادات وتصديقه وان كذب ١٠ وموافقته وان ظلم والشهادة له وان جار واتباعه كيف سلك واىّ وجه من وجوه القول تناول ومنها الاسراع بالسير نحو المكان الذى يكون فيه والتعمّد للقعود بقربه والدنى منه واطّراح الاشغال الموجبة للزوال عنه والاستهانة بكل خطب جليل داعٍ الى مفارقته والتباطى فى الشىء عن القيام عنه وفى ذلك اقول شعرا ١٥

وَإِذَا قُمْتُ عَنْكَ لم أَمْشِ إِلَّا * مَشْىَ عَانٍ يُقَادُ نَحْوَ ٱلْفَنَآءِ
فِى مَجِيئِى إِلَيْكَ أَحْتَثُّ كَالْبَدْ * رِ إِذَا كَانَ قَاطِعًا لِلسَّمَآءِ
وَقِيَامِى إِنْ قُمْتُ كَالْأَنْجُمِ الْعَا * لِيَةِ الثَّابِتَاتِ فِى ٱلْإِبْطَآءِ

10b ومنها بهتٌ يقع وروعة تبدو على المحبّ عند رؤية من يحبّ فجأةً وطلوعه بغتةً ومنها اضطراب يبدو على المحبّ عند رؤية من يشبه محبوبه او عند ٢٠ سماع اسمه فجأةً وفى ذلك اقول قطعة منها

إِذَامَا رَأَتْ عَيْنَاىَ لَابِسَ حُمْرَةٍ * تَقَطَّعَ قَلْبِى حَسْرَةً وَتَفَطَّرَا
غَدَا لِدِمَآءِ ٱلنَّاسِ بِاللَّحْظِ سَافِكًا * وَضُرِّجَ مِنْهَا ثَوْبُهُ فَتَعَصْفَرَا

ومنها ان يجود المرء ببذل كل ما يقدر عليه ممّا كان ممتنع به قبل ذلك ٢٤

كأنّه هو الموهوب له والمسعى فى حظّه كل ذلك ليُبدى محاسنه ويُرغب فى نفسه فكم بخيل جاد وقطوب تطلّق وجبان شجع وغليظ الطبع تطرّب وجاهل تأدّب وتفل تزيّن وفقر تجمّل وذى سنّ تفتّى وناسك فتك ومصون تمسّك وهذه العلامات يكون قبل استعار نار الحبّ وتأجّج حريقه وتوقّد شعله واستطارة لهبه فأمّا اذا تمكّن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارا ٥ و الإعراض عن كل ما حضر الاّ عن المحبوب جهارا و لى أبيات جمعت فيها كثيرا من هذه العلامات منها

11a أَهْوَى الحَدِيثَ إِذَامَا كَانَ يُذْكَرُ لِي * فيه وَيَعْبَقُ لِي عَنْ عَنْبَرٍ أَرِجِ
إِنْ قَالَ لم أَسْتَمِعْ ممن يُجَالِسُنِي * إِلىَ سِوَى لَفْظَةِ المُسْتَطْرِفِ الغَنِجِ
وَلَوْ يَكُونُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مَعِي * مَا كُنْتُ مِنْ أَجْلِهِ عَنْهُ بِمُنْعَرِجِ ١٠
فَإِنْ أَقُمْ عَنْهُ مُضْطَرًّا فَإِنِّي لاَ * أَزالُ مُلْتَفِتًا والمَشْيُ مَشْيُ وَجِي
عَيْنَايَ فيه وَجِسْمِي عَنْهُ مُرْتَحِلٌ * مِثْلَ ٱلْتِفَاتِ الغَرِيقِ البَرَّ فى اللُّجَجِ
أَغَصُّ بالمَاءِ إِنْ أَذْكُرْ تَبَاعُدَهُ * كَمَنْ تَثَاءَبَ وَسْطَ النَّقْعِ والوَهَجِ
وَإِنْ تَقُلْ مُمْكِنٌ قَصْدُ السَّمَاءِ أَقُلْ * نَعَمْ وَإِنِّي لَأَدْرِي مَوْضِعَ الدَّرَجِ

ومن علاماته وشواهده الظاهرة لكل ذى بصر الانبساط الكثير الزائد ١٥ والتضايق فى المكان الواسع والمجاذبة على الشيء يأخذه[1] احدهما وكثرة الغمز الخفىّ والميل بالاتّكاء والتعمّد لمسّ اليد عند المحادثة ولمس ما امكن من الاعضاء الظاهرة وشرب فضلة ما ابقى المحبوب فى الإناء وتحرّى المكان الذى قابل فيه و منها علامات متضادّة وهى على قدر الدواعى والعوارض الباعثة والاسباب المحرّكة والخواطر المهيّجة والاضداد انداد والاشياء اذا ٢٠ 11b افرطت فى غايات تضادّها و وقفت فى انتهاء حدود اختلافها تشابهت قدرة من الله عزّ وجلّ تضلّ فيها الاوهام فهذا الثلج اذا ادمن حبسه فى اليد فعل فعل النار ونجد الفرح اذا افرط قتل والغمّ اذا افرط قتل والضحك اذا كثر واشتدّ سال الدمع من العينين وهذا فى العالم كثير فنجد المحبّين ٢٤

---

(1) MS باخذه.

اذا تكافيا فى المحبّة وتأكّدت بينهما تأكّدا شديدا اكثر بهما جدّهما بغير معنًى
وتضادّهما فى القول تعمّدا وخروج بعضهما على بعض فى كل يسير من
الامور وتتبّع كل منهما لفظة تقع من صاحبه[1] وتاوّلها على غير معناها كل هذه
تجربة ليبدو ما يعتقده كل واحد منهما فى صاحبه والفرق بين هذا وبين
حقيقة الهجرة والمضادّة المتولّدة عن الشحناء ومخارجة التشاجر سرعة الرضى ٥
فانّك بينما[2] ترى المحبّين قد بلغا الغاية من الاختلاف الذى لا تقدره يصلح
عند الساكن النفس السالم من الإحقاد فى الزمن الطويل ولا يتجبّر عند
الحقود أبدًا فلا تلبث ان تراهُما قد عادا الى اجمل الصحبة وأُهدرت
المعاتبة وسقط الخلاف وانصرفا فى ذلك الحين بعينه الى المضاحكة والمداعبة
هكذا فى الوقت الواحد مرارًا واذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالجك شكّ ١٠
12a ولا يدخلنّك ريب البتّة ولا تَتَمَارَ فى انّ بينهما سرّا من الحبّ دفينا واقطع
عليه قَطْعَ من لا يصرفه عنه صارف. ودونكها تجربةً صحيحةً وخبرةً صادقةً. هذا
لايكون الاّ عن تكافٍ فى المودّة وائتلاف صحيح وقد رأيته كثيرا. ومن اعلامه
انّك تجد المحبّ يستدعى سماع اسم من يحبّ ويستلذّ الكلام فى اخباره ويجعلها
هِجّيراه ولا يرتاح لشىء ارتياحُه لها ولا ينْهَهُهُ عن ذلك تخوّف ان يفطن السامع ١٥
ويفهم الحاضر وحبّك الشىء يُعْمِى ويُصِمّ فلو امكن المحبّ ان لايكون حديث
فى مكان يكون فيه الاّ ذكر من يحبّه لما تعدّاه. ويعرض للصادق المودّة ان
يبتدى فى الطعام وهو له مُشْتَهٍ فما هو الاّ وقت ما تهتاج له من ذكر من يحبّ
صار الطعام غصّة فى الحلق وشجًى فى المرىء[3] وهكذا فى الماء وفى الحديث
فانّه يُفَاتِحُكَهُ مبتهجا فتعرض له خطرة من خطرات الفكر فيمن يحبّ فتستبين ٢٠
الحوالة فى منطقه والتقصير فى حديثه وآية ذلك الوجوم والاطراق وشدّة
12b الانغلاق فبينما هو طلق الوجه خفيف الحركات صار منطبقا متثاقلاً حائر النفس
جامد الحركة يبرم بالكلمة ويضجر من السوال ومن عَلاَمَاته حبّ الوحدة ٢٢

(1) MS وتتبّع كل لفظة تقع منهما صاحبه; dans le texte leçon proposée par M. Snouck Hurgronje. (2) MS بينهما. (3) MS المرى.

والأنس بالانفراد ونحول الجسم دون حدّ يكون فيه ولا وجع مانع من التقلّب
والحركة والمشى دليل لا يكذب ومخبر لايخون عن كلّةٍ فى النفس كامنة والسهر
من اعراض المحبّين وقد اكثر الشعراء فى وصفه وحكوا انهم رعاة الكواكب
و وصفوا طول الليل و فى ذلك اقول و اذكر كتمان السرّ و انّه يُتوسّم بالعلامات

٥ تَعَلَّمَتِ ٱلسَّحَائِبُ مِنْ شُؤُونِى * فَعَمَّتْ بِالْحَيَا السَّكْبِ الهَتُونِ
وَهٰذَا اللَّيْلُ فيك غَدَا رَفِيقِى * بذلك أَمْ عَلَى سَهَرِى مُعِينِى
فَإِنْ لَمْ يَنْقَضِ الإِظْلَامُ ... * أَلَا مَا أُطْبِقَتْ نَوْمًا جُفُونِى [1]
فَلَيْسَ إِلَى النَّهَارِ لَنَا سَبِيلٌ * وَسُهْدٌ زَائِدٌ فِى كُلِّ حِينِ
كَأَنَّ نُجُومَهُ وَالغَيْمُ يُخْفِى * سَنَاهَا عَنْ مُلَاحَظَةِ العُيُونِ
١٠ ضَمِيرِى فِى وِدَادِكَ يَا مُنَائِى * فَلَيْسَ يَبِينُ إِلَّا بِالظُّنُونِ

وفى مثل ذلك قطعة منها

* أَرْعَى النُّجُومَ كَأَنَّنِى كُلِّفْتُ أَنْ * أَرْعَى جَمِيعَ ثُبُوتِهَا وَالخُنَّسِ
فَكَأَنَّهَا وَاللَّيْلَ نِيرَانُ الجَوَى * قَدْ أُضْرِمَتْ فِى فِكْرَتِى مِنْ حِنْدِسِ 13a
وَكَأَنَّنِى أَمْسَيْتُ حَارِسَ رَوْضَةٍ * خَضْرَاءَ وُشِّعَ نَبْتُهَا بِالنَّرْجِسِ
١٥ لَوْ عَاشَ بَطْلِيمُوسُ أَيْقَنَ أَنَّنِى * أَقْوَى الوَرَى فِى رَصْدِ جَرْىِ الكُنَّسِ

والشىء قد يذكر لما يوجبه وقع لى فى هذه الابيات تشبيه شيئين بشيئين فى
بيت واحد وهو البيت الذى اوّله فكانّها والليلَ و هذا مستغرب فى الشعر
و لى ما هو اكمل منه وهو تشبيه ثلثة أشياء فى بيت واحد وتشبيه اربعة
أشياء فى بيت واحد وكلاهما فى هذه القطعة التى اوردها وهى

٢٠ مَشُوقٌ مُعَنًّى مَا يَنَامُ مُسَهَّدُ * بِخَمْرِ التَّجَنِّى مَا يَزَالُ يُعَرْبِدُ
فَفِى سَاعَةٍ يُبْدِى إِلَيْكَ عَجَائِبًا * (وَ)يَعْدُو [2] وَيَسْتَحْلِى وَيُدْنِى وَيُبْعِدُ
كَأَنَّ النَّوَى وَالعَتْبَ وَالهَجْرَ وَالرِّضَى * قِرَانٌ وَأَنْدَادٌ وَنَحْسٌ وَأَسْعُدُ
٢٢ رَثَى لِغَرَامِى بَعْدَ طُولِ تَمَنُّعٍ * وَأَصْبَحْتُ مَحْسُودًا وَقَدْ كُنْتُ أَحْسُدُ

---

(1) Ce vers est défectif pour le mètre. (2) MS بعدو.

نَعِمْنَا عَلَى نَوْرٍ مِنَ الرَّوْضِ زَاهِرٍ * سَقَتْهُ الغَوَادِى فَهْوَ يُثْنِى وَيَحْمَدُ
كَأَنَّ الحَيَا وَالمُزْنَ وَالرَّوْضَ عَاطِرًا * دُمُوعٌ وَأَجْفَانٌ وَخَدٌّ مُوَرَّدُ

ولا ينكرنّ علىّ منكر قولى قِرَانٌ فاهل المعرفة بالكواكب يسمّون التقاء كوكبين
فى درجة واحدة قِرَانًا. ولى ايضا ما هو اتمّ من هذا وهو تشبيه خمسة أشياء
فى بيت واحد فى هذه القطعة وهى ٥

13b خَلَوْتُ بِهَا وَالرَّاحُ ثَالِثَةٌ لَهَا * وَجُنْحُ ظَلَامِ اللَّيلِ قَدْ مَدَّ وَاثْلَجْ
فَتَاةٌ عَدِمْتُ العَيْشَ إلَّا بِقُرْبِهَا * فَهَلْ فِى ٱبْتِغَاءِ العَيْشِ وَيْحَكَ مِنْ حَرَجْ
كَأَنِّى وَهِى وَالكَأْسَ وَالخَمْرَ وَالدُّجَى * ثَرًى وَحَيًا وَالدُّرَّ وَالتِّبْرَ وَالسَّبَجْ

فهذا امر لا مزيد فيه ولا يقدر احد على اكثر منه اذ لا يحتمل العَرُوضُ ولا ابنية
الأسماء اكثر من ذلك. ويعرض للمحبّين القلق عند احد امرين احدها عند ١٠
رجائه لقاء من يحبّ فيعرض عند ذلك حائل خَبَرٌ وانّى لأعلم بعض من كان
محبوبه يعده الزيارة فما كنت اراه الّا جائيا وذاهبا لا يُقرّبه القرار ولا يثبت
فى مكان واحد مقبلا مدبرا قد استخفّه السرور بعد ركانة واشاطه بعد
رزانة ولى فى معنى انتظار الزيارة

أَقَمْتُ إِلَى أَنْ جَاءَنِى اللَّيلُ رَاجِيًا * لِقَاءَكَ يَا سُؤْلِى وَيَا غَايَةَ الأَمَلْ ١٥
فَأَيْأَسَنِى الإِظْلَامُ عَنْكَ وَلَمْ أَكُنْ * لأَيْأَسَ يَوْمًا إِنْ بَدَا اللَّيلُ يَتَّصِلْ
وَعِنْدِى دَلِيلٌ لَيْسَ يَكْذِبُ خُبْرُهُ * بِأَمْثَالِهِ فى مُشْكِلِ الأَمْرِ يُسْتَدَلْ
لِأَنَّكَ لَوْ رُمْتَ الزِّيَارَةَ لَمْ يَكُنْ * ظَلَامٌ وَدَامَ النُّورُ فِينَا وَلَمْ يَزَلْ

14a والثانى عند حادث يحدث بينهما من عتاب لا تُدرى حقيقته الّا بالوصف فعند
ذلك يشتدّ القلق حتى توقّف على الجليلة فإمّا أنْ يذهب تحمّله[1] إن رجا العفو ٢٠
و(إمّا) أن يصير القلق حزنا وأسفا إن تخوّف الهجر. ويعرض للمحبّ الاستكانة
لجفاء المحبوب عليه وسيأتى مفسّرًا فى بابه ان شاء الله تعالى ومن أعْرَاضه
الجزع الشديد والحمرة المقطعة تغلب عند ما يرى من إعراض محبوبه عنه
ونفاره منه وآية ذلك الزفير وقلّة الحركة والتأوّه وتنفّس الصعداء وفى ٢٤

(1) Leçon proposée par M. Snouck Hurgronje.

ذلك اقول شعرا منه

وَجَمِيلُ الصبرِ مَسْجُونٌ * وَدُمُوعُ العَيْنِ سَارِحَةْ

ومن علاماته انّك ترى المحبّ يحبّ اهل محبوبه وقرابته وخاصّته حتى يكونوا احظى لديه من اهله ونفسه ومن جميع خاصّته والبكآء من علامات الحبّ ولكن يتفاضلون فيه فمنهم غزير الدمع هامل الشؤون تُجيبه عينه وتحضره عبرته اذا ٥ شآء ومنهم جمود العين عديم الدمع وانا منهم وكان الاصل فى ذلك ادمانى اكل الكندر لخفقان القلب وكان عرض لى فى الصبى فانّى لأصاب بالمصيبة 14b الفادحة فأجد قلبى يتفطّر ويتقطّع واحسّ فى قلبى غصّة أمرّ من العلقم تحول بينى وبين توفية الكلام حقّ مخارجه وتكاد تُشوّقنى بالنفس احيانا ولا تجيب عينى البتّة الّا فى الندرة[١] بالشىء اليسير من الدمع خَبَرٌ ولقد اذكرنى هذا ١٠ الفصل يوما ودعت أنا وابو بكرٍ محمّد بن اسحق صاحبى ابا[٢] عامر محمّد بن عامر صديقا رحمه الله فى سفرته الى المشرق التى لم نره بعد فجعل ابو بكر يبكى عند وداعه ويُنشد متمثّلا بهذا البيت

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجُدْ يَوْمَ واسِطٍ * عَلَيكَ بِبَاقِى دَمْعِهَا لَجَمُودُ

وهو فى رثآء يزيد بن عمر بن هبيرة رحمه الله ونحن وقوف على ساحل البحر ١٥ بمالقة[٣] وجعلت انا اكثر التفجّع والأسف ولا تساعدنى عينى فقلت مجيبا لابى بكر

وَإِنَّ آمْرَءًا لم يُفنِ[٤] حُسْنَ آصْطِبَارِه * عَلَيكَ وَقَدْ فَارَقْتَهُ لَجَلِيدُ

وفى المذهب الذى عليه الناس اقول من قصيدة قلتها قبل بلوغ الحلم اوّلها

دَلِيلُ الأَسَى نَارٌ عَلَى القَلْبِ تَلْفَحُ * وَدَمْعٌ عَلَى الخَدَّينِ يَحْمِى وَيَسْفَحُ

15a إِذَا كَتَمَ المَشْغُوفُ سِرَّ ضُلُوعِه * فَإِنَّ دُمُوعَ العَيْنِ تُبْدِى وَتَفْضَحُ ٢٠

إِذَامَا جُفُونُ العَيْنِ سَالَتْ شُؤُونُهَا * فَفِى القَلْبِ دَآءٌ لِلغَرَامِ مُبَرِّحُ

ويعرض فى الحبّ سوء الظنّ واتّهام كل كلمة من احدهما وتوجيهها الى غير وجهها وهذا اصل العتاب بين المحبّين وانّى لأعلم من كان احسن الناس ظنّا ٢٢

---

(١) MS النذرة. (٢) MS بن. (٣) MS بمالفه. (٤) Leçon proposée par M. I. Kratchkovsky; MS يُغن.

و اوسعهم نفسا واكثرهم صبرا واشدّهم احتمالا و ارحبهم صدرا ثم لا يحتمل ممّن
يحبّ شيئا ولايقع له معه ايسر مخالفة حتى يُبدى من التعديد فنونا ومن سوء
الظنّ وجوهًا وفى ذلك اقول شعرا منه

أُسِيءُ ظَنّى بِكُلِّ مُحْتَقَرٍ * تَأْتِى بِهِ وَالحَقِيرُ مَنْ حَقَرَ
كَى لَا يُرَى أَصْلُ هِجْرَةٍ وَقِلًى * فَالنَّارُ فى بَدْءِ أَمْرِهَا شَرَرَ ٥
وَأَصْلُ عُظْمِ الأُمُورِ أَهْوَنُهَا * وَمِنْ صَغِيرِ النَّوَى تَرَى شَجَرَ

وترى المحبّ اذا لم يثق ببقآء طويّة محبوبه له كثير التحفّظ ممّا لم يكن يتحفّظ
قبل ذلك متقّفا لكلامه مزيّنا لحركاته ومرامى طرفه ولاسيّما ان دُهى بمتجنٍّ
وبُلى بمعربد ومن آياته مراعاة المحبّ لمحبوبه وحفظه لكل ما يقع (منه) وبحثه
15b عن أخباره حتى لا يسقط عنه دقيقه ولا جليله وتتبّعه لحركاته ولعمرى لقد ترى ١٠
البليد يصير فى هذه الحالة ذكيّا و الغافل فطنا خَبَرٌ ولقد كنت يومًا بالمريّة قاعدا
فى دكّان اسمعيل بن يونس الطبيب الاسرائيلىّ وكان بصيرا بالفراسة محسنا لها
وكنّا فى لمّة فقال له مجاهد بن الحصين القيسىّ ما تقول فى هذا و أشار
الى رجلٍ منتبذٍ عنّا ناحية اسمه حاتم ويكنى ابا البقآء فنظر اليه ساعة
يسيرة ثم قال هو رجل عاشق فقال له صدقت فمن اين قلت هذا قال ١٥
لبُهْتٍ مفرط ظاهر على وجهه فقطّ دون سائر حركاته فعلمت انّه عاشق
وليس بمريب

بَابُ مَنْ أَحَبَّ فى النَّوْمِ

ولا بدّ لكل حبٍّ من سبب يكون له أصلاً و انا مبتدئ بابعد ما يمكن
ان يكون من اسبابه ليجرى الكلام على نسق وان يبتدأ ابدًا بالسهل والاهون ٢٠
فمن اسبابه شىء لولا انّى شاهدته لم اذكره لغرابته خَبَرٌ وذلك انّى دخلت
يومًا على ابى السرىّ عمار بن زياد صاحبنا مولى المؤيّد فوجدته مفكّرا مهتمّا
فسألته عمّا به فتمنّع ساعة ثم قال لى اعجوبة ما سمعت قطّ قُلت وما ذاك قال
16a رأيتُ فى نومى الليلة جارية فاستيقظت وقد ذهب قلبى فيها وهمت بها وانّى ٢٤

لفى اصعب حال من حبّها ولقد بقى اياما كثيرة يزيد على الشهر مغموما مهموما لا يهنئه شيء وَجْدًا الى ان عذلته وقلت له من الخطآء العظيم ان تُشغل نفسك بغير حقيقة وتُعلّق وهمك بمعدومٍ لا يُوجد هل تعلم من هى قال لا والله قلت انّك لقليل(١) الرأى مصاب البصيرة اذ تحبّ من لم تره قطّ ولا خُلق ولا هو فى الدنيا و لو عشقت صورة من صور الحمّامِ لكنت عندى اعذر فما ٥ زلت به حتى سلا وما كاد وهذا عندى من حديث النفس وأضغاثها وداخل فى باب التمنّى وتخيّل الفكر وفى ذلك اقول شعرا منه

يَا لَيْتَ شِعْرِىَ مَنْ كَانَتْ وَكَيْفَ سَرَتْ * أَطَلْعَةَ الشَّمْسِ كَانَتْ أَمْ هِىَ القَمَرُ
أَظِنَّةُ العَقْلِ أَبْدَاهُ تَدَبُّرُهُ * أَوْ صُورَةُ الرُوحِ أَبْدَتْهَا لِىَ الفِكَرُ
أَوْ صُورَةٌ مُثِّلَتْ فى النَفْسِ مِنْ أَمَلِى * فَقَدْ تَخَيَّلَ فى إِدْرَاكِهَا البَصَرُ ١٠
أَوْ لم يَكُنْ كُلُّ هَذَا فَهْىَ حَادِثَةٌ * أَنَى بِهَا سَبَبًا فِى حَتْفِىَ القَدَرُ

بَابُ مَنْ احَبَّ بالوَصْفِ

ومن غريب اصول العشق ان تقع المحبّة بالوصف دون المعاينة وهذا امر يترقّى منه الى جميع الحبّ فتكون المراسلة والمكاتبة والهمّ والوجد 16b والسهر على غير الإبصار فانّ للحكايات ونعت المحاسن و وصف الاخبار ١٥ تأثيرا فى النفس ظاهرا و ان تُسمع نغمتها من وراء جدار فيكون سببا للحبّ واشتغال البال وهذا كله قد وقع لغيرما واحد ولكنّه عندى بنيان هارٍ على غير أسّ وذلك أنّ الذى افرغ(٢) ذهنه فى هوى من لم ير لا بدّ له اذ يخلو بفكره أن يمثّل لنفسه صورة يتوهّمها وعينا يقيمها نُصْب ضميره لا يتمثّل فى هاجسه غيرها قد مال بوهمه نحوها فان وقعت المعاينة يومًا مّا فحينئذ يتأكّد الامر ٢٠ او يبطل بالكل وكل الوجهين قد عرض وعُرف واكثر ما يقع هذا فى ربّات القصور المحجوبات من اهل البيوتات مع أقاربهنّ من الرجال وحبّ النسآء فى هذا اثبت من حبّ الرجال لضعفهنّ وسرعة اجابة طبائعهنّ الى هذا الشأن ٢٢

(١) MS قايل. (٢) MS افزع.

وتمكّنه منهنّ وفى ذلك اقول شعرا منه

وَيَا مَنْ لَامَنِى فى حُبِّ مَنْ لَمْ يَرَهُ طَرْفِى
لَقَدْ أَفْرَطْتَ فى وَصْفِكَ لِى فى الحُبِّ بِالضَّعْفِ
فَقُلْ هَلْ يُعْرَفُ الجَنَّةُ يَوْمًا بِسِوَى الوَصْفِ 17a

واقول شعرا فى استحسان النغية[1] دون وقوع العين على العيان منه ٥

قَدْ حَلَّ جَيْشُ الغَرَامِ سَمْعِى * وَهْوَ عَلَى مُقْلَتِى يَبْدُو

واقول ايضا فى مخالفة الحقيقة لظنّ المحبوب عند وقوع الرؤية

وَصَفُوكَ لِى حَتَى إِذَا أَبْصَرْتُ مَا * وَصَفُوا عَلِمْتُ بِأَنَّهُ هَذَيَانُ
فالطَّبْلُ جِلْدٌ فَارِغٌ وَ طَنِينُهُ * يَرْتَاعُ مِنْهُ وَيَفْرَقُ الإِنْسَانُ

وفى ضدّ هذا اقول ١٠

لَقَدْ وَصَفُوكَ لِى حَتَى ٱلْتَقَيْنَا * فَصَارَ الظَّنُّ حَقًّا فِى العِيَانِ
فَأَوْصَافُ الجِنَانِ مُقَصِّرَاتٌ * عَلَى التَحْقِيقِ عَنْ قَدْرِ الجِنَانِ

وانّ هذه الاحوال لتحدث بين الاصدقآء والاخوان وعنّى احدث خَبَرًا انّى كان بينى وبين رجل من الأشراف ودّ وكيد وخطاب كثير وما ترآينا قطّ ثم منح الله لى لقاءه فما مرّت الّا ايام قلايل حتى وقعت لنا منافرة عظيمة ١٥ و وحشة شديدة متّصلة الى الآن فقلت فى ذلك قطعة منها

أَبْدَلْتَ أَشْخَاصَنَا كَرْهًا وَ فَرْطَ قِلًى * كَمَا الصَحَائِفُ قَدْ يُبْدَلْنَ بالنَسْخِ 17b

و وقع لى ضدّ هذا مع ابى عامر بن ابى عامر رحمة الله عليه فانّى كنت له على كراهة صحيحة وهو لى كذلك ولم يرنى و لا رأيته وكان اصل ذلك تنقيلا يُحمل اليه عنّى و الىّ عنه يؤكّده انحراف بين ابوينا لتنافسهما فيما كانا فيه من ٢٠ صحبة السلطان و وجاهة الدنيا ثم وفّق الله الاجتماع به فصار الىّ اودّ الناس وصرت له كذلك الى ان حال الموت بيننا وفى ذلك اقول قطعة منها

أَخٌ لِىَ كَسَبَنِيهِ اللِقَاءُ * وَأَوْجَدَنِى فيه[2] عِلْقًا شَرِيفًا ٢٢

---

(١) MS النعمة; dans le texte leçon proposée par M. Snouck Hurgronje.

(٢) MS audessus de فيه — منه (caractères plus petits).

وَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ مِنْهُ الجَوَارَ * وَمَا كُنْتُ أَرْغَبُهُ لِى أَلِيفَا
وَكَانَ البَغِيضَ فَصَارَ الحَبِيبَ * وَكَانَ الثَقِيلَ فَصَارَ الخَفِيفَا
وَقَدْ كُنْتُ أُدْمِنُ عَنْهُ الوَجِيفَ * فَصِرْتُ أُدِيمُ إِلَيهِ الوَجِيفَا

وامّا ابو شاكر عبد الرحمن بن محمّد القبرىّ فكان لى صديقا مدّة على غير رؤية ثم التقينا فتأكّدت المودّة واتّصلت وتمادت الى الآن ٥

بَابُ مَنْ أَحَبَّ مِنْ نَظْرَةٍ وَاحِدَةٍ

18a

وكثيراما يكون لصوق الحبّ بالقلب من نظرة واحدة وهو ينقسم قسمين فالقسم الواحد مخالف للذى قبل هذا وهو ان يعشق المرء صورة لا يعلم من هى ولا يدرى لها اسما ولا مستقرّا وقد عرض هذا لغير واحد خَبَرٌ حدّثنى صاحبنا ابو بكر محمّد بن احمد بن اسحق عن ثقة اخبره سقط عنّى اسمه ١٠ وأظنّه القاضى بن الحذآء انّ يوسف بن هرون الشاعر المعروف بالرمادىّ كان مجتازا عند باب العطّارين بقرطبة وهذا الموضع كان مجتمع النسآء فرأى جارية اخذت بمجامع قلبى وتخلّل حبّها جميع اعضآئى فانصرف عن طريق الجامع وجعل يتبعها وهى ناهضة نحو القنطرة فجازتها الى الموضع المعروف بالربض فلما صارت بين رياض بنى مروان رحمهم الله المنبيتة على قبورهم ١٥ فى مقبرة الربض خلف النهر نظرت منه منفردا عن الناس لا همّة له غيرها فانصرفت اليه فقالت له ما لك تمشى ورآءنى فاخبرها بعظيم بليته بها فقالت له دع عنك هذا ولا تطلب فضيحتى فلا مطمع لك فى النيّة ولا الى ما ترغبه سبيل فقال انّى اقنع بالنظر فقالت ذلك مباح لك فقال لها يا سيّدتى 18b أحرّة أم مملوكة قالت مملوكة فقال لها ما اسمك قالت خلوة فقال لها ولمن ٢٠ انت فقالت له علمك والله بما فى السمآء السابعة اقرب اليك من ما سألت عنه فدع المحال فقال لها يا سيّدتى واين اراك بعد هذا قالت حيث رأيتنى اليوم فى مثل تلك الساعة من كل جمعة فقالت له إمّا تنهض انت وإمّا أنهض انا فقال لها أنهضى فى حفظ الله فنهضت نحو القنطرة ولم يمكنه اتباعها ٢٤

لأنّها كانت تلتفت نحوه لترى أيسايرها ام لا فلمّا تجاوزت باب القنطرة اتى
يقفوها فلم يقع لها على مسألة قال ابو عمر وهو يوسف بن هرون فوالله لقد
لازمت باب العطّارين والربض من ذلك الوقت الى الآن فما وقعت لها
على خبر ولادرى أسمآءٌ لحستها أم ارض بلعتها وانّ فى قلبى منها لأحرّ من
الجمر وهى خلوة التى يتغزّل بها فى اشعاره ثم وقع بعد ذلك على خبرها ٥
بعد رحيله فى سببها الى سرقسطة فى قصّة طويلة ومثل ذلك كثير وفى ذلك
اقول قطعة منها

عَيْنِى جَنَتْ فى فُؤَادِى لَوْعَةَ الفِكَرِ * فأَرْسَلَ الدَمْعَ مُقْتَصًّا مِنَ البَصَرِ
19a فَكَيْفَ تُبْصِرُ فِعْلَ الدَمْعِ مُنْتَصِفًا * مِنْهَا بإِغْرَاقِهَا فى دَمْعِهَا الدُرَرِ
لم أَلْقَهَا قَبلَ إِبْصَارِى فأَعْرِفُهَا * وَآخِرُ العَهْدِ مِنْهَا سَاعَةُ النَظَرِ ١٠

والقسم الثانى مخالف للباب الذى يأتى بعد هذا الباب ان شاء الله وهو
ان يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم والمكان والمنشإ ولكنّ
التفاضل يقع فى هذا فى سرعة الفنآء وإبطائه فمن احبّ من نظرة واحدة
واسرع العلاقة من لمحة خاطرة فهو دليل على قلّة الصبر ومخبر بسرعة السلوّ
وشاهد الظرافة والملل وهكذا فى جميع الاشياء أسرعها نموًّا أسرعها فنآءً ١٥
وأبطؤها حدوثا أبطؤها نفادا خَبَرٌ بأنّى لأعلم فتيًا من ابنآء الكتّاب ورأته
امرأة سريّة النشأة عالية المنصب غليظة الحجاب وهو مجتاز ورأته فى موضع
تطلع منه كان فى منزلها فعلقته وعلقها وتهاديا المراسلة زمانا على أرقّ
من حدّ السيف ولولا أنّى لم اقصد فى رسالتى هذه كشف الحِيَل وذكر
19b المكائد لأوردت ممّا صحّ عندى أشيآء تُحيّر اللبيب وتُدهِش العاقل اسبل ٢٠
الله علينا ستره وعلى جميع المسلمين بمنّه وكفانا

بَابَ مَنْ لَا يُحِبُّ إِلَّا مَعَ الْمُطَاوَلَةِ

ومن الناس من لا تصحّ محبّته الّا بعد طول المخافتة وكثير المشاهدة
ومتمادى الانس وهذا الذى يُوشِكُ ان يدوم وتثبت ولا يُحِيكَ فيه مرّ الليالى ٢٤

فما دخل عسيرًا لم يخرج يسيرا و هذا مذهبي وقد جآء في الأثر انّ الله عزّ وجلّ قال للروح حين أمره أن يَدْخُلَ[1] جسد آدم وهو فخّار فهاب وجزع أُدخُلْ كَرْهًا وأُخْرجَ كَرْهًا حُدّثناه عن شيوخنا ولقد رأيت من اهل هذه الصفة من إن أحسّ من نفسه بابتدآء هوًى او توحّش من استحسانه ميلا الى بعض الصور استعمل الهجر وترك الإلمام لئلاّ يزيد ما يجد فيخرج الأمر ٥ عن يده ويجال بين الغير والنزوان و هذا يدلّ على لصوق الحبّ باكباد اهل هذه الصفة و انّه اذا تمكّن منهم لم يَحُلْ ابدًا وفى ذلك اقول قطعة منها

سَأَبْعُدُ عَنْ دَوَاعِى الحُبِّ إِنِّى * رَأَيْتُ الحَزْمَ مِنْ صِفَةِ الرَّشِيدِ
رَأَيْتُ الحُبَّ أَوَّلُهُ التَّصَدِّى * بِعَيْنِكَ فى أَزَاهِيرِ الخُدُودِ
فَبَيْنَا أَنْتَ مُغْتَبِطٌ مُخَلًّى * إِذَا قَدْ صِرْتَ فى حَلَقِ القُيُودِ ١٠
كَمُغْتَرٍّ بِضَحْضَاحٍ قَرِيبٍ * فَذَلَّ فَغَابَ فى غَمْرِ المُدُودِ

20a وانّى لأَطيل العجب من كل من يدّعى انّه يحبّ من نظرة واحدة ولا أكاد[2] اصدّقه[2] ولا اجعل حبّه الاّ ضربا من الشهوة وَأمّا ان يكون فى ظنّى متمكّنا من صميم الفؤاد نافذا فى حجاب القلب فما اقدر ذلك وما لصق باحشائى حبّ قطّ الاّ مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لى دهرًا و اخذى معه ١٥ فى كل جدّ وهزل وكذلك انا فى السلوّ والتوق فما نسيت ودًّا لى قطّ وان حنينى الى كل عهد تقدّم لى ليُغصّنى بالمآء ويشرقنى بالطعام وقد استراح من لم تكن هذه صفته وما مللت شيئا قطّ بعد معرفتى به ولا سرعت الى الأنس بشىء قطّ اوّل لقآئى له وما رغبت الاستبدال الى سبب من اسبابى مذ كنت لا اقول فى الآلاف والاخوان وحدهم لكن فى كل ما يستعمل ٢٠ الانسان من ملبوس ومركوب ومطعوم وغير ذلك وما انتفعت بعيش ولا فارقنى الإطراق والانغلاق مذ ذُقت طعم فراق الأحبّة وانّه لشجًى يعتادنى و ولوع هم ما ينفكّ يطرقنى ولقد نغّص تذكّرى ما مضى كل عيش أستأنفُه و انّى لقتيل الهموم فى عداد الأحياء ودفين الاسى بين اهل الدنيا والله ٢٤

(١) MS تدخل.   (٢) MS peu lisible.

20b المحمود على كل حال لا اله الا هو وفى ذلك اقول شعرا منه

مَحَبَّةُ صِدْقٍ لم تَكُنْ بِنْتَ سَاعَةٍ * وَلَا وَرِيَتْ حِينَ ٱرْتِيَادٍ زِنَادُهَا
وَلَكِنْ عَلَى مَهْلٍ سَرَتْ وَتَوَلَّدَتْ * بِطُولِ ٱمْتِزَاجٍ فَٱسْتَقَرَّ عِمَادُهَا
فَلَمْ يَدْنُ مِنْهَا عَزْمُهَا وَٱنْتِقَاضُهَا * وَلَم يَنْأَ عَنْهَا مَكْثُهَا وَٱزْدِيَادُهَا
يُؤَكِّدُ ذَا أَنَّا نَرَى كُلَّ نَشْأَةٍ * تَتِمُّ سَرِيعًا عَنْ قَرِيبٍ نَفَادُهَا ٥
وَلَكِنَّنِي أَرْضٌ عَزَازٌ صَلِيبَةٌ * مَنِيعٌ إِلَى كُلِّ الغُرُوسِ ٱنْقِيَادُهَا
فَمَا نَفَذَتْ(١) مِنْهَا لَدَيْهَا عُرُوقُهَا * فَلَيْسَتْ تُبَالِي أَنْ يَجُودَ عِهَادُهَا

ولا يظنّ ظانّ ولا يتوهّم متوهّم انّ كلاً من هذا مخالف لقولى المستطر فى صدر الرسالة انّ الحبّ اتّصال بين النفوس فى اصل عالمها العلوىّ بل هو مؤكّد له فقد علمنا انّ النفس فى هذا العالم الادنى قد غمرتها الحجب ولحقتها ١٠ الأعراض و احاطت بها الطبائع الارضيّة الكوريّة فسترت كثيرا من صفاتها و ان كانت لم تُحله لكن حالت دونه فلا برح الاتّصال على الحقيقة الاّ بعد التهيّؤ من النفس والاستعداد له وبعد ايصال المعرفة اليها بما يشاكلها 21a ويوافقها ومقابلة الطبائع التى خفت ممّا يشبهها من طبائع المحبوب فحينئذ يتّصل اتّصالا صحيحا بلا مانع وأمّا ما يقع من اوّل وهلة ببعض أعراض ١٥ الاستحسان الجسدىّ واستطراف البصر الذى لا يجاوز الالوان وهذا سرّ الشهوة ومعناها على الحقيقة فاذا فصلت الشهوة وتجاوزت هذا الحدّ و وافقت الفصل اتّصال نفسانىّ تشترك فيه الطبائع مع النفس يُسمّى عِشقا ومن هذا دخل الغلط على من يزعم انه يحب اثنين ويعشق شخصين متغايرين فانّما هذا من جهة الشهوة التى ذكرنا آنفا وهى على المجاز تُسمّى محبّة لا على ٢٠ التحقيق وأمّا نفس المحبّ فما فى الميل به فضل يصرفه من اسباب دينه ودنياه فكيف بالاشتغال بحبّ ثانٍ وفى ذلك اقول

كَذَبَ المدَّعِى هَوَى اِثْنَيْنِ حَتْمًا * مِثْلَ مَا فى الأُصُولِ أَكْذَبَ(٢) مَانِى ٢٢

(١) MS نَفَدَتْ. (٢) Ou أُكْذِبَ comme propose de lire M. Snouck Hurgronje?

لَيسَ فِى القَلْبِ مَوْضعٌ لِحَبِيبَيــنِ وَ لَا أَحْدَثُ الأُمُورِ بثانى
فَكَمَا العَقْلُ وَاحِدٌ لَيسَ يَدْرِى * خَالِقًا غيرَ وَاحِـدٍ رَحْمَانِ
21b فَكَذَا القَلْبُ وَاحِدٌ لَيْسَ يَقْوَى * غيْرَ فَرْدٍ مُبَاعِـدٍ اَوْ مُدَانِ
هُوَ فِى شِرْعَةِ المَوَدَّةِ ذُو شَكّ * بَعِيدٌ مِنْ صِحَّـةِ الإِيمَانِ
وَكَذَا الدِينُ وَاحِـدٌ مُسْتَقِيمٌ * وَكَفُورٌ مَنْ عَقْدُهُ دِينَانِ ٥

وانّى لأعرف فتى من اهل الجدّ والحسب والأدب كان يبتاع الجارية وهى سالمة الصدر من حبّه و اكثر ذلك كارهة له لقلّة حلاوة شمائل كانت فيه وقطوب دائم كان لا يفارقه و لاسيّما مع النساء فكان لايلبث الاّ يسيرا ريث ما يصل اليها بالجماع ويعود ذلك الكره حبّا مفرطا وكلفا زائدا واستهتارا مكشوفا و يتحوّل الضجر لصحبته ضجرا لفراقه صحبه هذا الامر فى عدّة منهنّ فقال ١٠ بعض اخوانى فسألته عن ذلك فتبسّم نحوى وقال اذًا والله اخبرك انا أبطأُ الناس إنزالا تقضى المرأة شهوتها وربّما ثنّت وانزالى وشهوتى لم ينقضيا بعد و ما فترتُ بعدها قطّ و انّى لأَبقى بجسبى بعد انقضائها الحين الصالح وما لاقى صدرى صدر امرأة قطّ عند الخلوة الاّ عند تعمّدى المعانقة وبحسب 22a ارتفاع صدرى نزول مؤخرى فمثل هذا وشبهه اذا وقع وافق أخلاق النفس ١٥ و ولد المحبّة اذ الاعضاء الحساسة مسالك الى النفوس ومؤدّيات نحوها

بَابُ مَنْ أَحَبَّ صِفَةً لم يَسْتَحْسِنْ بَعْدَهَا غَيْرَهَا مِمَّا يُخَالِفُهَا

واعلم اعزّك الله انّ للحبّ حكما على النفوس ماضيا وسلطانا قاضيا وأمرا لا يُخالَف وحدّا لا يُعْصَى وملكا لا يُتعدّى وطاعة لا تُصرف ونفاذا لا يُردّ وإنّه ينقّض المِرَرَ ويحيل المبرَم ويحلّل الجامد ويحلّ الثابت ويحلّ الشغاف ويحلّ ٢٠ الممنوع ولقد شاهدت كثيرا من الناس لا يُتّهمون فى تمييزهم ولا يخاف عليهم سقوط فى معرفتهم ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير فى حدسهم قد وصفوا احبابا لهم فى بعض صفاتهم ما ليس بمستحسن عند الناس ولا يُرضى فى الجمال ٢٢

فصارت هِجِّيرَاهم وعرضة لأهوآئهم ومنتهى استحسانهم ثم مضى اولئك إمّا يَسْلُو
او ببين او هجر او بعض عوارض الحبّ وما فارقهم استحسان تلك الصفات
22b ولا بان عنهم تفضيلها على ما هو افضل منها فى الخليقة ولا مالوا الى سواها
بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم وساقطة
لديهم الى ان فارقوا الدنيا وانقضت أعمارهم حنينا منهم الى من فقدوه وألفة ٥
لمن صحبوه وما اقول انّ ذلك كان تصنّعا لكن طبعا حقيقا و اختيارا لا
داخلة فيه ولا يرون سواه ولا يقولون فى طىّ عقدهم بغيره. و انّى لأعرف من
كان فى جيد حبيبه بعض الوقص فما استحسن أَغيد ولا غيدآء بعد ذلك
واعرف من كان اوّل علاقته بجارية مائلة الى القصر فما أحبّ طويلة بعد
هذا واعرف ايضا من هوى جارية فى فمها فوه لطيف فلقد كان يتقذّر كلّ ١٠
فم صغير ويذمّه ويكرهه الكراهية الصحيحة وما أصف من منقوصى الحظوظ
فى العلم والادب لكن عن اوفر الناس قسطا فى الادراك واحقّهم باسم الفهم
والدراية وعنّى اخبرك انّى احببت فى صباى جارية لى شقرآء الشعر فما
استحسنت من ذلك الوقت سودآء الشعر ولو انّه على الشمس اوعلى صورة
23a الحسن نفسه و انّى لأجد هذا فى اصل تركيبى من ذلك الوقت لاتوآتينى ١٥
نفسى على سواه ولا تحبّ غيره البتّة وهذا العارض بعينه عرض لابى رضى
الله عنه وعلى ذلك جرى الى ان وافاه اجله و امّا جماعة خلفاء بنى
مروان رحمهم الله ولا سيّما ولد الناصر منهم فكلّهم مجبولون على تفضيل
الشقرة لا يختلف [فى ذلك منهم مختلف] وقد رأيناهم و رأينا من رآهم من لدن
دولة الناصر الى الآن فما منهم الّا أشقر نزاعا الى أمّهاتهم حتى قد صار ذلك ٢٠
فيهم خِلقة حاشى سليمان الظافر رحمه الله فانّى رأيته أسود اللمّة واللحية وأَمّا
الناصر والحكم المستنصر رضى الله عنهما فحدّثنى الوزير ابى رحمه الله وغيره
انّهما كانا اشقرين اشهلين وكذلك هشام المؤيّد ومحمّد المهدىّ وعبد الرحمن
المرتضى رحمهم الله فانّى قد رأيتهم مرارا ودخلت عليهم فرأيتهم شقرا شهلا
وهكذا اولادهم وإخوتهم وجميع اقاربهم فلا ادرى أَذلك استحسان مركّب فى ٢٥

23b جميعهم أم لرواية كانت عند اسلافهم فى ذلك فجروا عليها وهذا ظاهر فى شعر عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن امير المومنين الناصر وهو المعروف بالطليق وكان اشعر اهل الاندلس فى زمانهم واكثر تغزّله فبالشقر وقد رأيته وجالسته وليس العجب فيمن [احبّ قبيحا ثم لم يصحبه ذلك فى سواه فقد وقع من ذلك ولا فيمن] طُبع مذ كان على ٥ تفضيل الادنى ولكن فيمن كان ينظر بعين الحقيقة ثم غلب عليه هوًى عارض بعد طول بقآئه فى الجماعة فاحاله عمّا عهدته نفسه حوالة صارت له طبعا وذهب طبعه الاوّل وهو يعرف فضل ما كان عليه اوّلا فاذا رجع الى نفسه وجدها تأبى الّا الادنى فاعجب لهذا التغلّب الشديد والتسليط العظيم وهو اصدق المحبّة حقّا لا مَن يتحلّى بشيم قوم ليس منهم ويدّعى غريزة لا ١٠ تقبله فيزعم انّه يتخيّر من يحبّ أمّا لو شغل الحبّ بصيرته وأجاح فكرته واجحف بتمييزه لحال بينه وبين التخيّر والارتياد و فى ذلك اقول شعرا منه

24a

مِنْهُمْ فَتًى كَانَ فى مَحْبُوبِهِ وَقَصٌ * كَأَنَّمَا الغِيدُ فِى عَيْنَيْهِ جِنَانُ
وَكَانَ مُنْبَسِطًا فى فَضْلِ خِيرَتِهِ * بِحُجَّةٍ حَقُّهَا فى القَوْلِ تِبْيَانُ
إِنَّ المَهَا وَ بِهَا الأَمْثَالُ سَائِرَةٌ * لَا يُنْكِرُ الحُسْنَ فِيهِ الدَهْرَ إِنْسَانُ ١٥
وُقْصٌ فَلَيْسَ بِهَا عَنْقَآءُ وَاحِدَةٌ * وَهَلْ تُزَانُ بِطُولِ الجِيدِ بُعْرَانُ
وَآخَرُ كَانَ فِى مَحْبُوبِهِ فَوَهٌ * يَقُولُ حَسْبِىَ فِى الأَفْوَاهِ غِزْلَانُ
وَثَالِثٌ كَانَ فِى مَحْبُوبِهِ قِصَرٌ * يَقُولُ إِنَّ ذَوَاتَ الطُولِ غِيلَانُ

واقول ايضا

يَعِيبُونَهَا عِنْدِى بِشُقْرَةِ شَعْرِهَا * فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا ٱلَّذِى زَانَهَا عِنْدِى ٢٠
يَعِيبُونَ لَوْنَ النُورِ وَالتِبْرِ ضَلَّةً * لِرَأْىِ جَهُولٍ فى الغَوَايَةِ مُمْتَدِّ
وَهَلْ عَابَ لَوْنَ النَرْجِسِ الغَضِّ عَائِبٌ * وَلَوْنَ النُجُومِ الزَاهِرَاتِ عَلَى البُعْدِ
وَأَبْعَدُ خَلْقِ اللهِ مِنْ كُلِّ حِكْمَةٍ * مُفَضِّلُ جِرْمٍ فَاحِمِ اللَّوْنِ مُسْوَدِّ
24b بِهِ وُصِفَتْ أَلْوَانُ أَهْلِ جَهَنَّمٍ * وَلِبْسَةُ بَاكٍ مُثْكِلِ الأَهْلِ مُحْتَدِّ
وَمُذْ لَاحَتِ ٱلرَّايَاتُ سُودًا تَيَقَّنَتْ * نُفُوسُ الوَرَى أَنْ لَا سَبِيلَ إِلَى الرُّشْدِ ٢٥

← gebl

بَابُ التَعْرِيض بالقَوْلِ

و لابدّ لكل مطلوب من مدخل اليه وسبب يتوصّل بـه نحوه فلم
ينفرد بالاختراع دون واسطة الاّ العليم الاوّل جلّ ثناءه فأوّل ما يستعمل
طلاّب الوصل وأهل المحبّة فى كشف ما يجدونه الى احبّتهم التعريض بالقول
إمّا بانشاد شعر او بارسال مثل اوتعمية بيت او طرح لغز اوتسليط كلام ٥
و الناس يختلفون فى ذلك على قدر ادراكهم وعلى حسب ما يرونه من احبّتهم
من نفار او أنس او فطنة او بلادة و انّى لأعرف من ابتدأ كشف محبّته
الي من كان يحبّ بأبيات قلتها. فهذا و شبهه يبتدئ به الطالب للمودّة فان
رأى أنسا وتسهيلا زاد وان يعاين شيئا من هذه الامور[1] فى حين انشاده
25a لشىء مـمّا ذكرنا او ايراده لبعض المعانى التى حدّدنا وانتظاره الجواب ١٠
امّا بلفظ او بهيئة الوجه والحركات لموقف بين الرجآء واليأس هائل وان
كان حينا قصيرا و لكنّه اشراف على بلوغ الامل او انقطاعه ومن التعريض
بالقول جنس ثان ولا يكون الاّ بعد الاتّفاق ومعرفة المحبّة من المحبوب
فحينئذ يقع التشكّى وعقد المواعد والتعديد واحكام المودّات بالتعريض وبكلام
يظهر لسامعه منه معنىً غير ما يذهبان اليه فيجيب السامع عنه بجواب غير ما ١٥
يتأدّى الى المقصود بالكلام على حسب ما يتأدّى الى سمعه ويسبق الى وهمه
وقد فهم كل واحد منهما عن صاحبه واجابه بما لاينهيه غيرهما الاّ من أُيِّدَ
بحسّ نافذ وأعين بذكآء وأُمدّ بتجربة ولا سيّما ان احسّ من معانيهما بشىء
وقلّ ما يغيب عن المتوسّم المُجيد فهنالك لا خفآء عليه فى ما يريدان
وانا اعرف فتىً وجارية كانا يتحابّان فارادها فى بعض وصلها على بعض ما ٢٠
25b لا يجمل فقالت والله لأشكونّك فى المِلا علانية ولأفضحنّك فضيحـة مستورة
فلما كان بعد ايّام حضرت الجارية مجلس بعض اكابـر الملوك واركان
الدولة واجلّ رجال الخلافة وفيه ممّن يُتوقّى امره من النسآء والخدم عدد ٢٢

(1) MS الامر.

كثير وفى جملة الحاضرين ذلك الفتى لانّه كان بسبب من الرئيس وفى المجلس مُغنّيات غيرها فلما انتهى الغناء اليها سوّت عودها و اندفعت تغنّى بابيات قديمة وهى

غَزَالٌ قَدْ حَكَى بَدْرَ التَّمَامِ * كَشَمْسٍ قَدْ تَجَلَّتْ مِنْ غَمَامِ
سَبَى قَلْبِى بِأَلْحَاظٍ مِرَاضٍ * وَقَدِّ الغُصْنِ فى حُسْنِ القَوَامِ ٥
خَضَعْتُ خُضُوعَ صَبٍّ مُسْتَكِينٍ * لَهُ وَذَلَلْتُ ذِلَّةَ مُسْتَهَامِ
فَصِلْنِى يَا فَدَيْتُكَ فِى حَلَالٍ * فَمَا أَهْوَى وِصَالاً فى حَرَامِ

وعلمت انا هذا الامر فقلت

عِتَابٌ وَاقِعٌ وَشَكَاةُ ظُلْمٍ * أَتَتْ مِنْ ظَالِمٍ حَكَمٍ وَخَصْمِ
تَشَكَّتْ مَا بِهَا لَمْ يَدْرِ خَلْقٌ * سِوَى المَشْكُوِّ مَا كَانَتْ تُسَمِّى ١٠

بَابُ الإِشارَةِ بالعَيْنِ

26a ثم يتلو التعريضَ بالقول اذا وقع القبول والموافقة الاشارة بلحظ العين وانّه ليقوم فى هذا المعنى المقام المحمود ويبلغ المبلغ العجيب ويُقطع به ويتواصل ويوعد ويُهدّد وينتهر ويبسط ويُؤمر ويُنهى وتُضرب[1] بـه الاوغاد ويُنبه على الرقيب ويضحك ويحزن ويُسئل ويُجاب ويمنع ويعطى.ولكل واحد من ١٥ هذه المعانى ضرب من هيئة اللحظ لا يُوقف على تحديده الّا بالرؤية ولايمكن تصويره ولا وصفه الّا الاقلّ منه.وانا واصف ما تيسّر من هذه المعانى فالاشارة بمُؤخر العين الواحدة نهى عن الامر وتفتيرها اعلام بالقبول وادامة نظرها دليل على التوجّع والاسف وكسر نظرها آية الفرج والاشارة الى اطباقها دليل على التهديد وقلب الحدقة الى جهة ما ثم صرفها بسرعة تنبيه على ٢٠ مشار اليه والاشارة الخفيّة بمُؤخر العينين كلتاهما سؤال وقلب الحدقة من وسط العين الى المآقِ بسرعة شاهد المنع وترعيد الحدقتين من وسط العينين

(1) MS تصرب.

26b فهى عامّ وسائر ذلك لايدرك الّا بالمشاهدة. واعلم انّ العين تنوب عن الرّسل ويدرك بها المرادُ والحواسّ الاربع ابواب الى القلب ومنافذ نحو النفس والعين ابلغها واصحّها دلالةً واوعاها عملا و هى رائد النفس الصادق و دليلها الهادى ومرآتها المجلوّة التى بها تقف على الحقائق وتحوز الصفات وتفهم المحسوسات وقد قيل ليس المخبر كالمعاين وقد ذكر ذلك افليمون ٥ صاحب الفراسة وجعلها معتمدةً فى الحكم وبحسبك من قوّة ادراك العين انها اذا لاقى شعاعها شعاعًا مجليًا صافيا إمّا حديدا مفصولا او زجاجا[1] او ماء او بعض الحجارة الصافية اوسائر الاشياء المجلوّة البرّاقة ذوات الرفيف و البصيص واللمعان يتّصل اقصى حدوده بجسم كثيف ساتر منّاع كدر انعكس شعاعها فادرك الناظر نفسه وحازها عيانا. وهو الذى ترى فى المرآة ١٠ فانتَ حينئذ كالناظر اليك بعين غيرك. ودليل عيانى على هذا انّك تاخذ مرآتين كبيرتين فتمسك احداها بيمينك خلف رأسك والثانية بيسارك قبالة 27a وجهك ثم تزويها قليلا حتى يلتقيان بالمقابلة فانّك ترى قفاك وكل ما وراءك وذلك لانعكاس ضوء العين الى ضوء المرآة التى خلفك اذ لم تجد منفذا فى التى بين يديك ولمّا لم تجد وراء هذه الثانية منفذا انصرف الى ما قابله ١٥ من الجسم. وان كان صالح غلام ابى اسحق النظّام خالف فى الادراك فهو قول ساقط لم يوافقه عليه احد و لو لم يكن من فضل العين الّا انّ جوهرها ارفع الجواهر واعلاها مكانا لانّها نوريّة لاتدرك الالوان بسواها ولا شىء ابعد مرىً ولا انأى غاية منها لانّها تدرك بها أجرام الكواكب التى فى الأفلاك البعيدة وترى بها السماء على شدّة ارتفاعها وبعدها وليس ذلك الّا ٢٠ لاتّصالها فى طبع خلقتها بهذه المرآة فهى تدركها وتصل اليها بالظفر لا على قطع الاماكن والحلول فى المواضع وتنقّل الحركات وليس هذا لشىء من الحواسّ مثل الذوق واللمس لايدركان الّا بالمجاورة والسمع والشمّ لايدركان الّا من 27b قريب ودليل على ما ذكرناه من الظفر انّك ترى المصوّت قبل سماع ٢٤

---

(1) MS رجاجا.

الصوت وان تعمّدت ادراكهما معًا ولو كان ادراكهما واحدًا لما تقدّمت
العين السمع

← hier gebleven

بَابُ المُرَاسَلَةِ

ثم يتلو ذلك اذا امتزجا المراسلة بالكتب وللكتب آيات ولقد رأيت
اهل هذا الشأن يبادرون لقطع الكتب وبحلّها فى الماء وبمحو اثرها فربّ ٥
فضيحة كانت بسبب كتاب وفى ذلك اقول

عَزِيزٌ عَلَيَّ اليَوْمَ قَطْعُ كِتَابِكُمْ * وَلَكِنَّهُ لَمْ يُلْفَ لِلْوُدِّ قَاطِعُ
فَآثَرْتُ أَنْ يَبْقَى وِدَادٌ وَيَمْتَحِى * مِدَادٌ فَإِنَّ الفَرْعَ لِلأَصْلِ تَابِعُ
فَكَمْ مِنْ كِتَابٍ فِيهِ مِيتَةُ رَبِّهِ * وَلَمْ يَدْرِهِ إِذْ نَمَّقَتْهُ الأَصَابِعُ

وينبغى ان يكون شكل الكتاب الطف الاشكال وجنسه املح الأجناس ١٠
ولعمرى انّ الكتاب للسان فى بعض الأحايين امّا لحَصَر فى الانسان وامّا
لحياء وامّا لهيبة. نعم حتى انّ لوصول الكتاب الى المحبوب وعلم المحب انّه
قد وقع بيده ورآه للذّةً يجدها المحب عجيبةً تقوم مقام الرؤية. وانّ لردّ
28a الجواب والنظر اليه سرورا يعدل اللقاء ولهذا ما ترى العاشق يضع الكتاب
على عينيه وقلبه ويعانقه ولعهدى ببعض اهل المحبّة ممّن كان يدرى ما ١٥
يقول ويحسن الوصف ويعبر عمّا فى ضميره بلسانه عبارة جيّدة ويجيد النظر
ويدقّق فى الحقائق لايدع المراسلة وهو ممكن الوصل قريب الدار أتى المزار
ويحكى أنّها وجوه اللذّة ولقد أُخبرت عن بعض السقّاط الوضعاء انّه كان
يضع كتاب محبوبه على احليله وانّ هذا النوع من الاغتلام[1] قبيح وضرب
من الشبق فاحش وامّا سقى الحِبْر بالدمع فاعرف من كان يفعل ذلك ٢٠
ويقارضه محبوبه بسقى الحِبْر بالريق وفى ذلك اقول

جَوَابٌ أَتَانِى عَنْ كِتَابٍ بَعَثْتُهُ * فَسَكَّنَ مُهْتَاجًا وَهَيَّجَ سَاكِنَا
سَقَيْتُ بِدَمْعِ العَيْنِ لَمَّا كَتَبْتُهُ * فَعَالَ مُحِبٍّ لَيْسَ فِى الوُدِّ خَائِنَا ٢٢

---

(1) MS الاعتلام.

فَمَا زَالَ مَاءُ العَيْنِ يَمْحُو سُطُورَهُ * فَيَا مَاءَ عَيْنِى قَدْ مَحَوْتَ المَحَاسِنَا
غَدَا بِدُمُوعِى أَوَّلُ الخَطِّ بَيِّنًا * وَأَضْحَى بِدَمْعِى آخِرُ الخَطِّ بَائِنَا

28b خبر ولقد رأيت كتابَ المحبّ الى محبوبه وقد قطع فى يده بسكّين له فسال الدم واستمدّ منه وكتب به الكتاب اجمعَ ولقد رأيت الكتاب بعد جفوفه ٥ فما شككت انّه بصبغ اللكّ

بَابُ السَّفِير

ويقع فى الحبّ بعد هذا بعد حلول الثقة وتمام الاستئناس ادخال السفير. ويجب تخيّره وارتياده واستجادته واستفراهه فهو دليل عقل المرء وبيده حياته وموته وستره وفضيحته بعد الله تعالى فينبغى ان يكون الرسول ذا هيأة حاذقا يكتفى بالاشارة ويقرطس عن الغائب ويحسن من ذات نفسه ١٠ ويضع من عقله ما اعقله باعثه ويؤدّى الى الذى ارسله كل ما يشاهد على وجهه كاتما للاسرار حافظا للعهد وفيّا قنوعا ناصحا ومن تعدّى هذه الصفات كان ضرره على باعثه بمقدار ما نقصه منها وفى ذلك اقول شعرا منه

رَسُولُكَ سَيْفٌ فِى يَمِينِكَ فَاسْتَجِدْ * حُسَامًا وَلَا تَضْرِبْ بِهِ قَبْلَ سَقْلِهِ
29a فَمَنْ يَكُ ذَا سَيْفٍ كَهَامٍ فَضُرُّهُ * يَعُودُ عَلَى المَعْنِىِّ مِنْهُ بِجَهْلِهِ ١٥

واكثر ما يستعمل المحبّون فى ارسالهم الى من يحبّونه امّا خاملا لايؤبه له ولا يهتدى للتحفّظ منه لصباه اولهيأة رثّة اوبدادة فى طلعته واما جليلا لاتلحقه الظنن لنسك يظهره اولسنّ عالية قد بلغها وما اكثر هذا فى النسآء ولا سيّما ذوات العكاكيز والتسابيح والثوبين الاحمرين وانّى لأذكر بقرطبة التحذير[1] للنسآء المحدّثات من هذه الصفات حيث ما رأينها او ذوات صناعة يُقرب بها ٢٠ من الاشخاص فمن النسآء كالطبيبة والحجّامة والسرّاقة[2] والدلّالة والماشطة والنائحة والمغنّية والكاهنة والمعلّمة والمستخفّة والصناع فى المغزل والنسج وما اشبه ذلك او ذا قرابة من المرسَل اليه لا يشحّ بها عليه. فكم منيع سهُل بهذه ٢٣

(1) MS التحدير.   (2) MS.

الاوصاف وعسير يسر وبعيد قرب وجموح أنس وكم داهية دهيت الحجب
29b المصونة والأستار الكثيفة والمقاصير المحروسة والسدد المضبوطة لأرباب هذه
النعوت. و لولا ان أنبّه عليها لما ذكرتها ولكن لقطع النظر فيها وقلّة الثقة
بكل احد. والسعيد من وُعظ بغيره وبالضدّ اسبل الله علينا وعلى جميع
٥ المسلمين ستره ولا ازال عن الجميع ظلّ العافية. خبر وانّى لاعرف من كانت
الرسول بينهما حمامة مؤدّبة ويُعقد الكتاب فى جناحها و فى ذلك اقول
قطعة منها

تَخَيَّرَهَا نُوحٌ فَمَا خَابَ ظَنُّهُ * لَدَيْهَا وَجَاءَتْ نَحْوَهُ بِالبَشَائِرِ
سَأُودِعُهَا كُتْبِي إِلَيْكَ فَهَاكَهَا * رَسَائِلُ تُهْدَى فِي قَوَادِمِ طَائِرِ

١٠ بَابُ طَيِّ السِرِّ

ومن بعض صفات الحبّ الكتمان باللسان وجحود المحبّ ان سُئِلَ
والتصنّع باظهار الصبر وأن يُرى انّه عزهاة خليّ ويأبى السرّ الدقيق ونار
30a الكلف المتأجّجة فى الضّلوع الاّ ظهورًا فى الحركات والعين ودبيبًا كدبيب
النار فى الفحم والماء فى يبيس المدر وقد يمكن التمويه فى اوّل الامر على غير
١٥ ذى الحسّ اللطيف و امّا بعد استحكامه فمحال. وربّما يكون السبب فى
الكتمان تصاون المحبّ عن ان يسم نفسه بهذه السمة عند الناس لانّه
يزعمه من صفات اهل البطالة فيفرّ منه و يتفادى منه. وما هذا وجه التصحيح
فبحسب المرء المسلم ان يعفّ عن محارم الله عزّ وجلّ التى يأتيها باختياره
ويحاسب عليها يوم القيامة وأمّا استحسان الحسن وتمكّن الحبّ فطبع لا يُؤْمَرُ به
٢٠ ولا يُنْهَى عنه. اذ القلوب بيد مقلّبها ولا يلزمها غير المعرفة والنظر فى فرق
ما بين الخطاء و الصواب و ان يعتقد الصحيح باليقين و أمّا المحبّة فخلقة
و انّما يملك الانسان حركات جوارحه المكتسبة وفى ذلك اقول

٢٣ يَلُومُ رِجَالٌ فِيكَ لَمْ يَعْرِفُوا الهَوَى * وَسِيَّانِ(١) عِنْدِي فِيكَ لَاحٍ وَسَاكِتُ

(١) MS سَيَّان.

يقُولُونَ جَانَبْتَ التَصَاوُنَ جُمْلَةً * وَ أَنْتَ عَلَيْهِمْ بالشَرِيعَـةِ قَانِتُ
فَقُلْتُ لَهُمْ هَذَا الرِيَاءُ بِعَيْنِـه * صُرَاحًا وَزِيُّ للمُرَائِينَ مَاقِتُ
مَتَى جَآءَ تَحْرِيمُ الهَوَى عَنْ مُحَمَّدٍ * وَهَلْ مَنْعُهُ فِي مُحْكَمِ الذِكْرِ ثَابِتُ
إِذَا لَمْ أُوَاقِعْ مُحَرَّمًا أَتَّقِي بِـهِ * مَجِيئِ يَوْمَ البَعْثِ وَالوَجْهُ بَاهِتُ
فَلَسْتُ أُبَالِي فِي الهَوَى قَوْلَ لَائِمٍ * سَوَآءٌ لَعَمْرِي جَاهِرٌ أَوْ مُخَافِتُ ٥
وَهَلْ يَلْزَمُ الإِنْسَانَ إِلَّا ٱخْتِيَارُهُ * وَهَلْ بِخَبَايَا اللَفْظِ يُؤْخَذُ صَامِتُ

خبر وانّى لأعرف بعض من امتحن بشىء من هذا فسكن الوجد بين جوانحه فرام جحده الى ان غلظ الامر وعرف ذلك فى شمائله من تعرّض للمعرفـة 31a و من لم يتعرّض. وكان من عرض له بشىء نجهه و قبّحه الى ان كان من أراد الحظوة[1] لديه من اخوانه يوهمه تصديقه فى انكاره و تكذيب من ١٠ ظنّ به غير ذلك فسُرّ بهذا و لعهدى به يومًا قاعدًا ومعه بعض من كان يعرّض له بما فى ضميره وهو ينتفى غاية الانتفاء اذا اجتاز بهمـا الشخص الذى كان يُتّهم بعلاقته فما هو الّا ان وقعت عينه على محبوبه حتى اضطرب و فارق هيأته الاولى و اصفرّ لونه وتفاوتت معانى كلامه بعد حسن تثقيف فقطع كلامه المتكلّم معه فلقد استدعى ما كان فيه من ذكره فقيل له مـا ١٥ عدا عن ما بـدا فقال هو ما تظنّون عُذر من عُذر و عُذل من عُذل ففى ذلك اقول شعرا منه

مَا عَاشَ إِلَّا لِأَنَّ المَوْتَ يَرْحَمُهُ * مِمَّا يُرَى مِنْ تَبَارِيحِ الضَنَى فيه

وانا اقول

دُمُوعُ الصَبِّ تَنْسَفِكُ * وَ سِتْرُ الصَبِّ يَنْهَتِكُ ٢٠
كَأَنَّ القَلْبَ إِذْ يَبْدُو * قَطَاةٌ ضَمَّهَا[2] شَرَكُ
فَيَـا أَصْحَابَنَـا قُولُوا * فَإِنَّ الرَّأْيَ مُشْتَرَكُ 31b
إِلَى كَمْ ذَا أُكَاتِمُـهُ * وَمَا لِي عَنْهُ مُتَّرَكُ ٢٢

---

(١) MS الحطوة. (٢) MS صمّها.

وهذا انّما يعرض عند مقاومة طبع الكتمان والتصاون لطبع المحبّ و غلبته فيكون صاحبه متحيّرًا بين نارين محرقتين و ربّما كان سبب الكتمان ابقاء المحبّ على محبوبه وانّ هذا لمن[1] دلائل الوفآء وكرم الطبع وفى ذلك اقول

دَرَى النَّاسُ أَنِّى فَتًى عَاشِقٌ * كَئِيبٌ مُعَنًّى وَ لَكِنْ بِمَنْ
إِذَا عَايَنُوا حَالَتِى أَيْقَنُوا * وَإِنْ فَتَّشُوا رَجَعُوا فِى الظَّنَنْ ٥
كَخَطٍّ يُرَى رَسْمُهُ ظَاهِرًا * وَإِنْ طَلَبُوا شَرْحَهُ لَمْ يَبِنْ
كَصَوْتِ حَمَامٍ عَلَى أَيْكَةٍ * يُرَجِّعُ بِالصَّوْتِ فِى كُلِّ فَنْ
تَلَذُّ بِفَحْوَاهُ أَسْمَاعُنَا * وَ مَعْنَاهُ مُسْتَعْجِمٌ لَمْ يَبِنْ
يَقُولُونَ بِاللّٰهِ سَمِّ ٱلَّذِى * نَفَى حُبُّهُ عَنْكَ طِيبَ الوَسَنْ
وَهَيْهَاتَ دُونَ ٱلَّذِى حَاوَلُوا * ذَهَابُ العُقُولِ وَخَوْضُ الفِتَنْ ١٠
فَهُمْ أَبَدًا فِى ٱخْتِلَاجِ الشُّكُوكِ * بِظَنٍّ كَقَطْعٍ وَقَطْعٍ كَظَنْ

32a و فى كتمان السرّ اقول قطعة منها

لِلسِّرِّ عِنْدِى مَكَانٌ لَوْ يَحُلُّ بِهِ * حَتَّى إِذَا لَا ٱهْتَدَى رَيْبُ المَنُونِ لَهُ
أُمِيتُهُ[2] وَ حَيَاةُ السِّرِّ مِيتَتُهُ[3] * كَمَا سُرُورُ المُعَنَّى فِى الهَوَى الوَلَهُ

و ربّما كان سبب الكتمان توقّى المحبّ على نفسه من اظهار سرّه لجلالة قدر ١٥ المحبوب خبر ولقد قال بعض الشعرآء بقرطبة شعرًا تغزّل فيه بصبح أمّ المؤيّد رحمه الله فغنّت به جارية ادخلت على المنصور محمّد بن ابى عامر ليبتاعها فامر بقتلها خبر وعلى مثل هذا قتل احمد بن مغيث و استئصال آل مغيث والتسجيل عليهم ألّا يُستخدم بواحد منهم ابدًا حتى كان سببًا لهلاكهم و انقراض بيتهم فلم يبق منهم الّا الشريد الفالّ[4] وكان سبب ذلك ٢٠ تغزّله باحدى بنات الخلفآء ومثل هذا كثير و يحكى عن الحسن بن هانئ 32b انّه كان مغرما بحبّ محمّد بن هارون المعروف بابن زبيدة و احسّ منه ببعض ذلك فانتهره على ادامة النظر اليه فذكر عنه انّه قال انّه كان لا ٢٢

---

(1) MS. Après لمن on lit encore هو superflu. (2) MS امنيّه. (3) MS ميته. Dans le texte la leçon proposée par M. I. Kratchkovsky. (4) MS الفال.

يقدم ان يديم النظر اليه الاّ مع غلبة السكر على محمّد وربّما كان سبب
الكتمان ألاّ ينفر المحبوب اوينُفّر به فانّى ادرى من كان محبوبه لـه سكنًا و
جليسًا و لو باح بأقلّ سبب من انّه يهواه لكان منه مناط الثريّا قد تعلّت
نجومها وهذا ضرب من السياسة ولقد كان يبلغ من انبساط هذا المذكور
مع محبوبه الى فوق الغاية و ابعد النهاية فما هو الاّ ان باح اليه بما يجد صار ٥
لا يصل الى التافه البسير مع التيه ودالّة الحبّ وتمنّع الثقـة بملك الفؤاد
وذهب ذلك الانبساط و وقع التصنّع والتجنّى فكان اخًا فصار عبدًا ونظيرًا
فعاد اسيرًا و لو زاد فى برجه شيئا الى ان يعلم خاصّة المحبوب ذلك لما رآه
الاّ فى الطيف ولانقطع القليل والكثير ولعاد ذلك عليه بالضرر وربّما
33a كان من اسباب الكتمان الحيآء الغالب على الانسان وربّما كان من اسباب ١٠
الكتمان ان يرى المحبّ من محبوبـه انحرافًا وصدًّا ويكون ذا نفس ابيّة
فيستتر بما يجد لئلاّ يُشمت به عدوّ او يريهم ومن يحبّ هوان ذلك عليه[١]

بَابُ الإِذَاعَةِ

وقد نعرض فى الحبّ الاذاعة وهو من منكر ما يحدث من اعراضه .
ولها اسباب منها ان يريد صاحب هذا الفعل ان يتزيّن بزىّ المحبّين ١٥
ويدخل في عدادهم وهذه خلافة لاترضى وتخليج[٢] بغيض و دعوى فى الحبّ
زائفة وربّما كان من اسباب الكشف غلبة[٣] الحبّ وتسوّر الجهر على
الحيآء فلا يملك الانسان حينئذ لنفسه صرفًا ولا عدلاً وهذا من ابعد غايات
العشق و اقوى تحكّمه على العقل حتى يمثّل الحسن فى تمثال القبيح و القبيح فى
هيئة الحسن وهنالك يرى الخير شرًّا والشرّ خيرًا وكم من مصون الستر ٢٠
مسبل القناع مسدول الغطآء قد كشف الحبّ ستره وإباح حريمه و اهمل
33b حماه فصار بعد الصيانة علمًا وبعد السكون مثلاً و احبّ شىء اليه الفضيحة

---

(١) MS و عدو و بريهم و من يحب هو ان ذلك عليه.
(٢) MS تخليج.
(٣) MS علَيه.

فيما لو مثل له قبل اليوم لاعتراه النافض عن ذكره ولطالت استعاذته منه
فسهل ما كان وعرًا[١] وهان ما كان عزيزًا ولان ما كان شديدًا ولعهدى
بفتىً من سروات الرجال وعلية اخوانى قد دُهى بمحبّة جارية مقصورة فَلَّمَ[٢]
بها وقطعه حبّها عن كثير من مصالحه وظهرت آيات هواه لكل ذى بصر
الى ان كانت هى تعذله على ما ظهر منه ممّا يقوده اليه هوىً خبر وحدّثنى ٥
موسى بن عاصم بن عمرو قال كنت بين يدى ابى الفتح والدى رحمه الله
وقد امرنى بكتاب اكتبه اذ لمحت عينى جارية كنت اكلف بها فلم املك
نفسى و رميت الكتاب عن يدى وبادرت نحوها وبُهت ابى وظنّ انّه عرض
لى عارض ثم راجعنى عقلى فمسحت وجهى ثم عدت واعتذرت بانّه غلبنى
الرعاف واعلم انّ هذا داعية نفار المحبوب وفساد فى التدبير وضعف فى ١٠
34a السياسة وما شىء من الاشياء الاّ وللأخذ فيه سنّة وطريقة متى تعدّاها
الطالب او خرق[٣] فى سلوكها انعكس بعمله عليه وكان كدّه عناءً وتعبه هباءً
وبحثه زيادة وكُلفًا زاد عن وجه السيرة انحرافًا وفى تجنّبها اغْراقًا[٤] وفى غير
الطريق ايغالا ازداد عن بلوغ مراده بعدًا وفى ذلك اقول قطعة منها

وَلَا تَسْعَ فِى الْأَمْرِ الْجَسِيمِ تَهَازُئًا * وَلَا تَسْعَ جَهْرًا فِى الْيَسِيرِ تُرِيدُهُ ١٥
وَقَابِلْ أَفَانِينَ الزَّمَانِ مَتَى يَرِدْ * عَلَيْكَ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَمٌّ وُرُودُهُ
فَأَشْكَالُهَا مِنْ حُسْنِ سَعْيِكَ يَكْفِكَ الْـيَسِيرُ بِغَيْرٍ وَ الشَّرِيدُ شَرِيدُهُ
أَلَمْ تُبْصِرِ الْمِصْبَاحَ أَوَّلَ وَقْدِهِ * وَ إِشْعَالِهِ بِالنَّفْخِ يُطْفَا وُقُودُهُ
وَإِنْ يَتَضَرَّمْ نَفْخُهُ وَ لَهِيبُهُ * فَنَفْخُكَ يُذْكِيهِ وَ تَبْدُو مُدُودُهُ

34b خبر وانّى لأعرف من اهل قرطبة من ابناء الكتّاب وجلّة الخدمة من اسمه ٢٠
احمد بن فتح كنت اعهده كثير التصاون من بغاة العلم وطلّاب الادب
بيد اصحابه فى الانقباض ويفوت فى الدعة لايظهر الاّ فى حلقة فضل ولا
يُرى الاّ فى محفل مرضىّ محمود المذاهب جميل الطريقة بائنًا بنفسه ذاهبًا
بها ثم ابعدت الاقدار دارى من داره فاوّل خبر طرًا علىّ بعد اطاءتى ٢٤

(١) MS وعزا. (٢) MS فلم. (٣) MS حرق. (٤) MS اعراقًا.

شاطبة انّه خلع عذاره فى حبّ فتىً من ابناء الفتّانين يسمّى ابرهيم بن احمد
اعرفه لانستأهل صفاته المحبّة من بيته خير وتقدّم واموال عريضة و وفر
تالد وصحّ عندى انه كشف رأسه وأبدى وجهه ورمى رسنه وحسر محياه
وشمر عن ذراعيه وصد صمد الشهوة فصار حديثًا للسمّار ومدافعًا بين نقلة
الأخبار و تُهُودِىَ ذكره فى الاقطار وجرت نقلته فى الارض راحلة بالتعجّب ٥
ولم يحصل من ذلك الاّ على كشف الغطاء واذاعة السرّ وشنعة الحديث
وفتح الاحدوثة وشرود محبوبه عنه جملة والتحظير عليه من رؤيته البتّة وكان
35a غنيًّا عن ذلك وبمندوحة واسعة ومعزل رحب عنه ولو طوى مكنون سرّه
واخفى بليّات ضميره لاستدام لباس العافية ولم ينهج برد الصيانة ولكان له
فى لقاء من بُلِى[1] به ومحادثته ومجالسته امل من الآمال وتعلّل كافٍ وانّ ١٠
حبل الغدر ليقطع به والحجّة عليه قائمة إلاّ ان يكون مختلطاً فى تمييزه او
مصابًا فى عقله بجليل ما قدحه فربّما آل ذلك لغدر صحيح واَمّا ان كانت
بقيّة اوثبتت مسكة فهو ظالم فى تعرّضه مايعلم أنّ محبوبه يكرهه ويتأذّى به
هذا غير صفة اهل الحبّ وسيأتى هذا مفسّرًا فى باب الطاعة ان شآء الله تعالى

ومن اسباب الكشف وجه ثالث ١٥

وهو عند اهل العقول وجه مرذول وفعل ساقط وذلك ان يرى
المحبّ من محبوبه غدرًا او ملًلا اوكراهةً فلا يجد طريق الانتصاف منه الاّ بما
ضرره عليه اعود منه على المقصود من الكشف والاشتهار وهذا اشدّ العار
35b واقبح الشتار واقوى بشواهد عدم العقل و وجود السخف وربّما كان
الكشف من حديث ينتشر واقاويل تفشو وتوافق قلّة مبالاة من المحبّ بذلك ٢٠
ورضىً بظهور سرّه إمّا لاعجاب وإمّا لاستظهار على بعض ما يؤمله وقد رأيت
هذا الفعل لبعض اخوانى من ابناء القوّاد وقرأت فى بعض اخبار الاعراب
انّ نساءهم لايقنعن[2] ولا يصدّقن عشق عاشق لهنّ حتى يشتهر ويكشف ٢٢

---

(1) MS بلى. Dans le texte leçon proposée par M. Snouck Hurgronje. (2) MS peu sûr.

حبّه ويجاهر ويعلن وينوّه بذِكرهنّ ولا ادرى ما معنى هذا على أنّه يُذكر عنهنّ العفاف وايّ عفاف مع امرأة اذ اقصى مناها[1] وسرورها الشهرة[2] فى هذا المعنى

بَابُ الطَّاعَةِ

ومن عجيب ما يقع فى الحبّ طاعة المحبّ لمحبوبه وصرفه طباعه قسرًا الى ٥ طباع من يحبّه ......[3] المرء شرس الخلق صعب الشكيمة جموح القياد ماضى العزيمة حمىّ الانف أبىّ الخسف فما هو الّا ان يتنسّم نسيم الحبّ ويتورّط غمره ويعوم فى بحره عادت الشراسة ليانًا والصعوبة سهلة والمضاء كلالةً والحميّة استسلامًا وفى ذلك اقول قطعة منها 36a

فَهَلْ لِلْوِصَالِ إِلَيْنَا مَعَادُ * وَهَلْ لِتَصَارِيفِ ذَا الدَهْرِ حَدْ ١٠
فَقَدْ أَصْبَحَ السَّيْفُ عَبْدَ القَضِيبِ * وَأَضْحَى[4] الغَزَالُ الأَسِيرُ أَسَدْ

واقول شعرًا منه

وَإِنِّى وَإِنْ تَعْتِبْ لَأَهْوَنُ هَالِكٍ * كَذَائِبِ نَقْرٍ زَلَّ مِنْ يَدِ جَهْبَذِ
عَلَى أَنَّ قَتْلِى فِى هَوَاكَ لَذَاذَةٌ * فَيَا عَجَبًا مِنْ هَالِكٍ مُتَلَذِّذِ

ومنها ١٥

وَلَوْ أَبْصَرَتْ أَنْوَارَ وَجْهِكَ فَارِسُ * لَأَغْنَاهُمُ عَنْ هَرْمُـزَانٍ وَمُوْبَذِ

وربّما كان المحبوب كارهًا لاظهار الشكوى متبرّمًا بسماع الوجد فترى المحبّ حينئذ يكتم حزنه ويكظم أسفه وينطوى على علّته وانّ الحبيب متجنّ فعندها يقع الاعتذار عند كل ذنب والاقرار بالجريمة والمرء منها برىء تسليمًا لقوله وتركًا لمخالفته وانّى لأعرف من دهى بمثل هذا فما كان ينفكّ من توجيه الذنوب ٢٠ نحوه ولا ذنب له وايقاع العتاب عليه والسخط وهوى نقىّ الجلد واقول شعرًا الى بعض اخوانى و يقرب ممّا نحن فيه وان لم يكن شعرًا منه 36b

(١) MS peu sûr. Dans le texte leçon proposée par M. Snouck Hurgronje.
(٢) MS الشهوة. (٣) MS tout à fait illisible. (٤) MS اصحى.

وَقَدْ كُنْتَ تَلْقَانِي بِوَجْهٍ لِقُرْبِهِ * تَدَانٍ وَالْهِجْرَانُ عَنْ قُرْبِهِ سَخْطُ
وَمَا تَكْرَهُ الْعَتْبَ الْيَسِيرَ سَجِيَّتِي * عَلَى أَنَّهُ قَدْ عِيبَ فِي الشِّعْرِ الوَخْطُ
فَقَدْ يَتْعَبُ الإِنْسَانُ فِى الفِكْرِ نَفْسَه * وَقَدْ يَحْسُنُ الخِيلَانُ فِي الوَجْهِ وَالنَّقْطُ
تَزِينُ إِذَا قَلَّتْ وَيَفْحِشُ أَمْرُهَا * إِذَا أَفْرَطَتْ يَوْمًا وَهَلْ يُحْمَدُ الفَرْطُ

ومنه ٥

أَعِنْهُ فَقَدْ أَضْحَى لِفَرْطِ هُمُومِهِ * يُبَكِّي إِذَ ٱلقِرْطَاسُ وَالحِبْرُ وَالخَطُّ

37a ولا يقولنّ قائل انّ صبر المحبّ على ذلّة المحبوب دناءة فى النفس فقد اخطأ وقد علمنا انّ المحبوب ليس له كفوًا ولا نظيرًا فيقارض بأذاه[1] وليس سبّه وجفاءه ممّا يعيّر به الانسان ولايبقى ذكره على الاحقاب ولايقع ذلك فى مجالس الخلفآء ولا فى مقاعد الرؤسآء فيكون الصبر مستجرّة للمذلّة وضراعة ١٠ قائلة للاستهانة فقد ترى الانسان يكلف بأمته التى يملك رقّها ولا يحول حائل بينه وبين التعدّى عليها فكيف الانتصار منها وسبل الامتعاض من السيّد[2] غير هذه انّما ذلك بين علية الرجال الذين تحصل انفاسهم وتتبع معانى كلامهم فتوجّه لها الوجوه البغيئة لانّهم لايوقعونها سُدًى ولا يُلقونها هملاً وامّا المحبوب فصعدة ثابتة وقضيب مناد يجفو ويرضى متى شاء لا لمعنًى وفى ١٥ ذلك اقول

لَيْسَ التَّذَلُّلُ فِي الهَوَى يُسْتَنْكَرُ * فَالحُبُّ فِيهِ يَخْضَعُ المُسْتَكْبِرُ
لَا تَعْجَبُوا مِنْ ذِلَّتِي فِي حَالَةٍ * قَدْ ذَلَّ فِيهَا قَبْلِيَ المُسْتَنْصِرُ
37b لَيْسَ الحَبِيبُ مُمَاثِلًا وَمُكَافِيًا * فَيَكُونَ صَبْرُكَ ذِلَّةً إِذْ تَصْبِرُ
تُفَّاحَةٌ وَقَعَتْ فَآلَمَ[3] وَقْعُهَا * هَلْ قَطْعُهَا مِنْكَ ٱنْتِصَارًا يُذْكَرُ ٢٠

خبر وحدّثنى ابو دلف الورّاق عن مسلمة ابن احمد الفيلسوف المعروف بالمرجيطىّ[4] انّه قال فى المسجد الذى بشرقىّ مقبرة قريش بقرطبة الموازى لدار

(١) MS باداه. (٢) MS السبب. (٣) MS فالم. (٤) MS بالموجيط.
Texte corrigé selon l'indication de M. Julian Ribera.

الوزير ابى عمر احمد بن محمّد بن جدير رحمه الله فى هذا المسجد كان
مريض مقدّم بن الاصفر ايّام حداثته لعشق بعجيب فتى الوزير ابى عمر
المذكور وكان يترك الصلاة فى مسجد مسرور وبها كان سكناه ويقصد فى
الليل والنهار الى هذا المسجد بسبب عجيب حتّى اخذه الحرس غيرما مرّة فى
الليل فى حين انصرافه عن صلاة العشآء الآخرة وكان يقعد وينظر منه ٥
الى ان كان الفتى يغضب ويضجر ويقوم اليه فيوجعه ضربًا ويلطم خدّيه
38a وعينيه فيسرّ بذلك ويقول هذا والله اقصى امنيتى والآن قرّت عينى وكان
على هذا زمانًا يماشيه قال ابو دلف ولقد حدّثنا مسلم بهذا الحديث غير مرّة
بحضرة عجيب عند ما كان يرى من وجاهة مقدّم بن الاصفر و عرض جاهه
وعافيته فكانت حال مقدّم بن الاصفر هذا قد جلّت جدًّا واختصّ بالمظفّر ١٠
ابن ابي عامر اختصاصًا شديدًا واتّصل بوالدته واهله وجرى على يديه من
بنيان المساجد والسقايات وتسبيل وجوه الخير غير قليل مع تصرّفه فى كل
ما يتصرّف فيه اصحاب السلطان من العناية بالناس و غير ذلك خبر
واشنع من هذا انه كانت لسعيد بن منذر بن سعيد صاحب الصلاة فى
جامع قرطبة ايّام الحكم المستنصر بالله رحمه الله جارية يحبّها حبًّا شديدًا ١٥
فعرض عليها ان يعتقها ويتزوّجها فقالت له ساخرةً به و كان عظيم اللحية انّ
لحيتك استبشع عظمها فان حذفت(١) منها كان ما ترغبه(٢) فاعمل الجملين
فيها حتى لطفت ثم دعا بجماعة شهود واشهدهم على عتقها ثم خطبها الى نفسه
فلم ترض به وكان فى جملة من حضر اخوه حكم بن منذر فقال لمن حضر
38b اعرض عليها انّى اخطبها انا ففعل فاجابت اليه فتزوّجها فى ذلك المجلس ٢٠
بعينه ورضى بهذا العار الفادح على ورعه ونسكه و اجتهاده فانا ادركت
سعيدًا هذا وقتله البربر يوم دخولهم قرطبة عنوة وانتهابهم اياها وحكم المذكور
اخوه هو رأس المعتزلة بالاندلس وكبيرهم واستاذهم ومتكلّمهم وناسكهم وهو
مع ذلك شاعر طبيب وفقيه وكان اخوه عبد الملك بن منذر متّهمًا بهذا ٢٤

---

(١) .حدفت (٢) MS .نرغبه

المذهب ايضًا ولى خطّة الردّ[1] ايّام الحكم رضى الله عنه وهو الذى صلبه
المنصور بن ابى عامر اذ اتّهمه هو وجماعة من الفقهاء والقضاة بقرطبة انّهم
يبايعون سرًّا لعبد الرحمان ابن عبيد الله بن امير المومنين الناصر رضى الله
عنهم فقتل عبد الرحمن و صلب عبد الملك ابن منذر وبدّد شمل جميع
من اتّهم وكان ابوهم قاضى القضاة منذر ابن سعيد متّهمًا بمذهب الاعتزال ٥
ايضًا وكان اخطب الناس و اعلمهم بكلّ فنّ واورعهم واكثرهم هزلا و
39a دعابة وحكم المذكور فى الحياة فى حين كتابى اليك بهذه الرسالة قد كُفّ
بصره واسنّ جدًّا خبر ومن عجيب طاعة المحبّ لمحبوبه انّى اعرف من كان
سهر الليالى الكثيرة ولقى الجهد الجاهد فقطعت قلبه ضروب الوجد ثم ظفر
بمن يحبّ وليس به امتناع ولا عنده دفع فحين رأى منه بعض الكراهة لما ١٠
نواه تركه و انصرف عنه لا تعفّفًا ولا تخوّفًا لكن توقّفًا عند موافقة رضاه
ولم يجد من نفسه معينا على اتيان ما لم ير له اليه نشاطًا وهو يجد ما يجد
وانّى لأعرف من فعل هذا الفعل ثم تندّم تعذّر ظهر من المحبوب فقلت فى ذلك

غَافِصِ الفُرْصَةَ وَٱعْلَمْ أَنَّهَا * كَمُضِيِّ البَرْقِ تَمْضِى الفُرَصُ
كَمْ أُمُورٍ أَمْكَنَتْ أَمْهَلْتَهَا * هِىَ عِندِى إِذْ تَوَلَّتْ غُصَصُ ١٥
بَادِرِ الكَنْزَ ٱلَّذِى أَلْفَيْتَهُ * وَٱنْتَهِزْ[2] صَبْرًا كَبَازٍ[3] يَقْنِصُ

ولقد عرض مثل هذا بعينه لابى المظفّر عبد الرحمن ابن احمد بن محمود
39b صديقنا وانشدته ابياتًا لى فطار بها كلّ مَطَارٍ واخذها منّى فكان هجّيراه خبر
ولقد سألنى يومًا ابو عبد الله محمّد بن كليب من اهل القيروان ايّام كونى
بالمدينة وكان طويل اللسان جدًّا متفنّنًا للسؤال فى كل فنّ فقال لى وقد ٢٠
جرى[4] بعض ذكر الحبّ ومعانيه اذا كره من أُحبّ[5] لقائى وتجنّبت قربى
فما اصنع قلت ارى ان تسعى فى ادخال الروح على نفسك بلقائه وان كره

---

(١) MS خطبة الرى. Cf. Dozy, Supplément, I, 520, 2 et «Notices sur quelques manuscrits arabes», p. 155. (٢) MS انتهر. (٣) MS peu clair.
(٤) MS جرا (٥) MS احبَّ.

فقال لكنّى لا ارى ذلك بل اؤثر هواه على هواى ومراده على مرادى واصبر
واصبر ولو كان فى ذلك الحتف فقلت له انّى انّما احببتُه لنفسى ولالتذاذها
بصورته فانا اتبع قياسى واقود اصلى واقفو طريقتى فى الرغبة فى سرورها
فقال لى هذا ظلم من القياس اشدّ من الموت ما تُمنّى له الموت واعزّ من
النفس ما بُذلت له النفس فقلت له انّ بذلك نفسك لم يكن اختيارًا بل ٥
كان اضطرارًا ولو أمكنك ألاّ تبذلها لما بذلتها وتركك لقائه اختيارًا منك
40a انت فيه ملوم لاضطرارك بنفسك وادخالك الحتف عليها فقال لى انت
رجل جدلىّ ولا جدل فى الحبّ يلتفت فقلت له اذا كان صاحبه مأوُوفًا
فقال واىّ آفةٍ اعظم من الحبّ

بَابُ المُخَالَفَةِ ١٠

وربّما اتبع المحبّ شهوته وركب رأسه فبلغ شفاءه من محبوبه وتعمّد
مسرّته منه على كل الوجوه سخط او رضى ومن ساعده على الوقت هذا وثبت
جنانه وأُتيحت(1) له الاقدار استوفى لذّته جميعها وذهب غمّه وانقطع همّه
ورأى أمله وبلغ مرغوبه وقد رأيت من هذه صفته وفى ذلك اقول ابياتًا منها

إِذَا أَنَـا بَلَّغْتُ نَفْسِى المُنَى * مِنْ رَشَإٍ مَا زَالَ لِى مُمْرِضَا ١٥
فَمَا أُبَالِى الكُرْهَ مِنْ طَاعَةٍ * وَلَا أُبَالِى سَخَطًا مِنْ رِضَا
إِذَا وَجَدْتُ المَآءَ لَا بُدَّ أَنْ * أُطْفِى به مَشْعَلَ جَمْرِ الغَضَا

بَابُ العَاذِلِ

40b وللحبّ آفات فاوّلها العاذل والعذّال اقسام فاصلهم صديق قد اسقطت مؤونته
التحفّظ بينك وبينه فعذله افضل من كثير المساعدات وهى من الحظّ والنهى ٢٠
وفى ذلك زاجر للنفس عجيب وتقوية لطيفة لها عرض وعمل ودواء تشتدّ

(1) MS ابيحت.

عليه الشهوة ولا سيّما ان كان رفيقا من قوله حسن التواصل الى ما يراد
من المعانى بلفظه عالما بالاوقات التى يؤكّد فيها النهى وبالاحيان التى يزيد
فيها الامر والساعات التى يكون فيها وقفًا بين هذين على قدر ما يرى
من تسهيل العاشق وتوعّره وقبوله وعصيانه ثم عاذل زاجر لايفيق ابدًا من
الملامة وذلك خطب شديد وعند ثقيل و وقع لى مثل هذا وان لم يكن ٥
من جنس الكتاب ولكنّه يشبهه وذلك انّ ابا السرىّ عمار بن زياد صديقنا
اكثر من عذلى على نَحْوٍ نَحَوْتُه واعان على بعض من لامنى فى ذلك الوجه
ايضًا وكنت اظنّ انّـه سيكون معى مخطئًا كنت او مصيبًا لوكيد صداقتى
معه وصحيح اخوّتى به. ولقد رأيت من اشدّ وجع وعظم كلفه حتّى كان
العذل احبّ شىء اليه ليرى العاذل عصيانـه ويستلذّ مخالفته ويحصّل ١٠
41a مقاومته اللائمة وغلبته ايّاه كالملك الهازم لعدوّه والمجادل الماهـر الغالب
لخصمه ويسرّ بما يقع منه فى ذلك وربّما كان هذا المستجلب لعذل العاذل
باشياء يوردها توجب ابتداء العذل وفى ذلك اقول ابياتا منها

أَحَبُّ شَىءٍ إِلَىَّ اللَّوْمُ وَ العَذْلُ * كَىْ أَسْمَعَ ٱسْمَ ٱلَّذِى ذِكْرَاهُ لِى أَمَلُ
كَأَنَّنِى شَارِبٌ بالعَذْلِ صَافِيَـةً * وَبِٱسْمِ مَوْلَاىَ بَعْدَ الشَّرْبِ أَنْتَقِلُ ١٥

بَابُ المُسَاعِدِ مِنَ ٱلإِخْوَانِ

ومن الاسباب المتمنّاة فى الحبّ ان يهب الله عزّ وجلّ للانسان صديقًا
مخلصا لطيف القول بسيط الطول حسن المأخذ دقيق المنفذ[1] متمكّن البيان
مرهف اللسان جليل الحلم واسع العلم قليل المخالفة عظيم المساعفة شديـد
الاحتمال صابرًا على الادلال جمّ الموافقة جميل المخالفة مستوى المطابقـة ٢٠
41b محمود الخلائق مكفوف البوائق محتوم المساعدة كارهًا للمباعدة نبيل المداخل
مصروف الغوائل غامض المعانى عارفـا بالامـانى طيّب الاخلاق سرىّ
الاعراق مكتوم السرّ كثير البرّ صحيح الامانة مأمون الخيانـة كريم النفس ٢٢

(1) MS المقد.

نافذ الحسّ صحيح الحدس مضمون العون كامل الصون مشهور الوفآء ظاهر
الغنآء ثابت القريحة مبذول النصيحة مستيقن الوداد سهل الانقياد حسن
الاعتقاد صادق اللهجة خفيف المهجة عفيف الطباع رحب الذراع واسع
الصدر متخلّقا بالصبر يألف الامحاض ولا يعرف الاعراض يستريح اليه ببلابله
ويشاركه فى خلوة[1] فقره ويفاوضه فى مكتوماته وانّ فيه للمحبّ لأعظم الراحات ٥
واين هذا فان ظفرت به يداك فشدّها عليه شدّ الظنين وامسك بهما امساك
البخيل وصُنْه بطارفك وتالدك فمعه يكمل الانس وتنجلى الاحزان ويقصر
الزمان وتطيب الاحوال ولن يفقد الانسان من صاحب هذه الصفة عونًا
42a جميلاً ورأيًا حسنًا ولذلك اتّخذ الملوك الوزرآء والدخلآء كى يخفّفوا عنهم
بعض ما حملوه من شديد الامور وطوّقوه من باهض الاحمال ولكى ١٠
يستغنوا بارآئهم ويستمدّوا بكفايتهم والاّ فليس فى قوّة الطبيعة ان تقاوم
كلّ ما يرد عليها دون استعانة بما يشاكلها وهو من جنسها ولقد كان بعض
المحبّين لعدمه هذه الصفة من الاخوان وقلّة ثقته منهم لِمَا جرّبه من الناس
وانّه لم يعدم من باح اليه بشىء من سرّه احد وجهين امّا ازرآء على رأيه
وامّا اذاعةً لسرّه اقام الوحدة مقام الانس وكان ينفرد فى المكان النازح عن ١٥
الانيس ويناجى الهوى و يكلّم الارض ويجد فى ذلك راحة كما يجد المريض
فى التأوّه والمحزون فى الزفير فانّ الهموم اذا ترادفت فى القلب ضاق بها
فان لم ينضّ[2] منها شيئًا باللسان ولم يسترح الى الشكوى لم يلبث ان يهلك
غمًّا ويموت أسفًا[3]. وما رأيت الاسعاد اكثر منه فى النساء فعندهنّ
من المحافظة على هذا الشأن والتواصى بكتمانه والتواطئ على طيّه اذا اطلعن ٢٠
42b عليه ما ليس عند الرجال وما رأيت امرأة كشفت سرّ متحابّين الاّ وهى
عند النساء ممقوتة مستثقلة مرمية عن قوس واحدة وانّه ليوجد عند العجائز
فى هذا الشأن ما لا يوجد عند الفتيات لانّ الفتيات منهنّ ربّما كشفن
ما علمن على سبيل التغاير وهذا لا يكون الاّ فى الندرة وامّا العجائز ٢٤

(1) MS حلوة. (2) MS ينص. (3) MS après ce mot — اسفا ومارايت biffés.

فقد يئسن من انفسهنّ فانصرف الاشفاق محضًا الى غيرهنّ خبر وانّى لأعلم
امرأة موسرة ذات جوارٍ[1] وخدم فشاع على احدى جواريها انّها تعشق
فتىً من اهلها ويعشقها وانّ بينهما معانٍ[2] مكروهة وقيل لها انّ جاريتك
فلانة تعرف ذلك وعندها جليّة امرها فاخذتها وكانت غليظة العقوبة
فاذاقتها من انواع الضرب والاذاء ما لا يصبر[3] على مثله جلداء الرجال رجاء ٥
ان تبوح لها بشيء ممّا ذُكر لها فلم تفعل البتّة خبر وانّى لاعلم امرأة جليلة
حافظة لكتاب الله عزّ وجلّ ناسكة مقبلة على الخير وقد ظفرت بكتاب
لفتىً الى جارية كان يَكْلَف بها وكان فى غير ملكها فعرّفته الامر فرام
43a الانكار فلم يتهيّأ له ذلك فقالت له ما لك و من ذا عصم فلا تبالى بهذا
فوالله لا اطلعت على سرّكما احدًا ابدًا ولو امكنتنى ان أبتاعها لك من ١٠
مالى ولو احاط به كله لجعلتها لك فى مكان تصل اليها فيه ولا يشعر
بذلك احد و انّك لترى المرأة الصالحة المسنّة المنقطعة الرجاء من الرجال
واحبّ اعمالها اليها وارجاها للقبول عندها سعيها فى تزويج يتيمة و اعارة
ثيابها وحُليّها لعروس مقلّة وما اعلم علّة تمكّن هذا الطبع من النساء الّا انهّنّ
متفرّغات البال من كل شىء الّا من الجماع ودواعيه والغزل واسبابه والتألّف ١٥
ووُجوهه لا شغل لهنّ غيره ولا خلقن لسواه والرجال مقتسمون فى
كسب المال وصحبة السلطان وطلب العلم وحياطة العيال ومكابدة الاسفار
والصيد وضروب الصناعات ومباشرة الحروب وملاقاة الفتن وتحمّل
المخاوف وعمارة الارض وهذا كلّه متحيّف للفراغ صارف عن طريق البطل
و قرأت فى سير ملوك السودان انّ الملك منهم يوكّل ثقة له بنسائه يلقى ٢٠
43b عليهنّ ضريبة من غزل الصوف يشتغلن بها ابد الدهر لانّهم يقولون انّ
المرأة اذا بقيت بغير شغل انّما تشوّق الى الرجال وتحنّ الى النكاح ولقد
شاهدت النساء و علمت من اسرارهنّ ما لا يكاد يعلمه غيرى لأنّى ربيت
فى حجورهنّ ونشأت بين ايديهنّ ولم اعرف غيرهنّ ولا جالست الرجال الّا ٢٤

(1) MS جوارى.   (2) MS معانى.   (3) MS يضر.

وانا فى حدّ الشباب وحين يتقبّل وجهى وهنّ علمننى القرآن وروينى كثيرًا
من الاشعار ودرّبننى فى الخطّ ولم يكن وكدى واعمال ذهنى مذ اوّل فهمى
وانا فى سنّ الطفولة جدًّا إلّا تعرّف اسبابهنّ والبحث عن اخبارهنّ وتحصيل
ذلك وانا لا انسى شيئا ممّا اراه منهنّ واصل ذلك غيرة شديدة طبعت
عليها وسوء ظنّ فى جهتهنّ فطرت به فاشرفت من اسبابهنّ على غير قليل ٥
وسيأتى ذلك مفسّرًا فى ابوابه ان شاء الله تعالى

< hier gebleven

بَابُ الرَّقِيبِ

44a ومن آفات الحبّ الرقيب وانّه لحُمّى باطنة وبرسام مُلحّ وفكر مكبّ
والرقباء اقسام فاوّلهم مثقل بالجلوس غير متعمّد فى مكان اجتمع فيه المرء
مع محبوبه و عزمًا على اظهار شىء من سرّهما والبرح بوجدهما والانفراد ١٠
بالحديث ولقد يعرض للمحبّ من القلق بهذه الصفة ما لا يعرض له ممّا
هو اشدّ منها وهذا وان كان يزول سريعًا فهو عائق حال دون المراد وقطع
متوفّر الرجاء خبر ولقد شاهدت يومًا محبّين فى مكان قد ظنّا انّهما انفردا
فيه وتأهّبا للشكوى فاستجلبا ما هما فيه من الخلوة ولم يكن الموضع حِمًى فلم
يلبثا ان طلع عليهما من كانا يستثقلانه فرأى فعدل الىّ واطال الجلوس ١٥
معى فلو رأيت الفتى المحبّ وقد تمازج الأسف البادى على وجهه مع الغضب
لرأيت عجبًا وفى ذلك اقول قطعةً منها

يُطِيلُ جُلُوسًا وَهْوَ أَثْقَلُ جَالِسٍ * وَيُبْدِى حَدِيثًا لَسْتُ أَرْضَى فُنُونَهُ
شَمَامٍ وَرَضْوَى وَالْلُكَامُ وَيَذْبُلٌ * وَلُبْنَانُ وَالضَّمَانُ وَالحَرْبُ دُونَهُ

44b ثمّ رقيب قد احسّ من امرهما بطرف وتوجّس من مذهبهما شيئا فهو يريد ٢٠
ان يستبرى حقيقة ذلك فيُدمن الجلوس ويطيل القعود ويتجفّى بالحركات
ويرمق الوجوه ويحصّل الانفاس وهذا اعدا من الحرب و انّى لأعرف من
همّ ان يباطش رقيبًا هذه صفته و فى ذلك اقول قطعةً منها

مُوَاصِلٌ لَا يُغِبُّ قَصْدًا * أَعْظِمْ بِهَـذَا الوِصَالِ غَمًّا
صَارَ وَصِرْنَا لِفَرْطِ مَـا لَا * يَزُولُ كَالإِسْمِ وَالمُسَمَّى.

ثمّ رقيب على المحبوب فذلك لا حيلة فيه الاّ بترضيه و اذا أُرضى فذلك غاية اللذّة وهذا الرقيب هو الذى ذكرته الشعراء فى اشعارها ولقد شاهدت من تلطّف فى استرضاء رقيب حتى صار الرقيب عليه رقيبًا له ومتغافلاً فى ٥ وقت التغافل ودافعًا عنه وساعيًا له ففى ذلك اقول

وَرُبَّ رَقِيبٍ أَرْقَبُوهُ فَلَمْ يَزَلْ * عَلَى سَيِّدِى عَمْدًا لِيُبْعِدَنِى عَنْهُ
فَمَا زَالَتِ الاَلْطَافُ تُحْكِمُ أَمْرَهُ * إِلَى أَنْ غَدَا خَوْفِى لَهُ آمِنًا مِنْهُ 45a
وَكَانَ حُسَامًا سُلَّ حَتَّى يَهُدَّنِى * فَعَادَ مُحِبًّا مَـا لِنِعْمَتِهِ كُنْهُ

واقول قطعةً منها ١٠

صَارَ حَيَاةً وَكَانَ سَهْمَ رَدَى * وَكَانَ سَمًّا فَصَارَ دِرْيَاقَا

وانّى لأعرف من رقب على بعض من كان يُشفق عليه رقيبًا وثق به عند نفسه فكان اعظم الآفة عليه واصل البلآء فيه وامّا اذا لم يكن فى الرقيب حيلة ولا وُجد الى ترضيه سبيل فلا طمع الاّ بـالاشارة بالعين همسًا وبالحاجب احيانًا والتعريض اللطيف بالقول وفى ذلك متعة وبلاغ الى ١٥ حين يقنع به المشتاق وفى ذلك اقول شعرًا اوّله

عَلَى سَيِّدِى مِنِّى رَقِيبٌ مُحَافِظٌ * وَفِيٌّ لِمَنْ وَالَاهُ لَيْسَ بِنَاكِثِ

ومنه

وَيَقْطَعُ أَسْبَابَ اللُّبَانَةِ فِى الهَوَى * وَيَفْعَلُ فِيهَا فِعْلَ بَعْضِ الحَوَادِثِ
كَأَنَّ لَهُ فِى قَلْبِهِ رِيبَةً(١) تُرَى * وَفِى كُلِّ عَيْنٍ مُخْبِرٌ بِالأَحَادِثِ ٢٠ 45b

ومنه

عَلَى كُلِّ مَنْ حَوْلِى رَقِيبَانِ رُقِّبَا(٢) * وَقَدْ خَصَّنِى ذُو العَرْشِ مِنْهُمْ بِثَالِثِ

واشنع ما يكون الرقيب اذا كان ممّن امتحن بالعشق قديمًا ودُهى به وطالت ٢٢

(١) MS رئيةً (٢) MS رُقبا

مدته فيه ثم عرى عنه بعد احكامه لمعانيه فكان راغبًا فى صيانة من رقب
عليه فتبارك الله اىّ رقيب ياتى منه واىّ بلآء منصوب يحلّ على اهل الهوى
من جهته وفى ذلك اقول

رَقِيبٌ طَالَ مَا عَرَفَ الغَرَامَا * وَقَاسَى الوَجْدَ وَٱمْتَنَعَ المَنَامَا
وَلَاقَى فِى الهَوَى أَلَمًا أَلِيمًا * وَكَادَ الحُبُّ يُورِدُهُ الحِمَامَا ٥
وَأَيْقَنَ حِيلَةَ الصَّبِّ المُعَنَّى * وَلَمْ يَضَعِ الإِشَارَةَ وَالكَلَامَا
وَأَعْقَبَهُ التَسَلِّىَ بَعْدَ هَذَا * وَصَارَ يَرَى الهَوَى عَارًا وَذَامَا 46a
وَصَيَّرَ دُونَ مَنْ أَهْوَى رَقِيبًا * لِيُبْعِدَ عَنْهُ صَبًّا مُسْتَهَامَا
فَأَىُّ بَلِيَّةٍ صُبَّتْ عَلَيْنَا * وَأَىُّ مُصِيبَةٍ حَلَّتْ لِمَامَا

ومن طريق معانى الرقباء انّى أعرف محبّين مذهبهما واحد فى حبّ محبوب ١٠
واحد بعينه فلعهدى بهما كل واحد منهما رقيب على صاحبه وفى ذلك اقول

صَبَّانِ هَيْمَانَانِ فِى وَاحِدٍ * كِلَاهُمَا عَنْ خِدْنِهِ مُنْحَرِفْ
كَالكَلْبِ فِى الآرِىِّ لَا يَعْتَلِفْ * وَلَا يُخَلِّى الغَيْرُ أَنْ يَعْتَلِفْ

بَابُ الوَاشِى

46b ومن افات الحبّ الواشى وهو على ضربين احدها واشٍ يريد القطع ١٥
بين المتحابّين فقط وانّ هذا لأفترها سوأة على انه السمّ الذعاف والصاب
الممقر والحتف القاصد والبلآء الوارد وربّما لم ينجع ترقيشه واكثرما يكون
الواشى فالى المحبوب(١) وامّا المحبّ فهيهات حال الحريض دون القريض ومنع
الحرب من الطرب شغله بما هو مانع له من استماع الواشى وقد علم الوشاة
ذلك وانّما يقصدون الى الخلىّ البال الصائل بجورة الملك المتعتّب عند اقلّ ٢٠
سبب وانّ للوشاة ضروبًا من التنقيل(٢) فمنها ان يذكر للمحبوب عن من يحبّ
انّه غير كاتم للسرّ وهذا مكان صعب المعاناة بطىء البرء الّا ان يوافق معارضًا
للمحبّ فى محبّته وهذا امر يوجب النفار(٣) فلا فرج للمحبوب الّا بان تساعده ٢٢

(١) Proposé par M. Snouck Hurgronje; MS المحب. (٢) MS التنقيل. (٣) MS النقار.

الاقدار بالاطلاع على بعض اسرار من يحبّ بعد ان يكون المحبوب ذا عقل وله
47a حظّ من تمييز ثم يدعه والمطاولة فاذا تكذّب عنده نقل الواشى مع ما اظهر
من الجفآء و التحنّظ ولم يسع لسرّه اذاعة علم انه انّما زوّر له الباطل واضمحل
ما قام فى نفسه ولقد شاهدت هذا بعينه لبعض المحبّين مع بعض من كان
يحبّ وكان المحبوب شديد المراقبة عظيم الكتمان وكثر الوشاة بينهما حتى ٥
ظهرت اعلام ذلك فى وجهه وحدث فى حبّ لم يكن وركبته رحمة واظلّته
فكرة ودهمته حيرة الى ان ضاق صدره وباح بما نُقل اليه فلو شاهدت مقام
المحبّ فى اعتذاره لعلمت انّ الهوى سلطان مطاع وبناء مشدود الاواخىّ
وسنان نافذ[١] وكان اعتذاره بين الاستسلام والاعتراف والانكار والتوبة
والرمى بالمقاليد[٢] فبعد لَأْيٍ[٣] ما صلح الامر بينهما وربّما ذكر الواشى انّ ما ١٠
يظهر المحبّ من المحبّة ليست بصحيحة وانّ مذهبه فى ذلك شفاء نفسه وبلوغ
وطره وهذا فصل[٤] وان كان شديدًا فى النقل فهو أيسر معاناةً ممّا قبله فحالة
المحبّ غير حالة المتلذّذ وشواهد الوجد متفرّقة بينهما وقد وقع من هذا نبذٌ
47b كافٍ فى باب الطاعة وربّما نقل الواشى انّ هوى العاشق مشترك وهذه
النار المحرقة والوجع الفاشى فى الاعضآء واذا وافق الناقل لهذه المقالة ان ١٥
يكون المحبّ فتىً حسن الوجه حلو الحركات مرغوبًا فيه مائلاً الى اللذّات
دُنْيَاوِيَّ الطبع و المحبوب امرأة جليلة القدر سريّة المنصب فاقرب الاشياء
سعيها فى اهلاكه وتصدّيها لحتفه فكم صريع على هذا السبب وكم من سُقى
السمّ فقُطع امعآءه لهذا الوجه وهذه كانت ميتة مروان ابن احمد ابن حدير[٥]
والد احمد المتنسّك وموسى وعبد الرحمن المعروفين بابنى لُبْنَى من قبل ٢٠
قطر الندى جاريته وفى ذلك اقول محذّرًا لبعض اخوانى قطعةً منها

وَهَل يَأْمَنُ النِسْوَانَ غَيْرُ مُغَفَّلٍ * جَهُولٍ لِأَسْبَابِ الرَدَى مُتَأَرِّضِ

(١) MS شنان نافد. (٢) Cf. Dozy, Supplément II, 394, 1. (٣) MS لاى.
(٤) MS فضل. (٥) MS جدير cf. Dozy, Hist. des Musulmans d'Espagne, III, 309 et plus bas, Ibn-Hazm, f. 95b.

وَكَمْ وَارِدٍ حَوْضًا مِنَ ٱلْمَوْتِ أَسْوَدٍ * تَرَشَّفَهُ مِنْ طَيِّبِ ٱلطَّعْمِ أَبْيَضِ

48a والثانى واشٍ يسعى للقطع بين المحبّين لينفرد بالمحبوب ويستأثر به وهذا اشدّ شىء واقطعه واجزم لاجتهاد الواشى واستفادة لجهده ومن الوشاة جنس ثالث وهو واشٍ يسعى بهما جميعًا ويكشف سرّهما وهذا لا يلتفت اليه اذا كان المحبّ مساعدًا

٥ وفى ذلك اقول

عَجِبْتُ لِوَاشٍ ظَلَّ يَكْشِفُ أَمْرَنَا * وَمَا بِسِوَى أَخْبَارِنَا يَتَنَفَّسُ
وَمَا ذَا عَلَيْهِ مِنْ عَنَائِى وَلَوْعَتِى * أَنَا آكِلُ ٱلرُّمَّانَ[1] وَٱلْوُلْدُ[2] يَضْرِسُ

ولابدّ ان اورد ما يشبه ما نحن فيه وان كان خارجًا منه وهو شىء فى بيان التنقيل[3] والنمائم فالكلام يدعو بعضه بعضًا كما شرطنا فى اوّل الرسالة ما فى جميع الناس شرّ من الوشاة وهم النمّامون وانّ النميمة لطبع يدلّ على ١٠ نتن الاصل ورداءة الفرع وفساد الطبع وخبث النشأة ولا بدّ لصاحبه من 48b الكذب والنميمة فرع من فروع الكذب ونوع من انواعه وكل نمّام كذّاب وما احببت كذّابًا قطّ وانّى لأسامح فى اخاء كل ذى عيب وان كان عظيمًا واكل امره الى خالقه عزّ وجلّ وآخر ما ظهر من اخلاقه حاشى من اعلمه يكذب فهو عندى ماحٍ لكل محاسنه ومعفٍّ على جميع خصاله ومذهب ١٥ كل ما فيه[4] فما ارجو عنده خيرًا اصلاً وذلك لانّ كل ذنب فهو يتوب عنه صاحبه وكل ذأم فقد يمكن الاستتار به والتوبة منه حاشى الكذب فلا سبيل الى الرجعة عنه ولا الى كتمانه حيث كان و ما رأيت قطّ ولا اخبرنى من رأى كذّابًا وترك الكذب ولم يعد اليه ولا بدأت قطّ بقطيعة ذى معرفة الاّ ان اطلع له على الكذب فحينئذ اكون انا القاصد الى مجانبته و المتعرّض ٢٠ لمتاركته وهى سمة ما رأيتها قطّ فى احد إلاّ وهو مزنون فى نفسه اليه بشقّ 49a مغموز[5] عليه لعاهة سوء فى ذاته نعوذ بالله من الخذلان وقد قال بعض الحكماء آخِ من شئت واجتنب ثلثة الاحمق فانّه يريد ان ينفعك يضرّك ٢٢

(1) Proposé par M. Snouck Hurgronje; MS الزّمان. (2) Proposé par M. I. Kratchkovsky; MS الودلُ. (3) MS التنقيل. (4) MS قيه. (5) MS معموز.

والملول فانّه اوثق ما تكون به لطول الصحبة وتأكّدها خذلك (١) والكذّاب فانّه يجنى عليك آمن ما كنت فيه من حيث لا تشعر و حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حسن العهد من الايمان وعنه عليه السلام لايُؤمن الرجل بالايمان كله حتي يدع الكذب فى المزاح حدّثنا بهما ابو عمر احمد
بن محمّد عن محمّد بن علىّ بن رفاعة عن علىّ بن عبد العزيز عن أبى ٥
عبيد القاسم بن سلام عن شيوخه والآخر منهما مسند الى عمر بن الخطّاب وابنه عبد الله رضى الله عنهما والله عزّ وجلّ يقول يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ ٱللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) وعن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه سئل هل يكون الرجل بخيلاً فقال نعم قيل فهل
يكون المؤمن جبانًا فقال نعم قيل فهل يكون المؤمن كذّابًا قال لا حدّثناه ١٠
49b احمد بن محمّد بن احمد عن احمد بن سعيد عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه عن مالك بن انس عن صفوان بن سليم و بهذا الاسناد انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لا خير فى الكذب فى حديث سئل فيه وبهذا الاسناد عن مالك انّه بلغه عن ابن مسعود انّه كان يقول لايزال العبد
يكذب وينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسودّ القلب فيُكتب عند الله ١٥
من الكذّابين وبهذا الاسناد عن ابن مسعود رضى الله عنه انّه قال عليكم بالصدق فانّه يهدى الى البرّ والبرّ يهدى الى الجنّة واياّكم والكذب فانّه يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار وروى انّه اتاه صلّى الله عليه وسلّم فقال يا رسول الله انّى استتر بثلاث الخمر والزنا والكذب فمرنى ايّهما
اترك قال اترك الكذب فذهب منه ثم اراد الزنا ففكر فقال آتى رسول ٢٠
الله صلّى الله عليه وسلّم فيسئلنى ا زنيت فان قلت نعم حدّنى (٣) وان قلت لا نقضت العهد فتركته ثم كذلك فى الخمر فعاد الى رسول الله صلّى الله
50a عليه وسلّم فقال يا رسول الله انّى تركت الجميع فالكذب اصل كل فاحشة
وجامع كل سوء وجالب لمقت الله عزّ وجلّ وعن ابى بكر الصديق رضى ٢٤

(١) MS خدلك. (٢) 61, 3. (٣) MS حَدثنى.

الله عنه انّه قال لا ايمان لمن لا امانة له وعن ابن مسعود رضى الله عنه
انّه قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن الّا الخيانة والكذب وعن رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم انّه قال ثلاث من كنّ فيه كان منافقًا من اذا وعد
اخلف و اذا حدّث كذب و اذا أُوتُمِنَ خان وهل الكفر الّا كذب على
الله عزّ وجلّ و لله الحقّ وهو يحبّ الحقّ وبالحقّ قامت السموات والارض ٥
وما رأيت اخزى من كذّاب وما هلكت الدول ولا هلكت الممالك ولا
سفكت الدماء ظلمًا ولا هتكت الاستار بغير النمائم والكذب ولا أكّدت
البغضاء والاحن المردية الّا بنمائم لا يحظى صاحبها الّا بالمقت و الخزى
والذلّ وان ينظر منه الذى ينقل اليه فضلاً عن غيره بالعين التى ينظر
بها من الكلب والله عزّ و جلّ يقول وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ[١] ويقول جلّ ١٠
50b من قائل يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا[٢] فسمّى المنقّل باسم
الفسوق ويقول وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّآءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ[٣] والرسول عليه السلام يقول لا يدخل
الجنّة قتّات ويقول وايّاكم وقاتل الثلثة يعنى المنقّل والمنقول اليه والمنقول
عنه والاحنف يقول الثقة لا يبلّغ وحقّ لذى الوجهين الّا يكون عند الله ١٥
وجيهًا وهو ما يحمله من اخسّ الطبائع و ارذلها ولى الىّ آل ابى اسحق
ابرهيم بن عيسى الثقفىّ الشاعر رحمه الله وقد نقل اليه رجل من اخوانى
عنّى كذبًا على جهة الهذل وكان هذا الشاعر كثير الوهم فاغضبه وصدّقه
وكلاهما كان لى صديقًا وما كان الناقل اليه من اهل هذه الصفة ولكنّه كان
المزّاح جمّ الرعاية فكتبت الى ابي اسحق وكان يقول[٤] بالخبر شعرًا منه ٢٠
وَلَا تَتَبَدَّلْ قَالَةً قَدْ سَمِعْتَهَا * تُقَالُ وَلَا تَدْرِى الصَّحِيحَ بِمَا تَدْرِى
51a كَمَنْ قَدْ أَرَاقَ ٱلْمَآءَ لِلْآلِ[٥] إِنْ بَدَا[٦] * فَلَاقَى الرَّدَى فِى الْأَفْيَحِ الْمَهْمَهِ الْقَفْرِ
وكتبت الى الذى نقل عنّى شعرًا منه ٢٢

(١) 104, 1. (٢) 49, 6. (٣) 68, 10—13. (٤) MS بقُول.
(٥) MS للال. (٦) MS بذا.

وَلَا تَزْعُمَا فِى الجِدِّ مَزْحًا كَمُوجٍ * فَسَادِ عِلَاجِ النَّفْسِ طَىَّ صَلَاحِهَا
وَمَنْ كَانَ نَقْلُ الزُّورِ أَمْضَى سِلَاحِهِ * كَمِثْلِ الحُبَارَى تَتَّقِى بِسِلَاحِهَا

وكان لى صديق مرّة وكثر التدخيل بينى وبينه حتى كدح ذلك فيه واستبان فى وجهه وفى لحظه وطبعت على التانّى والتربّص والمسالمة ما امكنت و وجدت بالانخفاض سبيلاً الى معاودة المودّة فكتبت اليه شعرًا منه ٥

وَلِى فِى الَّذِى أُبْدِى مَرَامٍ لَوَ انَّهَا * بَدَتْ مَا ادَّعَى حُسْنَ الرِّمَايَةِ وَهْرِزُ

وإقول مخاطبًا لعبيد الله بن يحيى الجزيرىّ(١) الذى يحفظ لعمّه الرسائل البليغة وكان طبع الكذب قد استولى عليه و استحوذ على عقله و ألفه ألفة النفس الامل و يؤكّد نقله و كذبه بالايمان المؤكّدة المغلّظة مجاهرًا بها اكذب من السراب مستهترًا بالكذب مشغوفًا به لا يزال يحدّث من قد ١٠ صحّ عنده انّه لا يصدّقه فلا يزجره ذلك عن ان يحدّث بالكذب

51b

بَدَا كُلُّ مَا كَتَمْتَهُ بَيْنَ مُخْبِرٍ * وَحَالٍ أَرَتْنِى قُبْحَ عَقْدِكَ بَيِّنَا
وَكَمْ حَالَةٍ صَارَتْ بَيَانًا بِحَالَةٍ * كَمَا تُثْبِتُ(٢) الْأَحْكَامُ بِالحَبَلِ الزِّنَا

وفيه اقول قطعة منها

أَنَمُّ مِنَ الْمِرْآةِ فِى كُلِّ مَا دَرَى * وَأَقْطَعُ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ قَصَبِ الهِنْدِ ١٥
أَظُنُّ المَنَايَا وَالزَّمَانَ تَعَلَّمَا * تَحَيُّلَهُ بِالقَطْعِ بَيْنَ ذَوِى الوُدِّ

وفيه ايضًا اقول من قصيدة طويلة

52a

وَأَكْذَبُ مِنْ حُسْنِ الظُّنُونِ حَدِيثُهُ * وَأَقْبَحُ مِنْ دَيْنٍ وَفَقْرٍ مُلَازِمِ
أَوَامِرُ رَبِّ العَرْشِ أَضْيَعُ عِنْدَهُ * وَأَهْوَنُ مِنْ شَكْوَى إِلَى غَيْرِ رَاحِمِ
تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ خِزْىٍ وَفَضْحَةٍ * فَلَمْ يُبْقِ شَتْمًا فِى المَقَالِ لِشَاتِمِ ٢٠
وَأَثْقَلُ مِنْ عَذْلٍ(٣) عَلَى غَيْرِ قَابِلٍ * وَأَبْرَدُ بَرْدًا مِنْ مَدِينَةِ سَالِمِ

(١) MS الحريرى. cf. Dozy, Supplément, I, 263, 192.
(٢) MS تُبِثتُ.
(٣) MS عَدل.

وابْغَضُ مِنْ بَيْنٍ وَهَجْرٍ وَرِقْبَةٍ * جُمِعْنَ عَلَى حَرَّانَ حَيْرَانَ هَائِمِ

وليس من نبّه غافلاً او نصح صديقًا او حفظ مسلمًا او حكى عن فاسق او حدّث عن عدوّ ما لم يكذب ولا يكذب ولا تعمّد الضغائن[1] منقّلاً وهل هلك الضعفآء وسقط من لا عقل له الاّ فى قلّة المعرفـة بالناصح من النمّام 52b وهما صفتان متقاربتان فى الظاهر متفاوتتان فى الباطن احـداهما دآء ٥ والاخرى دوآء والثاقب القريحة لايخفى عليه امرهما لكنّ المنقّل من كان تنقيله غير مرضىّ فى الديانة ونوى به التشتيت بين الاوليآء والتضريب بين الاخوان والتحريش والتوبيش والترقيش فمن خاف ان سلك طريق النصيحة ان يقع فى طريق النميمة ولم يثق لنفاذ[2] تمييزه ومضآء تقديره فيما يرده من أمور دنياه ومعاملة اهل زمانه فليجعل دينه دليلاً لـه وسراجًا ١٠ يستضىء به فحيث ما سلك به سلك وحيث ما اوقفه كفلاً له بالنظر رغمًا بالاصابة ضمان الفلج والخلاص فشارع الشريعة وباعث الرسول عليه السلام ومرتّب الاوامر والنواهى اعلم بطريق الحقّ وادرى بعواقب السلامة ومغبّات النجاة من كل ناظر لنفسه بزعمه وباحث بقياسه فى ظنّه

بَابُ الوَصْلِ ١٥

53a ومن وجوه العشق الوصل وهو حظّ رفيع ومرتبة سريّة ودرجة عاليـة وسعد طالع بل هو الحياة المجدّدة والعيش السنىّ والسرور الدائم ورحمة الله عظيمة ولولا انّ الدنيا دار ممرّ ومحنة وكدر والجنّة دار جزآء وامان من المكاره لقلنا انّ وصل المحبوب هو الصفآء الذى لا كدر فيه والفرح الذى لا شائبة فيه ولاحزن معه وكمال الامانى ومنتهى الاراجى ولقد جرّبت اللذّات ٢٠ على تصرّفها وادركت الحظوظ على اختلافهـا فما لدنوّ من السلطان ولا المال المستفاد ولا الوجود بعد العدم ولا الاوبة بعد طول الغيبـة ولا الأمن بعد الخوف ولا[3] التروّح على المال من الموقع فى النفس ما للوصل لاسيّما ٢٢

---

(١) MS الضعاين.   (٢) MS نعاد.   (٣) MS لا manque.

hier gebleven

بعد طول الامتناع وحلول الهجر حتّى تأجّج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتتصرّم نار الرجاة وما اصناف النبات بعد غبّ القطر ولا اشراق الازاهير بعد اقلاع السحاب الساريات فى الزمان السجسج ولا خرير المياه المتخلّلة لأفانين النوّار ولاتأنّق القصور البيض قد أحدقن بها الرياض الخضر بأحسن من وصل حبيب قد رضيت اخلاقه وحمدت غرائزه[1] وتقابلت فى الحسن اوصافه وانّه لمعجز ألسنة البلغاء ومقصّر فيه بيان الفصحاء وعنه تطيش الالباب وتغرب الافهام وفى ذلك اقول

53b ٥

وَسَائِلٍ لِىَ عَمَّا لِى مِنَ ٱلعُمُرِ * وَقَد رَأَى الشَّيْبَ فِى الفَوْدَينِ وَالعُذُرِ

أَجَبْتُهُ سَاعَـةً لَا شَىْءَ أَحْسَبُهُ * عُمْرًا سِوَاهَا بِحُكْمِ العَقْلِ وَالنَظَرِ

فَقَالَ لِى كَيْفَ ذَا بَيِّنْهُ لِى فَلَقَـدْ * أَخْبَرْتَنِى أَشْنَعَ الأَنْبَـاءِ وَالخَبَرِ ١٠

فَقُلْتُ إِنَّ ٱلَّتِى قَلْبِى بِهَـا عَلِقٌ * قَبَّلْتُهَا قُبْلَـةً يَوْمًـا عَلَى خَطَرِ

فَمَا أَعُدُّ وَ لَوْ طَالَتْ سِنِىَّ سِوَى * تِلْكَ السُّوَيْعَةِ بِالتَّحْقِيقِ مِنْ عُمُرِى

ومن لذيذ معانى الوصل المواعيد وانّ للوعد المنتظر مكانًا لطيفًا من شغاف القلب وهو ينقسم قسمين احدها الوعـد بزيارة المحبّ لمحبوبه وفيـه اقول قطعةً منهـا

54a ١٥

أُسَامِرُ البَدْرَ لَمَّا أَبْطَأَتْ وَ أَرَى * فِى نُورِهِ مِنْ سَنَا إِشْرَاقِهَا عَرَضَا

فَبِتُّ مُشْتَرِطًـا وَالوُدُّ مُخْتَلِطًـا * وَالوَصْلُ مُنْبَسِطًا وَالهَجْرُ مُنْقَبِضَا

والثانى انتظار الوعد من المحبّ ان يزور محبوبه وانّ لمبادى الوصل واوائل الاسعاف لتولّجًا على الفؤاد ليس لشىء من الاشياء وانّى لأعرف من كان ممتحنًا بهوًى فى بعض المنازل المصاقبة فكان يصل متى شآء بلا مانع ولا سبيل الى غير النظر والمحادثة زمانًا طويلاً ليلاً متى احبّ ونهارًا الى ان ساعدته الاقدار باجابة ومكّنته باسعاد بعد يأسه لطول المدّة ولعهدى به قد كاد ان يختلط عقله فرحًا وما كاد يتلاحق كلامه سرورًا فقلت فى ذلك

٢٠

٢٢

[1] MS غوايره.

54b بِرَغْبَةٍ لَوْ إِلَى رَبِّى دَعَوْتُ بِهَا * لَكَانَ ذَنْبِى عِنْدَ اللهِ مَغْفُورَا
وَلَوْ دَعَوْتُ بِهَا أُسْدَ الفَلَا لَغَدَا * إِضْرَارُهَا عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ مَقْصُورَا
فَجَادَ بِاللَّثْمِ لِى مِنْ بَعْدِ مَنْعَتِهِ * فَاهْتَاجَ مِنْ لَوْعَتِى مَا كَانَ مَغْمُورَا
كَشَارِبِ المَاءِ كَى يُطْفِى الغَلِيلَ به * فَغَصَّ[1] فَانْصَاعَ فِى الأَجْدَاثِ مَقْبُورَا

٥ وقلت

جَرَى الحُبُّ مِنّى مَجْرَى النَّفَسْ * وَأَعْطَيْتُ عَيْنِى عِنَانَ الفَرَسْ
وَلِى سَيِّدٌ لَمْ يَزَلْ نَافِرًا * وَرُبَّتَمَا جَادَ لِى فِى الخُلَسْ
فَقَبَّلْتُهُ طَالِبًا رَاحَةً * فَزَادَ أَلِيلاً بِقَلْبِى اليَبَسْ
وَكَانَ فُؤَادِى كَنَبْتٍ هَشِيمٍ * يَبِيسٍ رَمَى فِيهِ رَامٍ قَبَسْ

١٠ ومنها

ويا جَوْهَرَ الصِّين سُحْقًا فَقَدْ * غَنِيتُ بِيَاقُوتَةِ الأَنْدَلُسْ

55a خبر

وانّى لأعرف جارية اشتدّ وجدها بفتًى من ابناء الرؤساء وهو لا علم عنده
وكثر غمّها به وطال أسفها الى ان ضنيت[2] بحبّه وهو بعزازة الصبي لا
١٥ يشعر ويمنعها من ابداء امرها اليه الحياء منه لانّها كانت بكرًا بخاتمها مع
الاجلال له عن الهجوم عليه بما لا تدرى لعلّه توافقه فلمّا تمادى الامر
وكان اليقين فى النشأة شكت ذلك الى امرأة جزلة الرأى كانت تثق بها
لتولّيها تربيتها فقالت لها عرّضى له بالشعر ففعلت[3] المرّة بعد المرّة وهو لا يأبه
فى كل هذا ولقد كان لقنًا ذكيًّا ولكنّه لم يظنّ ذلك فيميل الى تفتيش
٢٠ الكلام بوهمه الى ان عِيلَ صبرها وضاق صدرها ولم تمسك نفسها فى قعدة
كانت لها معه فى بعض الليالى منفردين ولقد كان يعلم الله عفيفًا متصاونًا
بعيدًا من المعاصى فلمّا حان قيامها عنه بدرت اليه فقبّلته فى فمه ثم ولّت فى
٢٢ ذلك الحين ولم تكلّمه بكلمة وهى تتهادى فى مشيها كما اقول فى ابيات لى

---

(1) MS فعُصّ. (2) MS ضِنيتُ. (3) MS فعلت.

كَأَنَّهَا حِينَ تَخْطُو فِى تَأَوُّدِهَا * قَضِيبُ نَرْجِسَةٍ فِى الرَّوْضِ مَيَّاسُ
كَأَنَّمَا خَلَدُهَا فِى قَلْبِ عَاشِقِهَا * فَفِيهِ مِنْ وَقْعِهَا حَفْرٌ وَوَسْوَاسُ
كَأَنَّمَا مَشْيُهَا مَشْىُ الحَمَامَةِ لَا * كَدٌّ يُعَابُ وَلَا بُطْؤٌ بِهِ بَاسُ

فبهت وسقط فى يده وفتّ فى عضده ووجد فى كبده وعلّته رحمة فما هو الّا ان
غابت عينه و وقع فى شرك الردى واشتعلت فى قلبه النار وتصعّدت انفاسه ٥
56a وترادفت اوجاله وكثر قلقه وطال أرقه فما غمّض تلك الليلة عينًا وكان
هذا بُدء الحبّ بينهما دهرًا الى ان جذّت جملتها يد النوى وانّ هذا لمن
مصائد ابليس ودواعى الهوى التى لايقف لها احد الّا من عصمه الله عزّ
وجلّ ومن الناس من يقول انّ دوام الوصل يُودى بالحبّ وهذا هجين من
القول انّما ذلك لأهل الملل بل كلّما زاد وصلاً زاد اتّصالاً وعنّى اخبرك ١٠
انّى ما رويت قطّ من ماء الوصل ولا زادنى الّا ظمأً وهذا حكم من تداوى برأيه
وان رفه عنه سريعًا ولقد بلغت من التمكّن بمن أُحبّ ابعد الغايات التى
لايجد الانسان وراءها مرىً فما وجدتنى الّا مستزيدًا ولقد طال بى ذلك فما
أحسست بسآمة[1] ولا رهقتنى فترة ولقد ضمّنى مجلس مع بعض من كنت
احبّ فلم اجل خاطرى فى فنّ من فنون الوصل الّا وجدته مقصّرًا عن ١٥
مرادى وغير شافٍ وجدى ولا قاضٍ اقلّ لبانة من لباناتى ووجدتنى كلّما
56b ازددت دنوًّا ازددت تلوّذًا وقدحت زناد الشوق نار الوجد بين ضلوعى
فقلت فى ذلك المجلس

وَدِدْتُ بِأَنَّ القَلْبَ شُقَّ بِمُدْيَةٍ * وَأُدْخِلْتِ فيه ثُمَّ أُطْبِقَ فِى صَدْرِى
فَأَصْبَحْتِ فيه لَا تُحَلِّينَ غَيْرَهُ * إِلَى مُنْقَضَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَالحَشْرِ ٢٠
تَعِيشِينَ فيه مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ * سَكَنْتِ شُغَافَ القَلْبِ فِى ظُلَمِ القَبْرِ

وما فى الدنيا حالة تعدل محبّين اذا عدما الرقباء وأمنا الوشاة وسلما من
البين ورغبا عن الهجر وبعدا عن الملل[2] وفقدا العذّال وتوافقا فى الاخلاق ٢٢

(١) MS بسآ امه.   (٢) MS الملك.

وتكافيا فى المحبّة واتاح الله لهما رزقًا دارًا[1] وعيشًا قارًا[2] وزمانًا هاديًا وكان اجتماعهما على ما يرضى الربّ من الحال وطالت صحبتهما واتّصلت الى وقت حلول 57a الحمام الذى لامردّ له ولابدّ منه هذا عطآء لم يحصل عليه احد وحاجة لم تقض لكل طالب ولولا انّ مع هذه الحال الاشفاق من بغتات المقادير المحكمة فى غيب الله عزّ وجلّ من حلول فراق لم يكتسب واخترام[3] منيّة فى ٥ حال الشباب او ما اشبه ذلك لقلت انّها حال بعيدة من كل آفة وسليمة من كل داخلة ولقد رأيت من اجتمع له هذا كله الّا انّه كان دهى فيمن كان يحبّه بشراسة اخلاق ودالّة علم المحبّة فكانا لايتهنّيان العيش ولا تطلع الشمس فى يوم الّا وكان بينهما خلاف فيه وكلاهما كان مطبوعًا بهذا الخلق لثقة كل واحد منهما بمحبّة صاحبه الى ان دنت النوى بينهما فتفرّقا بالموت ١٠ المرتّب لهذا العالم وفى ذلك اقول

كَيْفَ أَذُمُّ النَوَى وَأَظْلِمُهَا * وَكُلُّ أَخْلَاقِ مَنْ أُحِبُّ نَوَى

قَدْ كَانَ يَكْفِي هَوًى أَضِيقُ[4] بِهِ * فَكَيْفَ إِذْ حَلَّ بِي نَوًى وَهَوَى

57b وروى عن زياد بن ابى سفيان رحمه الله انّه قال لجلسآئه من انعم الناس عيشةً قالوا امير المؤمنين فقال واين ما يلقى من قريش قيل فانت قال ١٥ اين ما القى من الخوارج والثغور قيل فمن أيّها الامير قال رجل مسلم له زوجة مسلمة لهما كفاف من العيش قد رضيت به ورضى بها لا يعرفنا ولا نعرفه وهل فيما وافق اعجاب المخلوقين وجلا القلوب واستمال الحواسّ واستهوى النفوس واستولى على الاهوآء واقتطع الالباب واختلس العقول مستحسن يعدل اشفاق محبّ على محبوب ولقد شاهدت من هذا المعنى كثيرًا وانّه ٢٠ لمن المناظر العجيبة الباعثة على الرقّة الرآئقة المعنى لاسيّما ان كان هوًى يكتتم به فلو رأيت المحبوب حين يعرّض بالسؤال عن سبب تغضّبه بمحبّه وتجلته فى الخروج ممّا وقع فيه بالاعتذار وتوجيهه الى غير وجهه وتحيّله 58a فى استنباط معنًى يقيمه عند جلسآئه لرأيت عجبًا ولذّةً مخفيّةً لانقاومها لذّة ٢٤

(١) MS دارا. (٢) MS قارا. (٣) MS احترام. (٤) MS اصيق.

وما رأيت اجلب للقلوب ولا اغوص على حياتها ولا انفذ للمقاتل من هذا
الفعل وانّ للمحبّين فى الوصل من الاعتذار ما عجّز اهل الاذهان الزكيّة
والافكار القويّة ولقد رأيت فى بعض المرّات هذا فقلت

إِذَا مَزَجْتَ ٱلْحَقَّ بِالبَاطِلِ * جَوَّزْتَ مَا شِئْتَ عَلَى الغَافِلِ
وَفِيهِمَا فَرْقٌ صَحِيحٌ لَهُ * عَلَامَةٌ تَبْدُو إِلَى العَاقِلِ ٥
كَالتِّبْرِ إِنْ تُمْزَجْ بِهِ فِضَّةٌ * جَازَتْ عَلَى كُلِّ فَتًى جَاهِلِ
وَإِنْ تُصَادِفْ صَائِغًا مَاهِرًا * مَيَّزَ بَيْنَ ٱلمَحْضِ وَالحَائِلِ

وانّى لأعلم فتًى وجاريةً كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه فكانا يضطجعان
اذا حضرهما احد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور
الرؤساء على الفرش ويلتقى رأساهما وراء المسند ويقبّل كل واحد منهما صاحبه ١٠
ولا يريان وكانّهما انّما يتمدّدان من الكلل ولقد كان بلغ من تكافيهما فى
58b المودّة أمرًا عظيمًا الى ان كان الفتى المحبّ ربّما استطال عليها وفى ذلك اقول

وَمِنْ أَعَاجِيبِ ٱلزَّمَانِ ٱلَّتِى * طَمَّتْ عَلَى السَّامِعِ وَالقَائِلِ
رَغْبَةُ مَرْكُوبٍ إِلَى رَاكِبٍ * وَذِلَّةُ ٱلمَسْؤُولِ لِلسَّائِلِ
وَطَوْلُ مَأْسُورٍ إِلَى آسِرٍ * وَصَوْلَةُ ٱلمَقْتُولِ لِلْقَاتِلِ ١٥
مَا إِنْ سَمِعْنَا فِى الوَرَى قَبْلَهَا * خُضُوعَ مَأْمُولٍ إِلَى آمِلِ
هَلْ هَاهُنَا وَجْهٌ تَرَاهُ سِوَى * تَوَاضُعِ ٱلمَفْعُولِ لِلْفَاعِلِ

ولقد حدّثتنى امرأة أثق بها انّها شاهدت فتًى وجارية كانت تجد كل
واحد منهما بصاحبه فضل وجد قد اجتمعا فى مكان على طرب وفى يد
الفتى سكّين يقطع بها بعض الفواكه فجرّها جرًّا زائدًا فقطع ابهامه قطعًا لطيفًا ٢٠
ظهر فيه دم وكان على الجارية غلالة قصب خزائنيّة[1] لها قيمة فصرفت يدها
59a وخرقتها واخرجت منها فضلةً شدّ بها ابهامه وامّا هذا الفعل للمحبّ فقليل
فيما يجب عليه وفرض لازم وشريعة مودّاة وكيف لا و قد بذل نفسه ووهب
روحه فما يمنع بعدها خبر وانا ادركت بنت زكريّاء بن يحيى التميمىّ المعروف ٢٤

(١) Cf. Dozy, Supplément, I, 369, 1. MS حزاينه.

بابن برطال وعمّها كان قاضى الجماعة بقرطبة محمّد بن يحيى واخوه الوزير
القائد الذى كان قتله غالب وقائدين اليه فى الوقعة المشهورة بالثغور وهما
مروان بن احمد بن شهيد ويوسف بن سعيد العكّىّ وكانت متزوّجة بيحيى
ابن محمّد بن الوزير يحيى بن اسحق فعاجلته المنايا وهما فى أغضّ عيشهما
وانضر سرورهما فبلغ من أسفها عليه ان باتت معه فى دثار واحد ليلة مات ٥
وجعلته آخر العهد به وبوصله ثم لم يفارقها الأسف بعده الى حين موتها وانّ
للوصل المختلس الذى يخاتل به الرقبآء ويتحنّظ به من الحضر مثل الضحك
59b المستور والنحنحة وجولان الايدى والضغط بالأجناب والقرض باليد والرجل
لموقعًا من النفس شهيًّا وفى ذلك اقول

١٠ إِنَّ لِلْوَصْلِ الخَفِيّ[1] مَحَلًّا * لَيْسَ لِلْوَصْلِ المَكِينِ[2] الجَلِيّ[3]
لَذَّةٌ تَمْزُجُهَا بِٱرْتِقَابٍ * كَمَسِيرٍ فِي خِلَالِ النَّقِيّ

خبر ولقد حدّثنى ثقة من اخوانى جليل من اهل اليوتات انّه كان علق
فى صباه جاريةً كانت فى بعض دور آله وكان ممنوعًا منها فهام عقله بها
قال لى فتنزّهنا يومًا الى بعض ضياعنا بالسهلة غربىّ[4] قرطبة مع بعض اعمامى
فتمشّينا فى البساتين وابعدنا عن المنازل وانبسطنا على الانهار الى ان غيّمت ١٥
السمآء واقبل الغيث فلم يكن بالحضرة من الغطآء ما يكفى الجميع قال
فأمر عمّى ببعض الاغطية فالقى علىّ وأمرها بالاكتنان معى فظُنّ بما شئت
من التمكّن على اعين الملا وهم لايشعرون ويا لك من جمع كخلآء واحتفال
كانفراد قال لى فوالله لانسيت ذلك اليوم ابدًا ولعهدى به وهو يحدّثنى بهذا
الحديث واعضآؤه كلّها تضحك وهو يهتزّ فرحًا على بعد العهد وامتداد الزمان ٢٠
60a ففى ذلك اقول شعرًا منه

يَضْحَكُ الرَّوْضُ وَالسَّحَائِبُ تَبْكِي * كَحَبِيبٍ رَآهُ صَبٌّ مُعَنًّى

خبر ومن بديع الوصل ما حدّثنى به بعض اخوانى انّه كان فى بعض ٢٢

---

(١) MS الحيى. (٢) MS المكان. (٣) MS الحلىّ. (٤) MS فغربى.

المنازل المصاقبة له هوًى وكان فى المنزلين موضع مطلع من احدهما على الآخر فكانت تقف له فى ذلك الموضع وكان فيه بعض البعد فتسلّم عليه ويدها ملفوفة فى قميصها فخاطبها مستخبرًا لها عن ذلك فاجابته انّه ربّما أُحسّ من امرنا شىء فوقف لك غيرى فسلّم عليك فرددت عليه فصحّ الظنّ فهذه علامة بينى وبينك فاذا رأيت يدًا مكشوفةً تشير نحوك بالسلام ٥ فليست يدى فلا تجاوب وربّما استحلى الوصال واتّفقت القلوب حتى يقع 60b التخلّج فى الوصال فلا يلتفت الى لائم ولا يستتر من حافظ ولا يبالى[1] بناقل بل العذل[2] حينئذ يعزى وفى صفة الوصل اقول شعرًا منه[3]

كَمْ دُرْتَ حَوْلَ الحُبِّ حَتَّى لَقَدْ * حَصَلْتَ فيه كَحُصُولِ الفَرَاشْ

١٠ ومنه

تَعْشُو[4] إِلَى الوَصْلِ دَوَاعِي الهَوَى * كَمَا سَرَى نَحْوَ سَنَا النَارِ عَاشْ

ومنه

عَلَّلَنِي بالوَصْلِ مِنْ سَيِّدِي * كَمِثْلِ تَعْلِيلِ الظِمَا العُطَاشْ

ومنه

١٥ لَا تُوقِفِ ٱلعَيْنَ عَلَى غَايَةٍ * فَالحُسْنُ فيه مُسْتَزِيدٌ وَبَاشْ

واقول من قصيدة لى

هَلْ لِقَتِيلِ الحبِّ مِنْ وَادِى * أَمْ هَلْ لِعَانِى الحُبِّ مِنْ فَادِى
61a أَمْ هَلْ لِدَهْرِى عَوْدَةٌ نَحْوَهَا * كَمِثْلِ يَوْمٍ مَرَّ فِى الوَادِى
ظَلَلْتُ فيه سَابِحًا صَادِيًا * يَا عَجَبًا لِلسَّابِحِ الصَّادِى
٢٠ ضَنِيتُ[5] يَا مَوْلَاىَ وَجْدًا فَمَا * تُبْصِرُنِى ٱلْحَاظُ عُوَّادِى
كَيْفَ ٱهْتَدَى الوَجْدُ إِلَى غَائِبٍ[6] * عَنْ أَعْيُنِ الحَاضِرِ وَالبَادِى
مَلَّ مُدَاوَاتِى طَبِيبِى فَقَدْ * يَرْحَمُنِى لِلسُّقْمِ حُسَّادِى

---

(1) MS يبال. (2) MS العدل. (3) Après cette ligne le copiste a mis par méprise le vers cité plus haut p. 61, l. 21. (4) MS تغشو. (5) MS ضَنَنتُ. (6) MS عايب.

بَابُ الهَجْرِ

ومن آفات الحبّ ايضا الهجر وهو على ضروب فاوّلها هجر يوجبه تحفّظ من رقيب حاضر وانّه لأحلى من كل وصل ولولا انّ ظاهر اللفظ وحكم 61b التسمية يوجب ادخاله فى هذا الباب لرجأت به عنه ولا جلّلته عن تسطيره فيه فحينئذ ترى الحبيب منحرفًا عن محبّه مقبلاً بالحديث على غيره معرّضًا ٥ لمعرّض لئلاّ تلحق ظنّه او تسبق استرابته وترى المحبّ ايضًا كذلك ولكن طبعه له جاذب ونفسه له صارفة بالرغم فتراه حينئذ منحرفًا كمقبل وساكتًا كناطق وناظرًا الى جهة نفسه فى غيرها والحاذق الفطن اذا كشف بوهمه عن باطن حديثهما علم انّ الخافى غير البادى وما جهر به غير نفس الخبر وانّه لمن المشاهد الجالبة للفتن والمناظر المحركة للسواكن الباعثة للخواطر المهيّجة ١٠ للضمائر الجاذبة للفتوّة[1] ولى ابيات فى شىء من هذا اوردتها وان كان فيها غير هذا المعنى على ما شرطنا منها

يَلُومُ أَبُو العَبَّاسِ جهْلاً بطَبْعِــه * كَمَا عَيَّرَ[2] الحُوتُ النَعَامَةَ بالصَدَا

ومنها

١٥ وَكَمْ صَاحِبٍ أَكْرَمْتُهُ غَيْرَ طَائِعٍ * وَلاَ مُكْرَهٍ إِلاَّ لِأَمْــرٍ تَعَمَّــدَا

62a وَمَا كَانَ ذَاكَ البِرُّ إِلاَّ لِغَيْرِهِ * كَمَا نَصَبُوا لِلْطَيْرِ بالحَبِّ مِصْيَدَا

واقول من قصيدة محتوية على ضروب من الحكم وفنون من الاداب الطبيعيّة

وَسَرَّاءِ[3] أَحْشَائِى لِمَنْ أَنَا مُؤْثِرٌ * وَسَرَّاءِ[4] أَبْنَائِى لِمَنْ أَتَحبّبُ

فَقَدْ يَشْرَبُ الصَابُ الكَرِيهُ لِعِلَّــةٍ * وَيَتْرُكُ صَفْوَ الشَهْــدِ وَهْوَ مُحَبَّبُ

٢٠ وَأَعْدِلُ فِى اجْتِهَادِ نَفْسِى فِى الَّذِى * أُرِيدُ وَإِنِّى فيــه أَشْقَى وَأَتْعَبُ

هَلِ اللُؤْلُؤُ المَكْنُونُ والدُرُّ كُلُّــهُ * رَأَيْتَ بغَيْرِ الغَوْصِ فِى البَحْرِ يُطْلَبُ

وَأَصْرِفُ نَفْسِى عَنْ وُجُوهِ طِبَاعِهَا * إِذَا فِى سِوَاهَا صَحَّ مَا أَنَا أَرْغَبُ

---

(١) MS للفتوه. (٢) MS غَيَّرَ. (٣) MS سرآ. (٤) MS سرًا.

كَمَا نَسَخَ ٱللّٰهُ الشَّرَائِعَ قَبْلَنَا * بِمَا هُوَ أَدْنَى لِلصَّلَاحِ وَأَقْرَبُ

62b وَأَلْقَى سَجَايَا كُلِّ خُلْقٍ بِمِثْلِهَا * وَنَعْتُ سَجَايَاىَ ٱلصَّحِيحُ ٱلْمُهَذَّبُ(1)

كَمَا صَارَ لَوْنُ ٱلْمَآءِ لَوْنَ إِنَائِهِ * وَفِي ٱلْأَصْلِ لَوْنُ ٱلْمَآءِ أَبْيَضُ مُعْجِبُ

ومنها

٥ اقَمْتُ دَوَى وُدِّى مَقَامَ طَبَائِعِى * حَيَاتِى بِهَا وَٱلْمَوْتُ مِنْهُنَّ يَرْهَبُ

ومنها

وما أَنَا مِمَّنْ تُطِيبُهُ بَشَاشَةٌ(2) * وَلَا يَقْتَضِى مَا فِى ضَمِيرِى ٱلتَّجَنُّبُ

أُرِيدُ نَفَارًا عِنْدَ ذَلِكَ بَاطِنًا * وَفِى ظَاهِرِى أَهْلٌ وَسَهْلٌ وَمَرْحَبُ

فَإِنِّى رَأَيْتُ ٱلْحَرْبَ يَعْلُو ٱشْتِعَالُهَا * وَمَبْدَؤُهَا فِى أَوَّلِ ٱلْأَمْرِ مَلْعَبُ

١٠ وَ إِلْحَيَّةِ ٱلرَّقْشَآءِ وَشْىٌ وَلَوْنُهَا * عَجِيبٌ وَ تَحْتَ ٱلْوَشْىِ سَمٌّ مُرَكَّبُ

63a وَإِنَّ فِرِنْدَ ٱلسَّيْفِ أَعْجَبُ مَنْظَرًا * وَفِيهِ إِذَا هُزَّ ٱلْحِمَامُ ٱلْمُذَرَّبُ

وَ أَجْعَلُ ذُلَّ ٱلنَّفْسِ عِزَّةَ أَهْلِهَا * إِذَا هِىَ نَالَتْ مَا بِهَا فِيهِ مَذْهَبُ

فَقَدْ يَضَعُ ٱلْإِنْسَانُ فِى ٱلتُّرْبِ وَجْهَهُ * لِيَأْتِى غَدًا وَهُوَ ٱلْمَصُونُ ٱلْمُقَرَّبُ

فَذُلٌّ يَسُوقُ ٱلْعِزَّ أَجْوَدُ لِلْفَتَى * مِنَ ٱلْعِزِّ يَتْلُوهُ مِنَ ٱلذُّلِّ مَرْكَبُ

١٥ وَكَمْ مَأْكَلٍ أَرْءَتْ(3) عَوَاقِبَ غِيَّةٍ * وَرُبَّ طَوًى بِٱلْخِصْبِ آتٍ وَمُعْقِبُ

وَمَا ذَاقَ عِزَّ ٱلنَّفْسِ مَنْ لَا يُذِلُّهَا * فَلَا ٱلْتَذَّ طَعْمَ ٱلرُّوحِ مَنْ لَيْسَ يَنْصَبُ

وُرُودُكَ بَعْدَ ٱلْمَآءِ مِنْ بَعْدِ ظَمْأَةٍ * أَلَذُّ مِنَ ٱلْعَلِّ ٱلْمَكِينِ وَأَعْذَبُ

ومنها

63b وَ فِى كُلِّ مَخْلُوقٍ تَرَاهُ تَفَاضُلٌ * فَرِدْ طَيِّبًا إِنْ لَمْ يُتَحْ لَكَ أَطْيَبُ

٢٠ وَلَا تَرْضَ وِرْدَ ٱلرِّيقِ إِلَّا ضَرُورَةً * إِذَا لَمْ يَكُنْ فِى ٱلْأَرْضِ حَاشَاهُ مَشْرَبُ

وَلَا تَقْرَبَنْ مِلْحَ ٱلْمِيَاهِ فَإِنَّهَا * شَجًى وَٱلصَّدَا بِٱلْحُرِّ(4) أَوْلَى وَأَوْجَبُ

ومنها

٢٢ فَخُذْ مِنْ جَرَاهَا مَا تَيَسَّرَ وَٱقْتَنِعْ * وَ لَا تَكُ مَشْغُولًا بِمَنْ هُوَ يَغْلِبُ

---

(1) MS ٱلمهذّبُ. (2) La mesure de ce demi-vers n'est pas correcte.

(3) MS اريتْ. (4) Cf. Dozy, Supplément, I, 263, 1.

فَمَا لَكَ شَرْطٌ عِنْدَهَا لَا وَلَا يَدٌ * وَلَا هِىَ إِنْ حَصَلْتَ أُمٌّ وَلَا اب

ومنها

وَلَا تَيْأَسًا مِمَّا يُنَالُ بِحِيلَةٍ * وَإِنْ بَعُدَتْ فَالْأَمْرُ يَنْأَى وَيَصْعُبُ
وَلَا تَأْمَنِ الْإِظْلَامَ فَالْفَجْرُ طَالِعٌ * وَلَا تَلْتَبِسْ بِالضَّوْءِ فَالشَّمْسُ تَغْرُبُ

ومنها ٥

أَلِجَّ[1] فَإِنَّ الْمَآءَ يَكْدَحُ فِى الصَّفَا * إِذَا طَالَ مَا يَأْتِى عَلَيْهِ وَيَذْهَبُ
وَكَثِّرْ وَلَا تَفْشَلْ وَقِلِّلْ كَثِيرَمَا * فَعَلْتَ فَمَا الْمَرْءُ جَمٌّ وَيَنْضُبُ
فَلَوْ يَتَغَذَّى الْمَرْءُ بِالسَّمِّ قَاتَهُ * وَقَامَ لَهُ مِنْهُ غِذَآءٌ مُجَرَّبُ

ثمّ هجر يوجبه التذلّل وهو الذّ من كثير الوصال ولذلك لايكون الّا عن
ثقة كل واحد من المتحابّين بصاحبه واستحكام البصيرة فى صحّة عقده فحينئذ يظهر ١٠
المحبوب هجرانًا ليرى صبر محبّه وذلك لئلّا يصفو[2] الدهر البتّة وليأسف المحبّ
ان كان مفرط العشق عند ذلك لا لما حلّ لكن مخافة ان يترقّى الامر
الى ما هو اجل يكون ذلك الهجر سببًا الى غيره او خوفًا من آفة حادث 64b
ملل[3] ولقد عرض لى فى الصبى هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة
وهو لا يلبث ان يضمحلّ ثم يعود فلمّا كثر ذلك قلت على سبيل المزاح ١٥
شعرًا بديهيًّا ختمت كل بيت منه بقسيم من أوّل قصيد طرفة بن العبد
المعلّقة وهى التى قرأناها مشروحة على ابى سعيد الفتى الجعفرىّ عن ابى بكر
المقرئ عن ابى جعفر النحّاس رحمهم الله فى المسجد الجامع بقرطبة وهى

تَذَكَّرْتُ وُدًّا لِلْحَبِيبِ كَأَنَّهُ * لِخَوْلَةَ أَطْلَالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ
وَعَهْدِى بِعَهْدٍ كَانَ لِى مِنْهُ ثَابِتٍ * يَلُوحُ كَبَاقِى الْوَشْمِ فِى ظَاهِرِ الْيَدِ ٢٠
وَقَفْتُ بِهِ لَا مُوقِنًا بِرُجُوعِهِ * وَلَا آيِسًا أَبْكِى وَأَبْكِى إِلَى الْغَدِ
إِلَى أَنْ أَطَالَ النَّاسُ عَذْلِى[4] وَأَكْثَرُوا * يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَلَّدِ 65a
كَأَنَّ فُنُونَ السُّخْطِ مِمَّنْ أُحِبُّهُ * خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ ٢٢

(١) MS أَلَجَّ. Peut être, il vaut mieux أَلِحَّ. (٢) MS يضفوا. (٣) MS ملك.
(٤) MS عدلِى.

كَأَنَّ انْقِلَابَ الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ مَرْكَبٌ * يَجُورُ بِهِ الْمَلَّاحُ طَوْرًا وَيَهْتَدِى
فَوَقْتَ رِضًى يَتْلُوهُ وَقْتُ تَسَخُّطٍ * كَمَا قَسَمَ التُّرْبَ(١) الْمُفَائِلُ بِالْيَدِ
وَيَبْسِمُ نَحْوِى وَهْوَ غَضْبَانُ مُعْرِضٌ * مُظَاهِرُ سِمْطَىْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ

ثم هجر يوجبه العتاب لذنب يقع من المحبّ وهذا فيه بعض الشدّة لكن
فرحة الرجعة وسرور الرضى يعدل ما مضى فانّ لرضى المحبوب بعد سخطه ٥
65b لذّةً فى القلب لا تعدلها لذّة وموقعًا من الروح لا يفوقه شىء من اسباب
الدنيا وهل شاهد مشاهد او رأت عين او قام فى فكرٍ الذّ(٢) واشهى من
مقام قد قام عنه كل رقيب وبعد عنه كل بغيض وغاب عنه كل واش
واجتمع فيه محبّان قد تصارما لذنب وقع من المحبّ منهما وطال ذلك
قليلاً وبدأ بعض الهجر ولم يكن ثم مانع من الاطالة للحديث فابتدأ المحبّ ١٠
فى الاعتذار والخضوع والتذلّل والادلّة بحجّته الواضحة من الادلال والاذلال
والتذمّم بما سلف فطورًا يدلّ ببرآءته وطورًا يرد بالعفو ويستدعى المغفرة
ويقرّ بالذنب ولا ذنب له والمحبوب فى كل ذلك ناظر الى الارض يسارقه
اللحظ الخفىّ وربّما ادامه فيه ثم يبسم مخفيًا لتبسّمه وذلك علامة الرضى ثم
ينجلى مجلسهما عن قبول العذر ويقبل القول وامتحت ذنوب النقل وذهب ١٥
آثار السخط ووقع الجواب بنعم وذنبك مغفور ولوكان فكيف ولا ذنب وختما
أمرهما بالوصل الممكن وسقوط العتاب والاسعاد وتفرّقا على هذا هذا مكان
يتقاصر دونه الصفات وتتلكّن بتحديده الالسنة ولقد وطئت بساط الخلفآء
وشاهدت محاضر الملوك فما رأيت هيبةً تعدل هيبة محبّ لمحبوبه ورأيت تمكّن
المتغلّبين على الرؤسآء وتحكّم الوزرآء وانبساط مدبّرى الدول فما رأيت اشدّ ٢٠
تبجّحًا ولا اعظم سرورًا بما هو فيه من محبّ ايقن انّ قلب محبوبه عنده و وثق
بميله اليه وصحّة مودّته له وحضرت مقام المعتذرين بين ايدى السلاطين
ومواقف المتّهمين بعظيم الذنوب مع المتمرّدين الطاغين فما رأيت اذلّ من ٢٢

(١) MS الثّوبَ. Cf. L. Abel, Die sieben Muʿallaḳât, p. 6, l. 4 (Berlin, 1891).
(٢) MS الد.

موقف محبّ هيمان بين[1] يدى محبوب غضبان قد غمره السخط وغلب عليه
الجفآء ولقد امتحنت الامرين وكنت فى الحالة الاولى أشدّ من الحديد
وانفذ[2] من السيف لا اجيب الى الدنيّة ولا اساعد على الخضوع وفى الثانية
66b اذلّ من الردآء والين من القطن ابادر الى اقصى غايات التذلّل لو نفع
واغتنم فرصة الخضوع لو نجع واتحلّل بلسانى واغوص على دقائق المعانى ببيانى ٥
وافنّن القول فنونًا وانصدّى لكل ما يوجب الترضّى والتجنّى بعض عوارض
الهجران وهو يقع فى اوّل الحبّ وآخره فهو فى اوّله علامة لصحّة المحبّة وفى
آخره علامة لفتورها وباب السلوّ خبر واذكر فى مثل هذا انّى كنت مجتازًا
فى بعض الايّام بقرطبة فى مقبرة باب عامر فى لمّة من الطلاّب واصحاب
الحديث ونحن نريد مجلس الشيخ ابى القسم عبد الرحمن بن ابى يزيد المصرىّ ١٠
بالرصافة استاذى رضى الله عنه ومعنا ابو بكر عبد الرحمن بن سليمان البلوىّ
من اهل سبتة وكان شاعرًا مفلقًا وهو ينشد لنفسه فى صفة متجنّ معهود
ابياتًا له منها

سَرِيعٌ إِلَى ظَهْرِ الطَرِيقِ وَإِنَّهُ * إِلَى نَقْضِ أَسْبَابِ المَوَدَّةِ يُسْرِعُ
67a يَطُولُ عَلَيْنَا أَنْ نُرَقِّعَ وُدَّهُ * إِذَا كَانَ فِى تَرْقِيعِهِ يَتَقَطَّعُ ١٥

فوافق انشاد البيت الاوّل من هاذين البيتين خطور ابى الحسين بن علىّ
الفاسىّ رحمه الله وهو يؤمّ ايضًا مجلس ابن ابى يزيد فسمعه فتبسّم رحمه
الله نحونا وطوانا ماشيًا وهو يقول بل الى عقد المودّة ان شآء الله فهو أولى
هذا على جدّ ابى الحسين[3] رحمه الله وفضله وتقرّبه وبرآءته ونسكه وزهده
وعلمه فقلت فى ذلك ٢٠

دَعْ عَنْكَ نَقْضَ مَوَدَّتِى مُتَعَمِّدًا * وَٱعْقِدْ حِبَالَ وِصَالِنَا يَا ظَالِمُ
وَلَتَرْجِعَنَّ أَرَدْتَهُ أَوْ لَمْ تُرِدْ * كَرْهًا لِمَا قَالَ الفَقِيهُ العَالِمُ

ويقع فيه الهجر والعتاب ولعمرى انّ فيه اذا كان قليلاً للذّة وأمّا اذا تفاقم
67b فهو فأل غير محمود وأمارة وبية المصدر وعلامة سوء وهى بجملة الامر ٢٤

(1) MS مع. (2) MS انفد. (3) MS حد ابى على.

ومطيّة الهجران وزائد الصريمة ونتيجة التجنّى وعنوان الثقل ورسول الانفصال وداعية القلى ومقدّمة الصدّ وانّما يستحسن اذا لطف وكان أصله الاشفاق وفى ذلك اقول

لَعَلَّك بَعْدَ عَتْبِك أَنْ تَجُودَا * بِمَا مِنْهُ عَتَبْتَ وَأَنْ تَزِيدَا
فَكَمْ يَوْمٍ رَأَيْنَا فيه صَحْوًا * وَأَسْمَعَنَا بِآخِرِهِ الرُّعُودَا ٥
وَعَادَ الصَّحْوُ بَعْدُ كَمَا عَلِمْنَا * وَأَنْتَ كَذَاكَ نَرْجُو[1] أَنْ تَعُودَا

وكان سبب قولى هذه الابيات عتاب وقع فى يوم هذه صفته من ايّام الربيع فقلتها فى ذلك الوقت وكان لى فى بعض الزمن صديقان وكانا اخوين فغابا فى سفر ثم قدما وقد اصابنى رمد فتأخّرا عن عيادتى فكتبت اليهما 68a والمخاطبة للأكبر منهما شعرًا منه ١٠

وَكُنْتُ أُعَدِّدُ أَيْضًا عَلَى * أَخِيكَ بِمُؤْلِمَةِ السَّامِعِ
وَلَكِنْ إِذَا ٱلدَّجْنُ غَطَّى ذُكَا * فَمَا الظَّنُّ بِالقَمَرِ الطَّالِعِ

ثمّ هجر يوجبه الوشاة وقد تقدّم القول فيهم وفيما يتولّد من دبيب عقاربهم وربمّا كان سببًا للمقاطعة البتّة

ثمّ هجر الملل والملل من الاخلاق المطبوعة فى الانسان واحرى لمن دهى ١٥ به ألّا يصفو له صديق ولا يصحّ له اخًا و لا يثبت على عهد ولا يصبر[2] على إلف ولا تطول مساعدته لمحبّ ولا يعتقد منه ودّ ولا بغضة و اولى الامور بالناس ان لا يغرّوه منهم وان يفرّوا عن صحبته ولقائه فلن يخلوا منه بطائل و لذلك ابعدنا هذه الصفة عن المحبّين وجعلناها فى المحبوبين فهم بالجملة اهل 68b التجنّى والتظنّى[3] والتعرّض للمقاطعة وامّا من تزيّا باسم الحبّ وهو ملول ٢٠ فليس منهم حقّه ان يهرج مذاقه وينفى عن اهل هذه الصفة ولا يدخل فى جملتهم وما رأيت قطّ هذه الصفة اشدّ تغلّبًا منها على ابى عامر محمّد بن عامر رحمه الله فلو وصف لى واصف بعض ما علمته منه لما صدّقته واهل هذا الطبع اسرع الخلق محبّة واقلّهم صبرًا على المحبوب وعلى المكروه وبالضدّ وانقلابهم ٢٤

---

(١) MS ترجو. (٢) MS يصير. (٣) MS النطنى.

عن الودّ على قدر تسرّعهم اليه فلا تثق بملول ولا تشغل به نفسك ولا تعنها
بالرجآء فى وفآئه فان دُفعت الى محبّته ضرورةً فعدّه ابن ساعته واستأنفه
كل حين من احيانه بحسب ما تراه من تلوّنه وقابله بما يشاكله ولقد كان
ابو عامر المحدّث عنه يرى الجارية فلا يصبر عنها ويحيق به من الاغتمام
69a والهمّ ما يكاد ان يأتى عليه حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القتاد ٥
فاذا ايقن بتصيّرها اليه عادت المحبّة نفارًا وذلك الأنس شرودًا والقلق اليها
قلقًا منها ونزاعه نحوها نزاعًا منها فيبيعها بأوكس الاثمان هذا كان دأبه حتى
اتلف فيما ذكرنا من عشرات الوف الدنانير عددًا عظيمًا وكان رحمه الله
مع هذا من اهل الأدب والحذق والذكآء والنبل والحلاوة والتوقّد مع
الشرف العظيم والمنصب الفخم والجاه العريض وامّا حسن وجهه وكمال صورته ١٠
فشىء تقف الحدود عنه وتكلّ الاوهام عن وصف اقلّه ولا يتعاطى احد
وصفه ولقد كانت الشوارع تخلّ من السيّارة ويتعمّدون الخطور على باب
داره فى الشارع الآخذ من النهر الصغير على باب دارنا فى الجانب الشرقىّ
بقرطبة الى الدرب المتّصل بقصر الزاهرة وفى هذا الدرب كانت داره رحمه
الله ملاصقة لنا لا لشىء الّا للنظر منه ولقد مات من محبّته جوارٍ كنّ علّقن ١٥
69b اوهامهنّ به وزُئِينَ(١) له فخانهنّ ممّا املنه منه فصرن رهائن البلى وقتلهنّ
الوحدة وانا اعرف جارية منهنّ كانت تسمّى عفرآء عهدى بها لا تستتر بحبّته
حيث ما جلست ولا تجفّ(٢) دموعها وكانت قد تصيّرت من داره الى البركات
الخيّال صاحب الفتيان ولقد كان رحمه الله يخبرنى عن نفسه انّه يملّ اسمه
فضلاً عن غير ذلك وامّا اخوانه فانّه تبدّل بهم فى عمره على قصره مرارًا ٢٠
وكان لايثبت على زىّ واحد كابى براقش حينًا يكون فى ملابس الملوك وحينًا
فى ملابس الفتّاك فيجب على من امتحن بمخالطة من هذه صفته على اىّ وجه
كان ألّا يستفرغ عامّة جهده فى محبّته وان يُقيم اليأس من دوامه خصمًا لنفسه ٢٢

---

(١) MS رين. La leçon acceptée dans le texte ne nous paraît pas tout à fait sûre. (٢) MS تجف.

فاذا لاحت له مخائل الملل قاطعه ايّامًا حتى ينشط باله ويبعد به عنه ثم يعاوده فربّما دامت المودّة مع هذا وفى ذلك اقول

لَا تَرْجُوَنَّ مَلُولاً * لَيْسَ المَلُولُ بِعُدَّهْ
وُدُّ المَلُولِ فَدَعْهُ[1] * عَارِيَّـةٌ مُسْتَرَدَّهْ

70a ومن الهجر ضرب يكون متولّيه المحبّ وذلك عند ما يرى من جفآء محبوبه والميل عنه الى غيره او لثقيل يلازمه فيرى الموت ويتجرّع غصص الأسى والعضّ على ثقيف الحنظل أهون من رؤية ما يكره فينقطع وكبده تتقطّع وفى ذلك اقول ٥

هَجَرْتُ مَنْ أَهْوَاهُ لَا عَنْ قِلًى * يَـا عَجَبًـا لِلْعَاشِقِ الهَاجِـرِ
لَكِنَّ عَيْنِي لَمْ تُطِقْ نَظْرَةً * إِلَى مُحَيَّـا الرَّشَـا الغَادِرِ
فَالمَوْتُ أَحْلَى مَطْعَمًا مِنْ هَوًى * يُبَـاحُ لِلْوَارِدِ وَالصَّـادِرِ ١٠
وَفِي الفُؤَادِ النَّارُ مُذْكَيَّـةٌ * فَاعْجَبْ لِصَبٍّ جزعٍ صَابِرِ
وَقَدْ أَبَاحَ اللهُ فِي دِينِـهِ * تَقِيَّـةَ المَأْسُورِ لِـلْآسِـرِ
وَقَدْ أَحَلَّ الكُفْرَ خَوْفَ الرَّدَى * حَتَّى تَرَى المُؤْمِنَ كَالكَافِـرِ 70b

خبر ومن عجيب ما يكون فيها وشنيعه انّى اعرف من هام قلبه بمتناءٍ عنه نافرمنه فقاسى الوجد زمنًا ثم سنحت له الايّام بسانحة عجيبة من الوصل اشرف بها على بلوغ أمله فحين لم يكن بينه وبين غاية رجآئه الّا كهاؤلآء عاد الهجر والبعد الى اكثر ما كان قبل فقلت فى ذلك ١٥

كَانَتْ إِلَى دَهْرِى لِيَ حَاجَةٌ * مَقْرُونَةٌ فِي البُعْدِ بِالمُشْتَرِى
فَسَاقَهَـا بِاللُّطْفِ حَتَّى إِذَا * كَانَتْ مِنَ القُرْبِ عَلَى مَحْجِـرِ
أَبْعَدَهَا عَنِّي فَعَادَتْ كَأَنْ * لَمْ تَبْدُ لِلْعَيْنِ وَلَمْ تَظْهَـرِ ٢٠

وقلت

دَنَا أَمَلِي حَتَّى مَدَدْتُ لِأَخْذِهِ * يَدًا فَانْثَنَى نَحْوَ المَجَرَّةِ رَاحِـلَا
فَأَصْبَحْتُ لَا أَرْجُو وَقَدْ كُنْتُ مُوقِنًا * وَأُضْحِي مَعَ الشِّعْرَى وَقَدْ كَانَ حَاصِلَا 71a
وَقَدْ كُنْتُ مَحْسُودًا فَأَصْبَحْتُ حَاسِدًا * وَقَدْ كُنْتُ مَأْمُولاً فَأَصْبَحْتُ آمِلَا ٢٤

(1) MS فَدَعهُ.

كَذَا الدَهْرُ فِى كَرَّاتِهِ وَٱنْتِقَالِــهِ * فَلَا يَأْمَنَنَّ الدَهْرَ مَنْ كَانَ عَاقِلَا

ثم هجر القلى وهنا ضلّت الاساطير ونفدت الحيل وعظم البلاء وهو الذى
خلاّ العقول ذواهل فمن دهى بهذه الداهية فليتصدّ لمحبوب محبوبه وليتعمّد
ما يعرف انّه يستحسنه ويجب ان يجتنب ما يدرى انه يكرهه فربّما عطّفه
٥ ذلك عليه ان كان المحبوب ممن يدرى قدر الموافقة والرغبة فيه وامّا من
لم يعلم قدر هذا فلا طمع فى استصرافه بل حسناتك عنه ذنوب فان لم
يقدر المرء على استصرافه فليتعمّد السلوان وليحاسب نفسه بما هو فيه من
71b البلاء والحرمان ويسعى فى نيل رغبته على اىّ وجه امكنه ولقد رأيت من
هذه صفته وفى ذلك اقول قطعةً اوّلها

١٠ دُهِيتُ بِمَنْ لَوْ أَدْفَعُ المَوْتَ دُونَه * لَقَالَ إِذًا يَا لَيْتَنِى فِى المَقَابِــرِ

ومنها

وَلَا ذَنْبَ لِى إِذْ صِرْتُ أَحْدُو رَكَائِبِى[1] * إِلَى الوِرْدِ وَالدُنْيَا نُسِىءَ[2] مَصَادِرِى
وَمَا ذَا عَلَى الشَمْسِ المُنِيرَةِ بِالضُحَى * إِذَا قَصَّرَتْ عَنْهَا ضِعَافُ البَصَائِــرِ

واقول

١٥ مَا أَقْبَحَ الهَجْرَ بَعْدَ وَصْلٍ * وَأَحْسَنَ الوَصْلَ بَعْدَ هَجْرِ
كَالوَفْرِ تَحْوِيهِ بَعْدَ فَقْــرٍ * وَالفَقْرِ يَأْتِيكَ بَعْدَ وَفْــرِ

واقول

مَعْهُودُ أَخْلَاقِكَ قِسْمَانِ * وَالدَهْرُ فيكَ اليَوْمَ صِنْفَانِ
فَإِنَّكَ النُعْمَانُ فِى مَا مَضَى * وَكَانَ لِلْنُعْمَانِ يَوْمَانِ
٢٠ يَوْمُ نَعِيمٍ فيه سَعْدُ الوَرَى * وَيَوْمُ بَأْسَاءَ وَعُــدْوَانِ
72a فَيَوْمُ نُعْمَاكَ لِغَيْرِى وَيَوْمُ بُؤْسَى مِنْكَ ذُو بُؤْسٍ وَهِجْرَانِ
أَلَيْسَ حُبِّى لَكَ مُسْتَأْهِــلًا * لِأَنْ تُجَازِيــهِ بِإِحْسَانِ

واقول قطعةً منها

٢٤ يَا مَنْ جَمِيعُ الحُسْنِ مُنْتَظِمٌ * فيــهِ كَنَظْمِ الدُّرِّ فِى العِقْدِ

(١) MS ركايبى. (٢) MS تسى.

مَا بَالُ حَتْفِي مِنْك يَطْرُقُنِي * قَصْدًا وَوَجْهُك طَالِعُ السَعْدِ

واقول قصيدةً اوّلها

أَسَاعَةُ تَوْدِيعِيك أَمْ سَاعَةُ الحَشْرِ * وَلَيْلَةُ بَيْنِي مِنْك أَوْ لَيْلَةُ النَشْرِ

وَهجْرُك تَعْذِيبُ المُوَحِّدِ يَنْقَضِى * وَيَرْجُو التَلَاقِى أَمْ عَذَابُ ذَوِى الكُفْرِ

٥

ومنها

سَقَى ٱللّٰهُ أَيَّامًا مَضَتْ وَلَيَالِيًا * تُحَاكِى لَنَا النِيلُوفَرَ الغَضَّ فِى النَشْرِ

فَأَوْرَاقُه الأَيَّامُ حُسْنًا وَبَهْجَةً * وَأَوْسَطُه اللَيْلُ المُقَصِّرُ لِلعُمْرِ

لَهَوْنَا بِهَا فِى غَمْرَةٍ وَتَأَلُّفٍ * تَمُرُّ فَلَا تَدْرِى وَتَأْتِى فَلَا تَدْرِى   72b

فَأَعْقَبَنَا مِنْهُ زَمَانٌ كَأَنَّه * وَلَا شَكَّ حُسْنُ العَقْدِ أُعْقِبَ بِالغَدْرِ

١٠

ومنها

فَلَا تَيْأَسِى يَا نَفْسُ عَلَّ زَمَانَنَا * يَعُودُ بِوَجْهٍ مُقْبِلٍ غَيْرِ مُدْبِرِ

كَمَا صَرَّفَ الرَّحْمَانُ مُلْكَ أُمَيَّةٍ * إِلَيْهِمْ وَلُوذِى بِالتَحَمُّلِ وَالصَبْرِ

وفى هذه القصيدة امدح ابا بكر هشام بن محمّد اخا امير المومنين عبد الرحمن المرتضى رحمه الله

١٥

فاقول

أَلَيْسَ يُحِيطُ الرُوحُ فِينَا بِكُلِّ مَا * دَنَا وَتَنَاءَى وَهْوَ فِى حُجُبِ الصَدْرِ

كَذَا الدَهْرُ جِسْمٌ وَهْوَ فِى الدَهْرِ رُوحُه * مُحِيطٌ بِمَا فِيه وَإِنْ شِئْتَ فَٱسْتَبْرِى

ومنها   73a

إِتَاوَتُهَا تُهْدَى إِلَيْه وَمِنَّةٌ(١) * تَقَبُّلُهَا(٢) مِنْهُمْ يُقَاوِمُ(٣) بِالشُكْرِ

كَذَا كُلُّ نَهْرٍ فِى البِلَادِ وَإِنْ طَمَتْ * غَزَارَتُه يَنْصَبُّ فِى لُجَجِ(٤) البَحْرِ   ٢٠

بَابُ الوَفَاءِ

ومن حميد الغرائز وكريم الشيم وفاضل الاخلاق فى الحبّ وغيره الوفاء

---

(١) MS ومنهُ.   (٢) MS تقبلها.   (٣) MS تقاوم.   (٤) MS تج.

وانه لمن اقوى الدلائل واوضح البراهين على طيب الاصل وصرف العنصر وهو يتفاضل بالتفاضل اللازم للمخلوقات وفى ذلك اقول قطعةً منها

أَفْعَالُ كُلِّ امْرِءٍ تُنْبِي بِعُنْصُرِهِ * وَالعَيْنُ تُغْنِيكَ عَنْ أَنْ تَطْلُبَ الأَثَرَا

ومنها

وَهَلْ تَرَى قَطُّ دِفْلَى أَنْبَتَتْ عِنَبًا * أَوْ تَذْخَرُ(١) النَحْلُ فِى أَوْكَارِهَا الصَبِرَا ٥

73b و اوّل مراتب الوفآء ان يفى الانسان لمن يفى له وهذا فرض لازم وحق واجب على المحبّ والمحبوب لا يحول عنه الّا حبيث المحتد لا خلاق له ولا خير عنده ولولا انّ رسالتنا هذه لم نقصد بها الكلام فى اخلاق النسآء وصفاته المطبوعة والتطبّع بها وما يزيد من المطبوع بالتطبّع وما يضمحلّ من التطبّع بعدم الطبع لزدتّ فى هذا المكان ما يجب ان يوضع فى مثله ١٠ ولكنّا انّما قصدنا التكلّم فيما رغبته من امر الحبّ فقط وهذا امر كان يطول جدًّا اذا الكلام فيه يتفنّن كثيرًا خبر ومن اشنع ما شاهدته من الوفآء فى هذا المعنى واهوله شأنًا قصّة رأيتها عيانًا وهو انّى اعرف من رضى بقطيعة محبوبه واعزّ الناس عليه ومن كان الموت عنده احلى من هجر ساعة فى جنب طيّه لسرٍّ اودعه والتزم محبوبه يمينًا غليظةً الّا يكلّمه ابدًا ولايكون بينهما خبر(٢) ١٥

74a او يفضح اليه ذلك السرّ على انّ صاحب ذلك السرّ كان غائبًا فابى من ذلك وتمادى هو على كتمانه والثانى على هجرانه الى ان فرقت بينهما الايّام

ثم مرتبة ثانية وهو الوفآء لمن غدر وهى للمحبّ دون المحبوب وليس للمحبوب هاهنا طريق ولا يلزمه ذلك وهى خطّة لا يطيقها الّا جلد قوىّ واسع الصدر حرّ النفس عظيم الحلم جليل الصبر خصيف العقدة ماجد الخلق سالم ٢٠ النيّة ومن قابل الغدر بمثله فليس بمستأهل للملامة ولكنّ الحال التى قدّمنا تفوقها جدًّا وتفوتها بعدًا وغاية الوفآء فى هذه الحال ترك مكافاة الاذى بمثله والكفّ عن سيّءِ(٣) المعارضة بالفعل والقول والتانى فى جرّ حبل الصحبة ما ٢٢

---

(١) MS تدخر. (٢) MS خيرًا. (٣) MS سيى.

امكن ورجيت الالفة وطمع فى الرجعة و لاحت للعودة ادنى مخيلة وشيمت
بها اقلّ بارقة او توجّس منها ايسر علامة فاذا وقع اليأس واستحكم الغيظ
74b حينئذ والسلامة من غرّك والامن من ضرّك والنجاة من اذاك وان يكون
ذكر ما سلف مانعًا من شفآء الغيظ فيما وقع فرعى الاذمّة حقّ وكيد على
اهل العقول والحنين الى ما مضى وألّا ينسى ما قد فرغ منه وفنيت مدّته ٥
اثبت الدلائل على صحّة الوفآء وهذه الصفة حسنة جدًّا وواجب استعمالها فى
كلّ وجه من وجوه معاملات الناس فيما بينهم على اىّ حال كانت خبر
ولعهدى برجل من صفوة اخوانى قد علق بجارية فتأكّد الودّ بينهما ثم غدرت
بعهده ونقضت ودّه وشاع خبرهما فوجد لذلك وجدًا شديدًا خبر وكان لى
مرّةً صديق ففسدت نيّته بعد وكيد مودّة لا يكفر بمثلها و ان علم كل واحد ١٠
منّا سرّ صاحبه وسقطت الموءنة فلمّا تغيّر علىّ افشى كلّ ما اطّلع لى عليه ما
كنت اطلعته منه على اضعافه ثم اتّصل به انّ قوله فىّ قد بلغنى فجزع لذلك
75a وخشى ان اقارضه على قبيح فعله وبلغنى ذلك فكتبت اليه شعرًا أؤنّسه فيه
و اعلمه انّى لا اقارضه خبر وممّا يدخل فى هذا الدرج وان كان ليس منه
ولا هذا الفصل المتقدّم من جنس الرسالة والباب ولكنّه شبيه له على ما قد ١٥
ذكرنا وشرطنا وذلك انّ محمّد بن وليد بن مكسير الكاتب كان متّصلاً بى
ومنقطعًا الىّ ايّام وزارة ابى رحمة الله عليه فلمّا وقع بقرطبة ما وقع وتغيّرت
الاحوال خرج الى بعض النواحى فاتّصل بصاحبها فعرض جاهه وحدثت له
وجاهة وحال حسنة فحللت انا تلك الناحية فى بعض رحلتى فلم يوفّنى حقّى
بل ثقل عليه مكانى واسآء معاملتى وصحبتى وكلّفته فى خلال ذلك حاجةً ٢٠
لم يقم فيها ولا قعد واشتغل عنها بما ليس فى مثله شغل فكتبت اليه شعرًا
اعاتبه فيه فجاوبنى مستعتبًا وعلى ذلك فما كلّفته حاجةً بعدها وممّا لى فى
هذا المعنى وليس من جنس الباب ولكنّه يشبهه ابيات قلتها منها

75b وَلَيْسَ يُحْمَدُ كِتْمَانٌ لِمُكْتَتِمٍ * لٰكِنَّ كَتْمَكَ مَا أَفْشَاهُ مُفْشِيهِ ٢٤

كَالجُودِ بالوَفْرِ أَسْنَى مَا يَكُونُ إِذَا * قَلَّ الوُجُودُ لَهُ أَوْ ضَنَّ[1] مُعْطِيهِ

ثم مرتبة ثالثة وهى الوفآء مع اليأس البات وبعد حلول المنايا وفجاءات
المنون وانّ الوفآء فى هذه الحالة لاجلّ واحسن منه فى الحياة ومع
رجآء اللقآء خبر ولقد حدّثتنى امرأة اثق بها انّها رأت فى دار محمّد بن
احمد بن وهب المعروف بابن الركيزة من ولد بدر الداخل مع الامام عبد ٥
الرحمن بن معوية رضى الله عنه جارية رائعةً جميلةً كان لها مولًى فجاءته
المنيّة فبيعت فى تركته فأبت ان ترضى بالرجال بعده وما جامعها رجل الى
ان لقيت الله عزّ وجلّ وكانت تحسن الغنآء فانكرت علمها به ورضيت بالخدمة
والخروج عن جملة المتّخذات للنسل واللذّة والحال الحسنة وفآء منها لمن قد
76a دثر و وارته الارض والتأمت عليه الصفائح ولقد رامها سيّدها المذكور ان ١٠
يضمّها الى فراشه مع سائر جواريه ويخرجها ممّا هى فيه فأبت فضربها غير
مرّة واوقع بها الادب فصبرت على ذلك كله فاقامت على امتناعها وانّ
هذا من الوفآء غريب جدًّا واعلم انّ الوفآء على المحبّ اوجب منه على
المحبوب وشرطه له الزم لانّ المحبّ هو البادى باللصوق والتعرّض لعقد
الاذمّة والقاصد لتأكيد المودّة والمستدعى صحّة العشرة والاوّل فى عدد ١٥
طالب الاصفياء والسابق فى ابتغآء اللذّة باكتساب الخلّة والمقيّد نفسه بزمام
المحبّة قد عقلها باوثق عقال وخطمها باشدّ خطام فمن قسره على هذا كله ان
لم يرد اتمامه ومن اجبره على استجلاب المقة ان لم ينو حتمها بالوفآء لمن
اراده عليها والمحبوب انّما هو مجلوب اليه و مقصود نحوه ومخيّر فى القبول
76b او الترك فان قبل فغاية[2] الرجآء وان ابى فغير مستحقّ للذمّ وليس التعرّض ٢٠
للوصل والالحاح فيه والتأنّى[3] لكل ما يستجلب به من الموافقة وتصفية الحضرة
والمغيب من الوفآء فى شىء فحظّ نفسه اراد الطالب وفى سروره سعى وله
اختطب والحبّ يدعوه ويحدوه على ذلك شآء او ابى وانّما يحمد الوفآء ٢٢

---

(1) Proposé par M. I. Kratchkovsky; MS ظن.

(2) MS فعايه.

(3) MS التّأبّى.

ممّن يقدر على تركه وللوفآء شروط على المحبّين لازمة فاوّلها ان يحفظ عهد محبوبه ويرعى غيبته ويستوى علانيته وسريرته ويطوى شرّه وينشر خيره ويغطّى على عيوبه ويحسن افعاله ويتغافل عمّا يقع منه على سبيل الهفوة ويرضى بما حمّله ولايكثر عليه بما ينفر منه والّا يكون طلعه ثؤوبًا ولاملّه[1] طروقًا وعلى المحبّ ان ساواه فى المحبّة مثل ذلك وان كان دونه فيها فليس للمحبّ ٥ ان يكلّفه الصعود الى مرتبته ولا له الاستشاطة عليه بان يسوّمه الاستوآء معه فى درجته وبحسبه منه حينئذ كتمان خبره والّا يقابله بما يكره ولا يخيفه به وان 77a كانت الثالثة وهى السلامة ممّا يلقى بالجملة فليقنع بما وجد وليأخذ من الامر ما استدفّ ولايطلب شرطًا ولايقترح حقدًا وانّما له ما سنح بجدّه او ما حان بكدّه واعلم انّه لايستبين قبح الفعل لاهله ولذلك يتضاعف قبحه عند من ١٠ ليس من ذويه ولا اقول قولى هذا ممتدحًا ولكن آخذًا بادب الله عزّ وجلّ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ[2] لقد منحنى الله عزّ وجلّ من الوفآء لكل من يمتّ[3] الىّ بلقية واحدة و وهبنى من المحافظة لمن يتذمّم منّى ولو بمحادثته ساعة خطآء انا له شاكر وحامد ومنه مستمدّ ومستزيد وما شىء اثقل علىّ من الغدر ولعمرى ما سمحت نفسى قطّ فى الفكرة فى اضرار من بينى وبينه اقلّ ١٥ ذمام وان عظمت جريرته وكثرت الىّ ذنوبه ولقد دهمنى من هذا غير قليل فما جزيت على السوءى الّا بالحسنى والحمد لله على ذلك كثيرًا وبالوفآء افتخر فى كلمة طويلة ذكرت فيها ما مضّنا من النكبات و دهمنا من الحلّ 77b والترحال والتجوّل فى الآفاق اوّلها

وَلَّى فَوَلَّى جَمِيلُ الصَّبْرِ يَتْبَعُهُ * وَصَرَّحَ الدَّمْعُ مَا تُخْفِيهِ أَضْلُعُهُ ٢٠
جِسْمٌ مَلُولٌ وَقَلْبٌ آلِفٌ فَإِذَا * حَلَّ الفِرَاقُ عَلَيْهِ فَهُوَ مُوجِعُهُ
لَمْ تَسْتَقِرَّ بِهِ دَارٌ وَلَا وَطَنٌ * وَلَا تَدَفَّأَ مِنْهُ قَطُّ مَضْجَعُهُ
كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ رَهْوِ السَّحَابِ فَمَا * تَزَالُ رِيحٌ إِلَى الآفَاقِ تَدْفَعُهُ
كَأَنَّمَا هُوَ تَوْحِيدٌ تَضِيقُ بِهِ * نَفْسُ الكَفُورِ فَتَأْبَى حِينَ تُودِعُهُ ٢٤

---

(١) MS مله.   (٢) 93, 11.   (٣) MS peu sûr.

اَوْ كَوْكَبٌ قَاطِعٌ فِى الافْقِ مُنْتَقِلٌ * فَالسَيْرُ يُغْرِبُـهُ حِينًا وَيُطْلِعُهُ
أَظُنُّه لَوْ جَزَتْــه أَوْ تُسَاعِــدُه * أَلْقَتْ عَلَيْه انْهِمَالَ الدَمْعِ يَتْبَعُــهُ

78a وبالوفآء ايضًا افتخر فى قصيدة لى طويلة اوردتها وان كان اكثرها ليس
من جنس الكتاب فكان سبب قولى لها انّ قومًا من مخالفى شرقوابي فاسآءوا
العتب فى وجهى وقذّفونى بانّى اعضد الباطل بحجّتى عجزًا منهم عن مقاومة ٥
ما اوردته من نصر الحقّ واهله وحسدًا لى فقلت وخاطبت بقصيدتى بعض
اخوانى ذا فهم منها

وَخُذْنِي عَصَا مُوسَى وَهَاتِ جَمِيعَهُمْ * وَلَوْ أَنَّهُمْ حَيَّاتُ ضَالٍ نَضَانِضُ

ومنها

يُرِيغُونَ فِى عَيْنِى عَجَائِبَ جَمَّةً[1] * وَقَدْ يَتَمَنَّى اللَيْثُ وَاللَيْثُ رَابِضُ ١٠

ومنها

وَيَرْجُونَ مَا لاَ يَبْلُغُونَ كَمِثْلِ مَا * يُرَجِّى مُحَالاً فِى الإِمَامِ الرَوَافِضُ

ومنها

وَلَوْ جَلَدِى فِى كُلِّ قَلْبٍ وَمُهْجَةٍ * لَمَا أَثَّرَتْ فِيهَا العُيُونُ المَرَائِضُ
78b أَبَتْ عَنْ دَنِىِّ الوَصْفِ ضَرْبَةَ لاَزِمٍ * كَمَا أَبَتِ الفِعْلَ الحُرُوفُ الخَوَافِضُ ١٥

ومنها

وَرَأْيِى لَهُ فِى كُلِّ مَا غَابَ مَسْلَكٌ * كَمَا تَسْلُكُ الجِسْمَ العُرُوقُ النَوَافِضُ
يَبِينُ مَدَبُّ النَّمْلِ فِى غَيْرِ مُشْكِلٍ * وَيُسْتَرُ عَنْهُمْ لِلْفُيُولِ المَرَابِضُ

بَابُ الغَدْرِ

وكما انّ الوفآء من سرىّ النعوت ونبيل الصفات فكذلك الغدر من ٢٠
ذميمها ومكروهها وانّما يسمّى غدرًا من البادى به وامّا المقارض بالغدر على
مثله وان استوى معه فى حقيقة الفعل فليس بغدر ولا هو معيبًا بذلك والله

(1) MS حمة.

عزّ وجلّ يقول وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا[1] وقد علمنا انّ الثانية ليست بسيّئة ولكن لما جانست الاولى فى الشبه اوقع عليها مثل اسمها وسيأتى هذا مفسّرًا فى باب السلوّ ان شآء الله ولكثرة وجود الغدر فى المحبوب استُغرب الوفآء منه فصار قليله الواقع منهم يقاوم الكثير الموجود فى سواهم وفى ذلك اقول 79a

قَلِيلُ وَفَآءِ مَنْ يَهْوَى يَجِلُّ * وَعُظْمُ وَفَآءِ مَنْ يَهْوَى يَقِلُّ ٥

فَنَادِرَةُ الجَبَانِ أَجَلُّ مِمَّا * يَجِىءُ به الشُجَاعُ المُسْتَقِلُّ

ومن قبيح الغدر ان يكون للمحبّ سفير الى محبوبه يستريح اليه باسراره فيسعى حتى يقبله الى نفسه ويستأثر به دونه وفيه اقول

أَقَمْتَ سَفِيرًا قَاصِدًا فى مَطَالِبِى * وَثِقْتُ به جَهْلاً فَضَرَّبَ بَيْنَنَا

وَحَلَّ عُرَى وُدِّى وَأَثْبَتَ وُدَّه * وَأَبْعَدَ عَنِّى كُلَّ مَا كَانَ مُمْكِنَا ١٠

فَصِرْتُ شَهِيدًا بَعْدَمَا كُنْتُ مُشْهِدًا * وَأَصْبَحْتُ ضَيْفًا بَعْدَمَا كَانَ ضَيْفَنَا

خبر ولقد حدّثنى القاضى يونس بن عبد الله قال اذكر فى الصبى جاريةً فى بعض السدد يهواها فتىً من اهل الادب من ابنآء الملوك وتهواه ويتراسلان وكان السفير بينهما والرسول بكتبهما فتىً من اترابه كان يصل اليهـا فلما عرضت الجارية للبيع اراد الذى كان يحبّها ابتياعها فبدر[2] الذى كان رسولاً فاشتراها فدخل عليها يومًا فوجدها قد فتحت درجًا لها تطلب فيه بعض حوائجها فأتى اليها وجعل يفتش الدرج فخرج اليه كتاب من ذلك الفتى الذى كان يهواها مضمّخًا بالغالية مصونًا مكرمًا فغضب وقال من اين هذا يا فاسقة قالت انت سقته الىّ فقال لعلّه محدث بعد ذاك الحين فقالت ما هو الاّ من قديم تلك التى تعرف قال فكأنّما القمته حجرًا فسقط فى يديه وسكت ١٥ 79b ٢٠

بَابُ البَيْنِ ← hier gebleven

وقد علمنا انّه لا بدّ لكل مجتمع من افتراق ولكل دانٍ من تنآءٍ ٢٢

---

(١) 42, 38. (٢) MS بذر.

وتلك عادة الله فى العباد والبلاد حتى يرث الله الارض و من عليها وهو
خير الوارثين وما شىء من دواهى الدنيا يعدل الافتراق ولو سالت الارواح
به فضلاً عن الدموع كان قليلاً وبعض الحكمآء سمع قائلاً يقول الفراق اخو
الموت فقال بل الموت اخو الفراق والبين ينقسم اقساماً فاوّلها مدّة يوقَنُ
بانصرامها وبالعودة عن قريب وانّه لشجىً فى القلب وغصّة فى الحلق لا تبرأ ٥
الّا بالرجعة وانا اعلم من كان يغيب من يحبّ عن بصره يوماً واحداً فيعتريه
من الهلع والجزع وشغل البال وترادف الكرب ما يكاد يأتى عليه ثم بين
80a منع من اللقآء وتحظير على المحبوب من ان يراه محبّه فهذا ولو كان من تحبّه
معك فى دار واحدة فهو بين لانّه بائن عنك وانّ هذا ليولد من الحزن
والأسف غير قليل ولقد جرّبناه فكان مُرًّا وفى ذلك اقول ١٠

أَرَى دَارَهَا فِى كُلِّ حِينٍ وَسَاعَةٍ * وَلٰكِنَّ مَنْ فِى الدَّارِ عَنِّى مُغَيَّبُ
وَهَلْ نَافِعِى قُرْبُ الدِيَارِ وَأَهْلُهَا * عَلَى وَصْلِهِمْ مِنِّى رَقِيبٌ مُرَقَّبُ
فَيَالَكَ جَارَ الجَنْبِ أَسْمَعُ حِسَّهُ * وَأَعْلَمُ أَنَّ الصِينَ أَدْنَى وَأَقْرَبُ
كَصَادٍ يَرَى مَآءَ الطَوِيِّ بِعَيْنِهِ * وَلَيْسَ إِلَيْهِ مِنْ سَبِيلٍ يُسَبَّبُ
كَذٰلِكَ مَنْ فِى اللَحْدِ عَنْكَ مُغَيَّبٌ * وَمَا دُونَهُ إِلَّا الصَفِيحُ المُنَصَّبُ ١٥

واقول من قصيدة مطوّلة

مَتَى تَشْتَفِى نَفْسٌ أَضَرَّ بِهَا الوَجْدُ * وَتَصْقَبُ دَارٌ قَدْ طَوَى أَهْلَهَا البُعْدُ
وَعَهْدِى بِهِنْدٍ وَهْىَ جَارَةُ بَيْتِنَا * وَأَقْرَبُ مِنْ هِنْدٍ لِطَالِبِهَا الهِنْدُ
بَلَى إِنَّ فِى قُرْبِ الدِيَارِ لَرَاحَةً * كَمَا يُمْسِكُ الظَمْآنَ أَنْ يَدْنُوَ الوِرْدُ

ثم بين يتعمّده المحبّ بعداً عن قول الوشاة و خوفاً ان يكون بقآؤه سبباً الى ٢٠
منع اللقآء وذريعةً الى ان يفشو الكلام فيقع الحجاب الغليظ ثم بين يولده
80b المحبّ لبعض ما يدعوه الى ذلك من آفات الزمان و غدره مقبول او مطرح
على قدر الحافز له الى الرحيل خبر ولعهدى بصديق لى داره المريّة فعنّت
له حوائج الى شاطبة فقصدها وكان نازلاً بها فى منزلى مدّة اقامته بها وكان
له بالمريّة علاقة هى اكبر همّه وادهى غمّه وكان يؤمل تبتيته وفراغ اسبابه ٢٥

وان يوشك الرجعة ويسرع الاوبة فلم يكن الّا حين لطيف بعد احتلاله
عندى حتى جيّش الموفّق ابو الحسن مجاهد صاحب الجزائر الجيوش وقرّب
العساكر ونابذ خيران صاحب المريّة وعزم على استئصاله فانقطعت الطرق
بسبب هذه الحرب وتُحوميت السبل واحتُرست البحر بالاساطيل فتضاعف
٥ كربه اذ لم يجد الى الانصراف سبيلا البتّة وكاد يطفأ أسفًا وصار لايأنس
بغير الوحدة ولا يلجأ الّا الى الزفير والوجوم ولعمرى لقد كان ممّن لم اقدّر
قطّ فيه انّ قلبه يذعن للودّ ولا شراسة طبعه تجيب الى الهوى واذكر انّى
دخلت قرطبة بعد رحيلى عنها ثم خرجت منصرفًا عنها فضمّنى الطريق مع
رجل من الكتّاب قد رحل لامرٍ مهمّ وتخلّف سكنى[1] له فكان يرتمض لذلك
81a ١٠ وانّى لاعلم من علق بهوًى له وكان فى حال شظف وكانت له فى الارض
مذاهب واسعة ومناديح رحبة و وجوه متصرّف كثيرة فهان عليه ذلك وآثر
الاقامة مع من يحبّ وفى ذلك اقول شعرًا منه

لَكَ فِى البِلَادِ مَنَادِحٌ مَعْلُومَةٌ * وَالسَّيْفُ قُفِلَ[2] أَوْ بِبِينُ قِرَابُهُ

ثم بين رحيل وتباعد ديار ولا يكون من الاوبة فيه على يقين خبر ولا
١٥ ايحدث تلاقٍ وهو الخطب الموجع والهمّ المفظع والحادث الاشنع والداء
الدوىّ واكثر ما يكون الهلع فيه اذا كان الناءى هو المحبوب وهو الذى
قالت فيه الشعراء كثيرًا وفى ذلك اقول قصيدة منها

وَذِى عِلَّةٍ أَعْنَى الطَّبِيبَ عِلَاجُهَا * سَتُورِدُنِى لَا شَكَّ مَنْهَلَ مَصْرَعِى
رَضِيتُ بِأَنْ أُضْحَى قَتِيلَ وَدَادِهِ * كَجَارِعِ سَمٍّ فِى رَحِيقٍ مُشَعْشَعِ
٢٠ فَمَا لِلَّيَالِى مَا أَقَلَّ حَيَاءَهَا * وَأَوْلَعَهَا[3] بِالنَّفْسِ مِنْ كُلِّ مُولَعِ
كَأَنَّ زَمَانِى عَبْشَمِىٌّ يَخَالُنِى * أَعَنْتُ عَلَى عُثْمَانَ أَهْلَ التَّشَيُّعِ

واقول من قصيدة

٢٢ أَظُنُّكَ تِمْثَالَ الجِنَانِ أَبَاحَهُ * لِمُجْتَهِدِ النُّسَّاكِ مِنْ أَوْلِيَائِهِ

---

(١) MS سكنًا. (٢) MS قُفل. (٣) MS اولغها.

81b

واقول من قصيدة

لِأَ بَرْدَ باللُّقيا غَليلاً مِنَ ٱلهَوَى * تَوَقُّعَ نِيرَانَ الغَضَى هَيَمَانُهُ

واقول شعرًا منه

خَفِيتُ عَنِ ٱلأَبْصَارِ وَالوَجْدُ ظَاهِرٌ * فَأَعْجِبْ بِأَعْرَاضٍ تَبِينُ ولاَ شَخْصُ

غَدَا الفَلَكُ الدَّوَّارُ حَلْقَةَ خَاتِمٍ * مُحِيطٍ بِمَا فيه وَأَنْتَ لَـهُ فَصُّ ٥

واقول من قصيدة

غَنِيتَ عَنِ ٱلتَّشْبِيهِ حُسْنًا وَ بَهْجَـةً * كَمَا غَنِيَتْ شَمْسُ السَّمَآءِ عَنِ ٱلحُلِى

عَجِبْتُ لِنَفْسِي بَعْدَهُ كَيْفَ لَمْ تَمُتْ * وَهِجْرَانُـه دَفْنِي وَفِقْدَانُـهُ نَعْيِى

وَلِلْجَسَـدِ الغَضِّ المُنَعَّمِ كَيْفَ لَمْ * تُذِبْهُ يَـدُ خَشْنَـآءَ ....[1]

وانّ للأوبة من البين الذى تشفق منه النفس لطول مسافته وتكاد تيأس ١٠
من العودة فيه لروعة تبلغ ما لاحدّ وراءه وربّما قتلت وفى ذلك اقول

لِلتَّلَاقِي بَعْـدَ الفِرَاقِ سُرُورٌ * كَسُرُورِ المُفِيقِ حِينَتْ وَفَاتُهْ

فَرْحَةٌ تُبْهِمُ النُّفُوسَ وَتُحْيِـ * ـي مَنْ دَنَا مِنْهُ بِالفِرَاقِ مَمَاتُهْ

رُبَّمَا[2] قَدْ تَكُونُ دَاهِيَةُ المَوْ * تِ وَتُودِى بِأَهْلِهِ هَجَمَاتُهْ

كَمْ رَأَيْنَا مَنْ عَبَّ فِي المَآءِ عَطْشَا * نُ فَزَارَ الحِمَامَ وَهْوَ حَيَاتُهْ ١٥

82a

وانّى لأعلم من نأت دار محبوبه زمنًا ثم تيسّرت له اوبة فلم يكن الّا بقدر
التسليم واستيفائه حتى دعته نوًى ثانية فكاد ان يهلك وفى ذلك اقول

أَطَلْتَ زَمَانَ البُعْدِ حَتَّى إِذَا ٱنْقَضَى * زَمَانُ النَّوَى بِالقُرْبِ عُدْتُ إِلَى البُعْدِ

فَلَمْ يَكُ إِلَّا كَرَّةَ الطَّرْفِ قُرْبُكُمْ * وَعَاوَدَكُمْ بُعْدِي وَ عَاوَدَنِى وَجْدِى

كَذَا حَائِرٌ فِي اللَّيْلِ ضَاقَتْ وُجُوهُهُ * رَأَى البَرْقَ فِى دَاجٍ مِنَ ٱللَّيْلِ مُسْوَدِّ ٢٠

فَأَخْلَفَـهُ مِنْـهُ رَجَـآءُ دَوَامِـهِ * وَبَعْضُ ٱلأَرَاجِى لَا تُفِيدُ وَلَا تُجْدِى

وفى الاوبة بعد الفراق اقول قطعة منها

لَقَدْ قَرَّتِ ٱلعَيْنَانِ بِالقُرْبِ مِنْكُمْ * كَمَا سَخُنَتْ أَيَّامَ يَطْوِيكُمُ ٱلبُعْـدُ ٢٢

---

(١) Le reste manque dans le MS. (٢) MS avant رُبَّمَا on lit encore un و superflus (pour la mesure).

فَلِلَّهِ فِيمَا قَدْ مَضَى الصَبْرُ وَالرِضَى * وَلِلَّهِ فِيمَا قَدْ قَضَى الشُكْرُ وَالحَمْدُ

خبر ولقد نُعِى الىّ بعض من كنت احبّ من بلدة نازحة فقمت فارًّا بنفسى نحو المقابر وجعلت امشى بينها واقول

وَدِدتُّ بانّ ظَهْرَ الأَرْضِ بَطْنٌ * وَأَنَّ البَطْنَ مِنْهَا صَارَ ظَهْرَا

وَأَنِّى مُتُّ قَبْلَ وُرُودِ خَطْبٍ * أَتَى فَأَثَارَ فِى الأَكْبَادِ جَمْرَا ٥

وَأَنَّ دَمِى لِمَنْ بَانَ غُسْلٌ(1) * وَأَنَّ ضُلُوعَ صَدْرِى كُنَّ قَبْرَا 82b

ثم اتّصل بعد حين تكذيب ذلك الخبر فقلت

بُشْرَى أَتَتْ وَاليَأْسُ مُسْتَحْكِمٌ * وَالقَلْبُ فِى سَبْعِ طِبَاقٍ شِدَادْ

كَسَتْ فُؤَادِى خُضْرَةً بَعْدَ مَا * كَانَ فُؤَادِى لَابِسًا لِلحِدَادْ

جَلَى سَوَادُ الغَمِّ عَنِّى كَمَا * يُجْلَى بِلَوْنِ الشَمْسِ لَوْنُ السَوَادْ ١٠

هَذَا وَمَا آمُلُ وَصْلاً سِوَى * صِدْقِ وَفَاءٍ بِقَدِيمِ الوِدَادْ

فَالمُزْنَ قَدْ تَطْلُبُ لَا لِلْحَيَا * لٰكِنْ لِظِلٍّ بَارِدٍ ذِى امْتِدَادْ

ويقع فى هذين الصنفين من البين الوداع اعنى رحيل المحبّ او رحيل المحبوب وانّه لمن المناظر الهائلة والمواقف الصعبة التى تفتضح فيها عزيمة كل ماضى العزائم وتذهب قوّة كل ذى بصيرة وتسكب كل عين جمود ويظهر ١٥ مكنون الجوى وهو فصل من فصول البين يجب التكلّم فيه كالعتاب فى باب الهجر ولعمرى لو انّ ظريفًا يموت فى ساعة الوداع لكان معذورًا اذا تفكّر فيما يحلّ به بعد ساعة من انقطاع الامال وحلول الاوجال وتبدّل السرور بالحزن وانّها ساعة ترقّ القلوب القاسية وتلين الافئدة الغلاظ وانّ حركة 83a الرأس وادمان النظر والزفرة بعد الوداع لهاتكة حجاب القلب وموصلة اليه ٢٠ من الجزع بمقدار ما تفعل حركة الوجه فى ضدّ هذا والاشارة بالعين والتبسّم ومواطن الموافقة والوداع ينقسم قسمين احدهما لا يتمكّن فيه الاّ بالنظر والاشارة والثانى يتمكّن فيه بالعناق والملازمة وربّما لعلّه كان لا يمكن قبل ذلك البتّة

(1) La mesure de ce demi-vers n'est pas correcte: il lui manque une syllabe.

مع تجاور المحالّ وإمكان التلاقى ولهذا تمنّى بعض الشعرآء البين ومدحوا يوم
النوى وما ذاك بحسن ولا بصواب من الرأى ولا بالأصيل من الرأى فما يفى
سرور ساعة بحزن ساعات فكيف اذا كان البين ايّامًا وشهورًا وربّما اعوامًا
وهذا سوء من النظر ومعوّج من القياس وانّما اثنيت على النوى فى شعرى
تمنّيًا لرجوع يومها فيكون فى كل يوم لقآء و وداع على ان تحتمل مضض ٥
هذا الاسم الكريه وذلك عند ما يمضى من الايّام التى لا التقآء فيها فحينئذ
يرغب المحبّ من يوم الفراق لو ان امكنه فى كل يوم وفى الصنف الاوّل
من الوداع اقول شعرًا منه

تَنُوبُ عَنْ بَهْجَةِ ٱلأَنْوَارِ بَهْجَتُهُ * كَمَا تَنُوبُ عَنِ ٱلنِّيرَانِ أَنْفَاسِى

83b وفى الصنف الثانى من الوداع اقول شعرًا منه ١٠

وَجْهٌ تَخِرُّ لَهُ ٱلأَنْوَارُ سَاجِدَةً * وَالوَجهُ تَمَّ فَلَمْ يَنْقُصْ وَ لَمْ يَزِدِ
دِفْءٌ وَشَمْسُ الضُحَى بالجَدْيِ نَازِلَةٌ * وَ بَارِدٌ نَاعِمٌ وَالشَمْسُ فِى ٱلأَسَدِ

ومنه

يَوْمُ الفِرَاقِ لَعَمْرِى لَسْتُ أَكْرَهُهُ * أَصْلاً وَإِنْ شَتَّ شَمْلُ الرُوحِ عَنْ جَسَدِى
فَفِيهِ عَانَقْتُ مَنْ أَهْوَى بِلاَ جَزَعٍ * وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ إِنْ سِيلَ لَمْ يَجُدِ ١٥
أَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ وَ....... [1] عَبْرَتُهَا * يَوْمُ الوِصَالِ لَيَوْمُ البَيْنِ ذُو جَسَدِ

وهل هجس فى الافكار او قام فى الظنون اشنع واوجع من هجر عتاب وقع بين
محبّين ثم فجأتهما النوى قبل حلول الصلح وانحلال عقدة الهجران فقاما الى
الوداع وقد نُسى العتاب وجآء ما طمّ على القوى واطار الكرى وفيه اقول
شعرًا منه ٢٠

وَقَدْ سَقَطَ العَتْبُ المُقَدَّمُ وَٱمَّحَى * وَجَآءَتْ جُيُوشُ البَيْنِ تَجْرِى وَتُسْرِعُ
وَقَدْ ذَعَرَ البَيْنُ الصُدُودَ فَرَاعَهُ * فَوَلَّى فَمَا يُدْرَى لَهُ اليَوْمَ مَوْضِعُ

---

(1) La mesure de ce demi-vers n'est pas correcte; il lui manque deux syllabes.

كَذِئْبٍ خَلاَ بالصيْدِ حَتَّى أَضَلَّه * هِزَبْرٌ لَهُ مِنْ جَانِبِ الغِيلِ مَطْلَعُ
لَئِنْ سَرَّنِى فِى طَرْدِهِ الهَجْرُ إِنَّنِى * لِإِبْعَادِهِ عَنِّى الحَبِيبَ لَمُوجَعُ
وَلاَ بُدَّ عِنْدَ المَوْتِ مِنْ بَعْضِ رَاحَةٍ * وَفِى غِبِّهَا المَوْتُ الوَحِىُّ المُصَرَّعُ

84a وأعرف من اتى ليودع محبوبه يوم الفراق فوجده قد فات فوقف على آثاره ساعةً وتردّد فى الموضع الذى كان فيه ثم انصرف كئيبًا متغيّر اللون كاسف ٥ البال فما كان بعد ايّام قلايل حتى اعتلّ ومات رحمه الله وانّ للبين فى اظهار السرائر المطويّة عملاً عجيبًا ولقد رأيت من كان حبّه مكتومًا وبِما يجد مستترًا حتى وقع حادث الفراق فباح المكنون وظهر الخفىّ وفى ذلك اقول قطعةً منها

بَذَلْتَ مِنَ الوُدِّ مَا كُنْتَ قَبْلُ * مَنَعْتَ وَأَعْطَيْتَنِيهِ جُزَافَا ١٠
وَمَا لِى بِهِ حَاجَةٌ عِنْدَ ذَاكَ * وَلَوْ جُدْتَ قَبْلُ بَلَغْتَ الشغَافَا
وَمَا يَنْفَعُ الطِبُّ عِنْدَ الحِمَامِ * وَيَنْفَعُ قَبْلَ الرَدَى مَنْ فَاتَلاَ

واقول

الآنَ إِذْ حَلَّ الفِرَاقُ جُدْتَ لِى * بِخَفِى حُبٍّ كُنْتَ تُبْدِى بُخْلَهُ
فَزِدْتَنِى فِى حَسْرَتِى أَضْعَافَهَا * وَيْحِى فَهَلاَّ كَانَ هَذَا قَبْلَهُ ١٥

ولقد اذكرنى هذا انّى خطيت فى بعض الازمان مودّة رجل من وزرآء السلطان ايّام جاهه فاظهر بعض الامتساك فتركته حتى ذهبت ايّامه وانقضت 84b دولته ابدا لى من المودّة والاخوّة غير قليل فقلت

بَذَلْتَ لِىَ الإِعْرَاضَ وَالدَهْرُ مُقْبِلٌ * وَتَبْذُلُ لِى الإِقْبَالَ وَالدَهْرُ مُعْرِضُ
وَتَبْسُطُنِى إِذْ لَيْسَ يَنْفَعُ بَسْطُكُمْ * فَهَلاَّ أَبَحْتَ البَسْطَ إِذْ كُنْتَ تَقْبِضُ ٢٠

ثم بين الموت وهو الفوت وهو الذى لايرجى له إياب وهو المصيبة الحالّة وهو قاصمة الظهر وداهية الدهر وهو الويل وهو المغطّى على ظلمة الليل وهو قاطع كل رجآء وماحى كل طمع والمؤيّس من اللقآء وهنا حارت الالسن وانجذم حبل العلاج فلا حيلة الاّ الصبر طوعًا او كرهًا وهو اجلّ ما يبتلى به المحبّون فما لمن دهى به الاّ النوح والبكآء الى ان يتلف او يملّ ٢٥

فهى القرحة التى لاتنكى والوجع الذى لايغنى وهو الغمّ الذى يتجدّد على قدر بلاء من اعتمدته فى الثرى وفيه اقول

كُلُّ بَيْنٍ وَاقِعٍ * فَمُرَجًّى لَمْ يَفُتْ
لَا تُعَجِّلْ قَنَطًا * لَمْ يَفُتْ مَنْ لَمْ يَمُتْ
وَٱلَّذِى قَدْ مَاتَ فَٱلْـيَأْسُ عَنْهُ قَدْ ثَبَتْ ٥

85a وقد رأينا من عرض له هذا كثيرًا وعنّى اخبرك انّى احد من دهى بهذه الفادحة وتعجّلت له هذه المصيبة وذلك انّى كنت اشدّ الناس كلفًا واعظمهم حبًّا بجارية لى كانت فيما خلا اسمها نُعْم وكانت امنيّة المتمنّى وغاية الحسن خلقًا وخُلقًا وموافقةً لى وكنت انا عذرها وكنّا قد تكافانا المودّة ففجعتنى بها الاقدار واخترمتها الليالى ومرّ النهار وصارت ثالثة التراب والاحجار وسنّى حين وفاتها ١٠ دون العشرين سنة وكانت هى دونى فى السنّ فلقد اقمت بعدها سبعة اشهر لا اتجرّد عن ثيابى ولا تفتر لى دمعة على جمود عينى وقلّة اسعادها وعلى ذلك فوالله ما سلوت حتى الآن ولو قُبل فداء لفديتها بكل ما املك من تالد وطارف وببعض اعضاء جسمى العزيزة علىّ مسارعًا طائعًا وما طاب لى عيش بعدها ولا نسيت ذكرها ولا أنست بسواها ولقد عفا حبّى لها على كل ما ١٥ قبله وحرّم ما كان بعده وممّا قلت فيها

مُهَذَّبَةٌ بَيْضَاءُ كَالشَّمْسِ إِنْ بَدَتْ * وَسَائِرُ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ نُجُومُ
أَطَارَ هَوَاهَا ٱلْقَلْبَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ * فَبَعْدَ وُقُوعٍ ظَلَّ وَهْوَ يَحُومُ

ومن مراثى فيها قصيدة منها

٢٠ كَأَنِّى لَمْ آنَسْ بِأَلْفَاظِكِ ٱلَّتِى * عَلَى عُقَدِ ٱلْأَلْبَابِ هُنَّ نَوَافِثُ 85b
وَلَمْ أَتَحَكَّمْ فِى ٱلْأَمَانِى كَأَنَّنِى * لِإِفْرَاطِ مَا حُكِّمْتُ فِيهِنَّ عَابِثُ

ومنها

وَيُبْدِينَ إِعْرَاضًا وَهُنَّ أَوَالِفٌ * وَيُقْسِمْنَ فِى هَجْرِى وَهُنَّ حَوَانِثُ

واقول ايضًا فى قصيدة اخاطب فيها ابن عمّى ابا المغيرة عبد الوهّاب ٢٤

احمد بن عبد الرحمن بن حزم بن غالب واقرضه فاقول

قِفَا فَاسْأَلَا الأَطْلَالَ أَيْنَ قَطِينُهَا * أَمَرَّتْ عَلَيْهَا بِالبِلَى المَلَوَانِ
عَلَى دَارِسَاتٍ مُقْفِرَاتٍ عَوَاطِلٍ * كَأَنَّ المَغَانِى فِى الخَفَاءِ مَعَانِى

واختلف الناس فى اىّ الامرين اشدّ البين ام الهجر وكلاهما مرتقًى صعب وموت احمر وبليّة سوداء وسنة شهباء وكل يستبشع من هذين ما ضادّ طبعه ٥ فامّا ذو النفس الابيّة الالوف الحنّانة الانوف الثابتة على العهد فلا شىء يعدل عنده مصيبة البين لانّه اتى قصدًا وتعمّدته النوائب عمدًا فلا يجد شيئا يسلّى نفسه ولا يصرف فكرته فى معنًى من المعانى الّا وجد باعثًا على صبابته ومحرّكًا لاشجانه وعليه لا له وحجّة لوجده وحاضًّا على البكاء على إلفه 86a وامّا الهجر فهو داعية السلوّ ورائد الاقلاع وامّا ذو النفس التوّاقة الكثيرة ١٠ النزوع والتطلّع القلوق العزوف فالهجر داؤه وجالب حتفه والبين له مسلاة ومنساة وامّا انا فالموت عندى اسهل من الفراق وما الهجر الّا جالب للكمد فقط ويوشك ان دام ان يحدث ايضارًا وفى ذلك اقول

وَقَالُوا ارْتَحِلْ فَلَعَلَّ السُلُوَّ * يَكُونُ وَ تَرْغَبُ أَنْ تَرْغَبَهْ
فَقُلْتُ الرَدَى لِىَ قَبْلَ السُلُوِّ * وَمَنْ يَشْرَبُ السَمَّ عَنْ تَجْرِبَهْ ١٥

واقول

سَبَى مُهْجَتِى هَوَاهُ * وَأَوْدَتْ بِهَا نَوَاهُ
كَأَنَّ الغَرَامَ ضَيْفٌ * وَ رُوحِى غَدَا قِرَاهُ

ولقد رأيت من يستعمل هجر محبوبه ويتعمّده خوفًا من مرارة يوم البين وما يحدث به من لوعة الاسف عند التفرّق وهذا وان لم يكن عندى من ٢٠ المذاهب المرضيّة فهو حجّة قاطعة على انّ البين اصعب من الهجر وكيف لا وفى الناس من يلوذ بالهجر خوفًا من البين ولم اجد احدًا فى الدنيا يلوذ بالبين خوفًا من الهجر وانّما يأخذ الناس ابدا الاسهل ويتكلّفون الاهون 86b وانّما قلنا انّه ليس من المذاهب المحمودة لانّ اصحابه قد استعجلوا البلاء ٢٤

قبل نزوله وتجرّعوا غصّة الصبر قبل وقتها ولعلّ ما تخوّفوه ألّا يكون ولعلّ من يتعجّل المكروه وهو على غير يقين ممّا له يتعجّل تحكيم وفيه اقول شعرًا منه

لَيسَ الصَبُّ لِلصَّبَابَةِ بِيْنًا * لَيْسَ مِنْ جَانِبِ الأَحِبَّةِ مَنَّا
كَغَنِيٍّ يَعِيشُ عَيْشَ فَقِيرٍ * خَوْفَ فَقْرٍ وَ فَقْرُهُ قَدْ أَيْنَا

واذكر لابن عمّى ابى المغيرة هذا المعنى من انّ البين اصعب من الصدّ ٥ ابياتًا من قصيدة خاطبنى بها وهو ابن سبعة عشر عامًا او نحوها وهى

أَجَزِعْتَ أَنْ أَزِفَ الرَحِيلُ * وَ وَلَهْتَ أَنْ نُصَّ الذَمِيلُ
كَلَّا مَصَابُكَ فَادِحٌ * وَأَجَلْ فِرَاقُهُمُ جَلِيلُ
كَذَبَ الأُلَى زَعَمُوا بِأَنَّ الصَدَّ مَرْتَعُهُ وَبِيلُ
لَمْ يَعْرِفُوا كُنْهَ الغَلِيلِ وَقَدْ تَحَمَّلَتِ الحُمُولُ ١٠
أَمَّا الفِرَاقُ فَإِنَّهُ * لِلْمَوْتِ إِنْ أَهْوَى دَلِيلُ

ولى فى هذا المعنى قصيدة مطوّلة اوّلها

87a
لَا مِثْلُ يَوْمِكَ ضَحْوَةُ التَنْعِيمِ * فِى مَنْظَرٍ حَسَنٍ وَفِى تَنْعِيمِ
قَدْ كَانَ ذَاكَ اليَوْمُ نَدْرَةَ عَاقِرٍ * وَصَوَابَ خَاطِئَةٍ وَ وَلْدَ[1] عَقِيمِ
أَيَّامُ بَرْقِ الوَصْلِ لَيْسَ بِخُلَّبٍ * عِنْدِى وَلَا رَوْضُ الهَوَى بِهَشِيمِ ١٥
مِنْ كُلِّ غَانِيَةٍ يَقُولُ ثُدِيُّهَا * سِيرِى أَمَامَكِ وَالإِزَارُ أَقِيمِى
كُلٌّ يُجَاذِبُهَا فَحُمْرَةُ خَدِّهَا * خَجَلٌ مِنَ التَأْخِيرِ وَالتَقْدِيمِ
مَا بِى سِوَى تِلْكَ العُيُونِ وَلَيْسَ فِى * بُرْءٍ سِوَاهَا فِى الوَرَى بِزَعِيمِ[2]
مِثْلُ الأَفَاعِى لَيْسَ فِى شَىْءٍ سِوَى * أَجْسَادِهَا إِبْرَآءُ لَدْغِ سَلِيمِ

والبين ابكى الشعرآء على المعاهد فادرّوا على الرسوم الدموع وسقوا الديار ٢٠ مآء الشوق وتذكّروا ما قد سلف لهم فيها فاعولوا وانتحبوا واحيت الآثار دفين شوقهم فناحوا وبكوا ولقد اخبرنى بعض الورّاد من قرطبة وقد

---

(١) MS وصوابُ خاطئه وَوُلد.   (٢) MS بَزغيمِ.

استخبرته عنها انّه رأى دورنا ببلاط مغيث فى الجانب الغربىّ منها وقد امّحت رسومها وطمست اعلامها وخفيت معاهدها وغيّرها البلى وصارت صحارى مجدبة بعد العمران وفيافى موحشة بعد الانس وخرائب منقطعة بعد الحسن وشعابًا مفزعة بعد الامن ومأوًى للذياب ومعازف للغيلان
87b وملاعب للجانّ ومكامن للوحوش بعد رجال كالليوث وخرائد كالدُمى ٥
تفيض لديهم النعم الفاشية تبدّد شملهم فصاروا فى البلاد ايادى سبا فكانّ تلك المحاريب المنمّقة والمقاصير المزيّنة التى كانت تشرق اشراق الشمس ويجلو الهموم حسن منظرها حين شملها الخراب وعمّها الهدم كافواه السباع فاغرة تؤذن بفناء الدنيا وتريك عواقب اهلها وتخبرك عمّا يصير اليه كل
من تراه قائمًا فيها وتزهد فى طلبها بعد ان طال ما زهدت فى تركها ١٠
وتذكّرتُ ايّامى بها ولذّاتى فيها وشهور صباى لديها مع كواعب الى مثلهنّ صبا الحليم ومثّلت لنفسى كونهنّ تحت الثرى وفى الآثار النائية والنواحى البعيدة وقد فرّقهنّ يد الجلاء ومزّقتهنّ اكفّ النوى وخُيّل الى بصرى بقاء تلك النصبة بعد ما علمته من حسنها وغضارتها والمراتب المحكمة التى نشأت
فيها لديها وخلا تلك الافنية بعد تضايقها باهلها واوهمت سمعى صوت الصدا ١٥
والهام عليها بعد حركة تلك الجماعات التى ربيت بينهم فيها وكان ليلها تبعًا
88a لنهارها فى انتشار ساكنها والتقاء عمّارها فعاد نهارها تبعًا لليلها فى الهدوّ والاستيحاش فابكى عينى واوجع قلبى وقرع صفاه كبدى وزاد فى بلاء لبّى فقلت شعرًا منه

لَئِنْ كَانَ اَظْمَانَا فَقَدْ طَالَ مَا سَقَى * وَإِنْ سَآءنَا فِيهَا فَقَدْ طَالَ مَا سَرَّا ٢٠

والبين يولد الحنين والاهتياج والتذكّر وفى ذلك اقول

لَيْتَ الغُرَابَ يُعِيدُ اليَوْمَ لِى فَعَسَى * يُبِينُ بَيْنَهُمْ عَنّى فَقَدْ وَقَفَا
أَقُولُ وَاللَيْلُ قَدْ أَرْخَى أَجِلَّتَهُ * وَقَدْ تَآلَى بِأَنْ لَا يَنْقَضِى فَوَفَا
وَالنَّجْمُ قَدْ حَارَ فِى أُفْقِ السَمَآءِ فَمَا * يَمْضِى وَلَا هُوَ لِلتَخْيِيرِ مُنْصَرِفَا
تَخَالُهُ مُخْطِئًا أَوْ خَائِفًا وَجِلًا * أَوْ رَائِبًا مُوعِدًا أَوْ عَاشِقًا دَنِفَا ٢٥

بَابُ القُنُوعِ

ولا بدّ للمحبّ اذا حرم الوصل من القنوع بما يجد وانّ فى ذلك لَمُتَعَلَّلاً(١) للنفس وشغلاً للرجآء وتجديدًا للمنى وبعض الراحة وهو مراتب على قدر الاصابة والتمكّن فاوّلها الزيارة وانّها لأمل من الامال ومن سرىّ ما يسنح فى الدهر مع ما تبدى من الخفر والحيآء لما يعلمه كل واحد منهما ممّا فى نفس ٥ صاحبه وهى على وجهين احدهما ان يزور المحبّ محبوبه وهذا الوجه واسع 88b والوجه الثانى ان يزور المحبوب محبّه ولكن لا سبيل الى غير النظر والحديث الظاهر وفى ذلك اقول

فَإِنْ تَنْأَ عَنِّى بالوِصَالِ فَإِنَّنِى * سَأَرْضَى بِلَحْظِ العَيْنِ إِنْ لَمْ يَكُنْ وَصْلُ
فَحَسْبِىَ أَنْ أَلْقَاكَ فِى اليَوْمِ مَرَّةً * وَمَا كُنْتُ أَرْضَى ضِعْفَ ذَا مِنْكَ لِى قَبْلُ ١٠
كَذَا هِمَّةُ الوَالِى تَكُونُ رَفِيعَةً * وَيَرْضَى خَلَاصَ النَّفْسِ إِنْ وَقَعَ العَزْلُ

وامّا رجع السلام والمخاطبة فامل من الامال وان كنت انا اقول فى قصيدة لى

فَهَا أَنَا ذَا أُخْفِى وَ أَقْنَعُ رَاضِيًا * بِرَجْعِ سَلَامٍ إِنْ تَيَسَّرَ فِى الحِينِ

فانّما هذا لمن ينتقل من مرتبة الى ما هو ادنى منها وانّما يتفاضل المخلوقات فى جميع الاوصاف على قدر اضافتها الى ما هو فوقها او دونها وانّى لاعلم ١٥ من كان يقول لمحبوبه عِدْنى واكذب قنوعًا بان يسلّى نفسه فى وعده وان كان غير صادق فقلت فى ذلك

إِنْ كَانَ وَصْلُكَ لَيْسَ فيه مَطْمَعٌ * وَالقُرْبُ مَمْنُوعٌ فَعِدْنِى وَٱكْذِبِ
فَعَسَى التَّعَلُّلَ بِٱلْتِقَائِكَ مُمْسِكٌ * لِحَيَاةِ قَلْبٍ بِالصُّدُودِ مُعَذَّبِ
فَلَقَدْ يُسَلِّى المُجْدِبِينَ إِذَا رَأَوْا * فِى الأُفْقِ يَلْمَعُ ضَوْءُ بَرْقٍ خُلَّبِ ٢٠

ومـمّا يدخل فى هذا الباب شىء رأيته و رآه غيرى معى انّ رجلاً من اخوانى 89a جرحه من كان يحبّه بمدية فلقد رأيته وهو يُقبّل مكان الجرح ويندبه مرّةً

---

(١) Ainsi MS.

يعد مرّة فقلت فى ذلك

يَقُولُونَ شَجَّك مَنْ هِمتَ فِيهِ * فَقُلْتُ لَعَمْرِىَ مـا شَجَّنِى
وَلٰكِنْ أَحَسَّ دَمِى قُرْبَـهُ * فَطَارَ إِلَيْـه وَ لَمْ يَنْثَنِ
فَيَا قَاتِلِى ظَالِمـًا مُحْسِنـًا * فَدَيْتُكَ مِنْ ظَالِمٍ مُحْسِنِ

ومن القنوع ان يسرّ الانسان ويرضى ببعض آلات محبوبه وانّ له من النفس ٥
لموقعًا حسنًا وان لم يكن فيه الّا ما نصّ الله تعالى علينا من ارتداد يعقوب
بصيرًا حين شمّ قميص يوسف عليهما السلام وفى ذلك اقول

لَمَّا مُنِعْتُ الْقُرْبَ مِنْ سَيِّدِى * وَلَجَّ فِى هَجْرِى وَلَمْ يُنْصِفِ
صِرْتُ بِإِبْصَارِى أَثْوَابَـه * أَوْ بَعْضَ مَا قَدْ مَسَّهُ أَكْتَفِى
كَذَاكَ يَعْقُوبُ نَبِىُّ الْهُدَى * إِذْ شَفَّهُ الْحُزْنُ عَلَى يُوسُفِ ١٠
شَمَّ قَمِيصًا جَـاءَ مِنْ عِنْدِهِ * وَكَانَ مَكْفُوفًا فَمِنْـهُ شُفِى

S9b وما رأيت قطّ متعاشقين الّا وهما يتهاديان خصل الشعر مبخّرة بالعنبر مرشوشة
بماء الورد وقد جُمعتْ فى اصلها بالمصطكى وبالشمع الابيض المصفّى ولُفّت
فى تطاريف الوشى والخزّ وما اشبه ذلك لتكون تذكرةً عند البين وامّا تهادى
المساويك بعد مضغها والمصطكى اثر استعمالها فكثير بين كل متحابّين قد ١٥
حُظر عليهما اللقاء وفى ذلك اقول قطعةً منها

أَرَى رِيقَهَا مَاءَ الْحَيَـاةِ تَيَقُّنـا * عَلَى أَنَّهَا لَمْ تُبْقِ لِى فِى الْهَوَى حَشَا

خبر واخبرنى بعض اخوانى عن سليمان بن احمد الشاعر انّه رأى ابن سهل
الحاجب بجزيرة صقليّة وذكر انه كان غاية فى الجمال فشاهده يومًا فى بعض
المتنزّهات ماشيًا وامرأة خلفه تنظر اليه فلمّا ابعد اتت الى المكان الذى ٢٠
قد أثّر فيه مشيه فجعلت تقبّله وتلثم الارض التى فيها اثر رجله وفى ذلك
اقول قطعةً اوّلها

يَلُومُونَنِى فِى مَوْطِئِ خُفِّهِ جَفًا * وَلَوْ عَلِمُوا عَادَ الَّذِى لَامَ يَحْسُدُ
فَيَا أَهْلَ أَرْضٍ لَا تَجُودُ سَحَابُهَا * خُذُوا بِوَصَاتِى تَسْتَقِلُّوا وَتَحْمَدُوا ٢٤

خُذُوا مِنْ تُرَابٍ فيه مَوْضِعُ وَطْئِهِ * وَأَضْمَنُ أَنَّ المَحْلَ عَنْكُمْ يُبْعَدُ
فَكُلُّ تُرَابٍ وَاقِعٍ فيـه رِجْلُهُ * فَذَاكَ صَعِيدٌ طَيِّبٌ لَيْسَ يَجْحَدُ
كَذَلِكَ فِعْلُ السَّامِرِيِّ وَقَدْ بَدَا * لِعَيْنَيْهِ مِنْ جِبْرِيلَ إِثْرٌ مُمَجَّـدُ 90a
فَصَيَّرَ جَوْفَ الْعِجْلِ مِنْ ذَلِكَ الثَّرَى * فَقَامَ لَهُ مِنْهُ خُوَارٌ مُمَـدَّدُ(١)

٥

واقول

لَقَدْ بُورِكَتْ أَرْضٌ بِهَا أَنْتَ قَاطِنٌ * وَبُورِكَ مَنْ فِيهَا وَحَلَّ بِهَا السَّعْدُ
فَأَحْجَارُهَا دُرٌّ وَ سَعْدَانُهَا وَرْدٌ * وَأَمْوَاهُهَا شَهْـدٌ وَتُرْبَتُهَـا نَـدُّ

ومن القنوع الرضى بمزار الطيف وتسليم الخيال وهذا انّما يحدث عن ذكر لا يفارق وعهد لا يحول وفكر لا ينقضى فاذا نامت العيون وهدأت الحركات سرى الطيف و فى ذلك اقول ١٠

زَارَ الخَيَالُ فَتًى طَالَتْ صَبَابَتُـهُ * عَلَى احْتِفَاظٍ مِنَ الْحُرَّاسِ وَالحَفَظَهْ
فَبِتُّ فى لَيْلَتِي جَذْلَانَ(٢) مُبْتَهِجًا * وَلَذَّةُ الطَّيْفِ تُنْسِى لَذَّةَ اليَقَظَهْ

واقول

أَتَى طَيْفُ نُعْمٍ مَضْجَعِي بَعْدَ هَدْأَةٍ * وَلِلَّيْلِ سُلْطَانٌ وَظِلٌّ مُمَدَّدُ
وَعَهْدِى بِهَا تَحْتَ التُّرَابِ مُقِيمَةً * وَجَاءَتْ كَمَا قَدْ كُنْتُ قَبْلَهُ أَعْهَدُ ١٥
فَعُدْنَا كَمَا كُنَّـا وَعَادَ زَمَانُنَـا * كَمَا قَدْ عَهِدْنَا قَبْلُ وَالعَوْدُ أَحْمَدُ

90b وللشعراء فى علّة مزار الطيف اقاويل بديعة بعيدة المرمى مخترعة كل سبق الى معنًى من المعانى فابو اسحق بن سيّار النظّام رأس المعتزلة جعل علّة مزار الطيف خوف الارواح من الرقيب المرقّب على بهاء الابدان وابو تمّام حبيب ابن اوس الطائىّ جعل علّته انّ نكاح الطيف لا يُفسد الحبّ ونكاح الحقيقة ٢٠ يفسده والبحترىّ جعل علّة اقباله استضاءته بنار وجده وعلّة زواله خوف الغرق فى دموعه وانا اقول من غير ان امثّل شعرى باشعارهم فلهم فضل التقدّم والسابقة وانّما نحن لاقطون وهم الحاصدون ولكن اقتداء بهم وجريًا ٢٢

(١) Cf. Cor. 20, 96. (٢) MS جدلانَ.

فى ميدانهم وتتبّعًا لطريقتهم التى نهجوا واوضحوا ابياتًا بيّنت فيها مزار الطيف مقطّعةً

أَغَارُ عَلَيْكَ مِنْ إِدْرَاكِ طَرْفِى * وَأُشْفِقُ أَنْ يُذِيبَكَ لَمْسُ كَفِّى
فَأَمْتَنِعُ اللِّقَآءَ حِذَارَ هَذَا * وَأَعْتَمِدُ التَّلَاقِىَ حِينَ أُغْفِى
فَرُوحِى إِنْ أَنَمْ بِكَ ذُو ٱنْفِرَادٍ * مِنَ ٱلْأَعْضَآءِ مُسْتَتِرٌ وَمُخْفِى
وَوَصْلُ الرُّوحِ أَلْطَفُ فِيكَ وَقْعًا * مِنَ ٱلْجِسْمِ ٱلْمُوَاصِلِ أَلْفَ ضِعْفِ ٥

91a وحال المزور فى المنام ينقسم اقسامًا اربعةً احدها محبّ مهجور قد تطاول غمّه ثم رأى فى هجعته انّ حبيبه وصلهُ فسرّ بذلك وابتهج ثم استيقظ فأسف وتلهّف حيث علم انّ ما كان فيه امانى النفس وحديثها وفى ذلك اقول

أَنْتَ فِى مَشْرِقِ ٱلنَّهَارِ بَخِيلٌ * وَإِذَا ٱللَّيْلُ جَنَّ كُنْتَ كَرِيمَا
تَجْعَلُ الشَّمْسَ مِنْكَ لِى عِوَضًا هَيْـ * ـهَاتَ مَا ذَا الْفَعَالُ مِنْكَ قَوِيمَا ١٠
زَارَنِى طَيْفُكَ ٱلْبَعِيدُ فَيَأْتِى * وَاصِلاً لِى وَعَآئِدًا وَنَدِيمَا
غَيْرَ أَنِّى مَنَعْتَنِى مِنْ تَمَامِ الْـ * ـعَيْشِ لَكِنْ أَبَحْتَ لِى ٱلتَّشْمِيمَا
فَكَأَنِّى مِنَ أَهْلِ ٱلْأَعْرَافِ لَا ٱلْفِرْ(1) * دَوْسُ دَارِى وَلَا أَخَافُ الْجَحِيمَا

والثانى محبّ مواصل مشفق من تغيّر يقع قد رأى فى وسنه انّ حبيبه يهجره فاهتمّ لذلك همًّا شديدًا ثم هبّ من نومه فعلم انّ ذلك باطل وبعض ١٥ وساوس الاشفاق والثالث محبّ دانى الديار يرى انّ التناءى قد فدحه فيكترث ويوجل ثم ينتبه فيذهب ما به ويعود فرحًا وفى ذلك اقول قطعةً منها

رَأَيْتُكَ فِى نَوْمِى كَأَنَّكَ رَاحِلٌ * وَقُمْنَا إِلَى التَّوْدِيعِ وَالدَّمْعُ هَامِلُ
وَزَالَ الْكَرَى عَنِّى وَأَنْتَ مُعَانِقِى * وَغَمِّى إِذَا عَايَنْتُ ذَلِكَ زَائِلُ ٢٠
فَجَدَّدْتُ تَعْنِيقًا وَضَمًّا كَأَنَّنِى * عَلَيْكَ مِنَ ٱلْبَيْنِ ٱلْمُفَرِّقِ قَابِلُ 91b

والرابع محبّ ناءى المزار يرى انّ المزار قد دنا والمنازل قد تصاقبت فيرتاح ويأنس الى فقد الاسى ثم يقوم من سنته فيرى انّ ذلك غير صحيح ٢٢

(1) La mesure de ce demi-vers n'est pas correcte; il a au second pied ⏑ – – – au lieu de ⏑ – ⏑ –.

فيعود الى اشدّ ما كان فيه من الغمّ وقد جعلت فى بعض قولى علّة النوم
الطمع فى طيف الخيال فقلت

طَافَ الخَيَالُ عَلَى مُسْتَهْتَرٍ كَلِفٍ * لَوْلَا ٱرْتِقَابُ مَزَارِ الطَيْفِ لَمْ يَنَمِ
لَا تَعْجَبُوا إِذْ سَرَى وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ * فَنُورُهُ مُرْهِبٌ فِى ٱلْأَرْضِ لِلظُّلَمِ

٥ ومن القنوع ان يقنع المحبّ بالنظر الى الجدران و رؤية الحيطان التى يحتوى
على من يحبّ وقد رأينا من هذه صفته ولقد حدّثنى ابو الوليد احمد بن
محمّد بن اسحق الخازن رحمه الله عن رجل جليل انه حدّث عن نفسه بمثل
هذا ومن القنوع ان يرتاح المحبّ الى ان يرى من رأى محبوبه ويأنس به
و من اتى من بلاده وهذا كثير وفى ذلك اقول

١٠ تَوَحَّشَ مِنْ سُكَّانِهِ فَكَأَنَّهُمْ * مَسَاكِنُ عَادٍ أَعْقَبَتْهُ ثَمُودُ

وممّا يدخل فى هذا الباب ابيات لى موجبها انّى تنزّهت انا وجماعة من
92a اخوانى من اهل الادب والشرف الى بستان لرجل من اصحابنا فجلنا ساعة
ثم افضى بنا القعود الى مكان دونه يُتَمَنَّى فتمدّدنا فى رياض اريضة وارض
عريضة للبصر فيها منفسح وللنفس لديها مسرح بين جداول تطرد كاباريق
١٥ اللجين واطيار تغرّد بالحان تزرى بما أبدعهُ مَعْبد وابن الغريض وثمارٍ مهدّلةٍ
قد ذُلّلت للايدى وذُلّلت للمتناول وظلالٍ مظلّةٍ تلاحظنا الشمس من بينها
فتتصوّر بين ايدينا كرقاع الشطرنج والثياب المدبّجة وماء عذب يوجدك
حقيقة طعم الحياة وانهار متدفّقة تنساب كبطون الحيّات لها خرير يقوم
ويهْدَى ونواوير مؤنقة مختلفة الالوان تصفقها الرياح الطيّبة النسيم وهواء
٢٠ سَجْسَجٌ واخلاق جلّاس تفوق كل هذا فى يوم ربيعىّ ذى شمس ذليلة تارة
يغطيها الغيم الرقيق والمزن اللطيف وتارة تجلى فهى كالعذراء الخفرة والخريدة
الخجلة تتراءى لعاشقها من بين الاستار ثم تغيب فيها حذر عين مراقبة وكان
بعضنا مطرقًا كانّه يحادث اخرى وذلك لسرّ كان له فعُرّض لى بذلك
وتداعبنا حينًا فكُلّفت ان اقول على لسانه شيئًا فى ذلك فقلت بديهةً وما
٢٥ 92b كتبوها الّا من تذكّرنا بعد انصرافنا وهى

وَلَمَّا تَرَوَّحْنَا بِأَكْنَافِ رَوْضَةٍ * مُهَدَّلَةِ ٱلْأَفْنَانِ فِى تُرْبِهَا ٱلنَّدِى
وَقَدْ ضَحِكَتْ أَنْوَارُهَا وَتَضَوَّعَتْ * أَسَاوِرُهَا فِى ظِلِّ فَىْءٍ مُمَدَّدِ
وَأَبْدَتْ لَنَا ٱلْأَطْيَارُ حُسْنَ صَرِيفِهَا * فَمِنْ بَيْنِ شَاكٍ شَجْوَهُ وَمُغَرِّدِ
وَلِلْمَآءِ فِيمَا بَيْنَنَا مُتَصَرَّفٌ * وَلِلْعَيْنِ مُرْتَادٌ هُنَاكَ وَلِلْيَدِ
وَمَا شِئْتَ مِنْ أَخْلَاقِ أَرْوَعَ مَاجِدٍ * كَرِيمِ ٱلسَّجَايَا لِلْفَخَارِ مُشَيِّدِ ٥
تَنَغَّصَ عِنْدِى كُلُّ مَا قَدْ وَصَفْتُهُ * وَلَمْ يَهْنِنِى إِذْ غَابَ عَنِّىَ سَيِّدِى
فَيَا لَيْتَنِى فِى ٱلسِّجْنِ وَهْوَ مُعَانِقِى * وَأَنْتُمْ مَعًا فِى قَصْرِ دَارِ ٱلْمُجَدَّدِ
فَمَنْ رَامَ مِنَّا أَنْ يُبَدِّلَ حَالَهُ * بِحَالِ أَخِيهِ أَوْ بِمُلْكٍ مُخَلَّدِ
فَلَا عَاشَ إِلَّا فِى شَقَآءٍ وَنَكْبَةٍ * وَلَا زَالَ فِى بُؤْسَى وَخِزْىٍ مُرَدَّدِ

فقال هو ومن حضر امين امين وهذه الوجوه التى عددت واوردت فى ١٠
حقائق القناعة الموجودة فى اهل المودّة بلا تزيّد ولا اعيآء وللشعرآء فنّ
من القنوع ارادوا فيه اظهار غرضهم وابانة اقتدارهم على المعانى الغامضة
والمرامى البعيدة وكل قال على قدر قوّة طبعه الّا انّه تحكّم باللسان وتشدّق فى 93a
الكلام واستطالة بالبيان وهو غير صحيح فى الاصل فمنهم من قنع بانّ السمآء
تظلّه هو ومحبوبه والارض تقلّهما ومنهم من قنع باستوائهما فى احاطة الليل ١٥
والنهار بهما و من اشباه هذا وكلّ مبادر الى احتوآء الغاية فى الاستقصآء
واحواز قصب السبق فى التدقيق ولى فى هذا المعنى قول لا يمكن المتعقّب الى
ان يجد بعده متناولاً و لا ورآءه مكانًا مع تبيينى علّة قرب المسافة البعيدة وهو

وَقَالُوا بَعِيدٌ قُلْتُ حَسْبِى بِأَنَّهُ * مَعِى فِى زَمَانٍ لَا يُطِيقُ مَحِيدَا
تَمُرُّ عَلَيَّ ٱلشَّمْسُ مِثْلَ مُرُورِهَا * بِهِ كُلَّ يَوْمٍ يَسْتَنِيرُ جَدِيدَا ٢٠
فَمَنْ لَيْسَ بَيْنِى فِى ٱلْمَسِيرِ وَبَيْنَهُ * سِوَى قَطْعِ يَوْمٍ هَلْ يَكُونُ بَعِيدَا
وَعِلْمُ إِلٰهِ ٱلْخَلْقِ يَجْمَعُنَا مَعًا * كَفَى ذَا ٱلتَّدَانِى مَا أُرِيدُ مَزِيدَا

فبيّنت كما ترى انّى قانع بالاجتماع مع من احبّ فى علم الله الذى السموات
والافلاك والعوالم كلّها وجميع الموجودات لا تنتسب منه ولا تتجزّأ فيه ولا
يشذّ عنه شىء ثمّ اقتصرت من علم الله تعالى على انّه فى زمان وهذا اعمّ ٢٥

مما قاله غيرى فى احاطة الليل والنهار وان كان الظاهر واحدًا فى البادى
93b الى السامع لانّ كل المخلوقات واقعة تحت الزمان وانّما الزمان اسم موضع
لمرور الساعات وقطع الفلك وحركاته واجرامه والليل والنهار متولّدان عن
طلوع الشمس وغروبها وهما متناهيان فى بعض العالم الاعلى وليس هكذا
الزمان فانّهما بعض الزمان وان كان لبعض الفلاسفة قول انّ الظلّ متمادٍ ٥
فهذا يخطيه العيان وعلل الردّ عليه بيّنة ليس هذا موضعها ثم بيّنت انّه وان
كان فى اقصى المعمور من المشرق وانا فى اقصى المعمور من المغرب وهذا
طول السكنى فليس بينى وبينه الّا مسافة يوم اذ الشمس تبدو فى اوّل النهار
فى اوّل المشارق وتغرب فى آخر النهار فى آخر المغارب ومن القنوع فصل
اورده واستعيذ بالله منه ومن اهله واحمد على ما عرّف نفوسنا من منافرته ١٠
وهو ان يضلّ العقل جملةً وتفسد القريحة ويتلف التمييز ويهون الصعب
وتذهب الغيرة وتُعدَم الانفة فيرضى الانسان بالمشاركة فى من يحبّ وقد
عرض هذا لقوم اعاذنا الله من البلآء وهذا لا يصحّ الّا مع كلبيّة فى الطبع
وسقوط من العقل الذى هو عيار على ما تحته وضعف حسٍّ ويؤيّد هذا كلّه
94a حبّ شديد معمّ فاذا اجتمعت هذه الاشياء وتلاقحت بمزاج الطبائع ودخول ١٥
بعضها فى بعض نتج بينهما هذا الطبع الخسيس وتولّدت هذه الصفة الرذالة
وقام منها هذا الفعل المقذور والقبيح واما رجل معه اقلّ همّة وايسر مروءة
فهذا منه ابعد من الثريّا ولو مات وجدًا وتقطّع حبًّا وفى ذلك اقول زاريًا
على بعض المسامحين فى هذا الفصل

رَأَيْتُكَ رَحْبَ الصَّدْرِ تَرْضَى بِمَا أَتَى * وَأَفْضَلُ شَىْءٍ أَنْ تَلِينَ وَتَسْمَحَا ٢٠
فَحَظُّكَ مِنْ بَعْضِ السَّوَانِى مُفَضَّلٌ * عَلَى أَنْ يَحُوزَ(١) المِلْكُ مِنْ أَصْلِهَا الرَّحَا
وَعُضْوَ بَعِيرٍ فيه فِى الوَزْنِ ضِعْفُ مَا * تُقَدِّرُهُ فِى الجَدْىِ فَاعْصِ ٱلَّذِى لَحَا
وَلَعْبُ ٱلَّذِى تَهْوَى بِسَيْفَيْنِ مُعْجِبٌ * فَكُنْ نَاحِيًا فِى نَحْوِهِ كَيْفَ مَا نَحَا ٢٢

(١) MS بحور.

بَابُ الضَنَى

ولا بدّ لكل محبّ صادق المودّة ممنوع الوصل امّا ببين وامّا بهجر وامّا بكتمان واقع لمعنًى من ان يؤول الى حدّ السقام والضنى والنحول وربّما اضجعه ذلك وهذا الامر كثير جدًّا موجود ابدًا والاعراض الواقعة من المحبّة غير العلل الواقعة من هجمات العلل ويميزها الطبيب الحاذق والمتفرّس الناقد ٥ 94b وفى ذلك اقول

يَقُولُ لِىَ الطَّبِيبُ بِغَيْرِ عِلْمٍ * تَدَاوَ فَأَنْتَ يَا هَذَا عَلِيلُ
وَدَائِى لَيْسَ يَدْرِيه سِوَائِى * وَرَبٌّ قَادِرٌ مَلِكٌ جَلِيلُ
أَأَكْتُمُهُ وَيَكْشِفُهُ شَهِيقٌ * يُلَازِمُنِى وَإِطْرَاقٌ طَوِيلُ
وَوَجْهٌ شَاهِدَاتُ الحُزْنِ فيه * وَجِسْمٌ كَالخَيَالِ ضَنٍ[1] نَحِيلُ ١٠
وَأَثْبتُ مَا يَكُونُ الأَمْرُ يَوْمًا * بِلَا شَكٍّ إِذَا صَحَّ الدَّلِيلُ
فَقُلْتُ لَهُ أَبِنْ عَنِّى قَلِيلاً * فَلَا وَاللَّهِ تَعْرِفُ مَا تَقُولُ
فَقَالَ أَرَى نُحُولاً زَادَ جِدًّا * وَعِلَّتُكَ الَّتِى تَشْكُو ذُبُولُ
فَقُلْتُ لَهُ الذُّبُولُ تَعِلُّ مِنْهُ الجَــوَارِحُ وَهْىَ حُمَّى تَسْتَحِيلُ
وَمَا أَشْكُوا لَعَمْرُ اللَّهِ حُمَّى * وَإِنَّ الحَرَّ فِى جِسْمِى قَلِيلُ ١٥
فَقَالَ أَرَى الْتِفَاتًا وَارْتِقَابًا * وَأَفْكَارًا وَصَمْتًا لَا يَزُولُ
وَأَحْسَبُ أَنَّهَا السَّوْدَاءُ فَانْظُرْ * لِنَفْسِكَ إِنَّهَا عَرَضٌ ثَقِيلُ
فَقُلْتُ لَهُ كَلَامُكَ ذَا مُحَالٌ * فَمَا لِلدَّمْعِ مِنْ عَيْنِى يَسِيلُ
فَأَطْرَقَ بَاهِتًـا مِمَّـا رَآهُ * أَلَا فِى مِثْلِ ذَا بُهِتَ النَّبِيلُ
فَقُلْتُ لَهُ دَوَائِى مِنْهُ دَائِى * أَلَا فِى مِثْلِ ذَا ضَلَّتْ عُقُولُ ٢٠
وَشَاهِدُ مَا أَقُولُ يُرَى عِيَانًا * فُرُوعُ النَّبْتِ إِنْ عُكِسَتْ أُصُولُ 95a
وَتِرْيَاقُ الأَفَاعِى لَيْسَ شَىْءٌ * سِوَاهُ بِبُرْءِ مَا لَدَغَتْ كَفِيلُ

(1) MS ضر.

وحدّثنى ابو بكر بن محمّد بن بقىّ الحجرىّ وكان حكيم الطبع عاقلاً فهيمًا
عن رجلٍ من شيوخنا لا يمكن ذكره انّه كان ببغداذ فى خانٍ من خاناتها
فرأى ابنةً لوكيلة الخان فاحبّها وتزوّجها فلمّا خلا بها نظرت اليه وكانت
بكرًا وهو قد تكشّف لبعض حاجته فراعها كبر أيره ففرّت الى امّها
وتفادت منه فرام بها كل من حواليها ان تردّ اليه فأبت وكادت ان تموت ٥
ففارقها ثم ندم ورام ان يراجعها فلم يمكنه واستعان بالابهرىّ وغيره فلم يقدر
احد منهم على حيلة فى امره فاختلط عقله واقام فى المارستان يعانى مدّة
طويلة حتى نقه وسلا وما كاد ولقد كان اذا ذكرها يتنفّس الصعداء وقد
تقدّم فى اشعارى المذكورة فى هذه الرسالة من صفة النحول مفرّقًا ما استغنيت
به عن ان اذكرها هنا من سواها شيئًا خوف الاطالة والله المعين والمستعان ١٠
95b وربّما ترقّت الى ان يُغلب المرء على عقله ويحال بينه وبين ذهنه فيوسوس
خبر وانّى لاعرف جاريةً من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات
القوّاد وقد بلغ بها حبّ فتًى من اخوانى جدًّا من ابناء الكتّاب مبلغ هيجان
المرار الاسود وكادت تختلط واشتهر الامر و شاع جدًّا حتى علمناه وعلمه
الاباعد الى ان تدوركت بالعلاج وهذا انّما يتولّد عن ادمان الفكر فاذا ١٥
غلبت الفكرة وتمكّن الخلط السوداوىّ خرج الامر عن حدّ الحبّ الى حدّ
الوله والجنون واذا أغفل التداوى فى الاوّل الى المعاناة قوى جدًّا ولم يوجد
له دواء سوى الوصال و من بعض ما كتبت اليه قطعة منها

قَدْ سَلَبْتَ الفُؤَادَ مِنِّى ٱخْتِلَاسًا * أَىُّ خَلْقٍ يَعِيشُ دُونَ فُؤَادِ
فَأَغِثْهَا بِالوَصْلِ تَحْىَ شَرِيفًا * وَتَفُزْ بِالثَّوَابِ يَوْمَ المَعَادِ ٢٠
وَأَرَاهَا تَعْتَاضُ إِنْ دَامَ هَذَا * مِن خَلَاخِيلِهَا حُلَى ٱلْأَقْيَادِ
أَنْتَ حَقًّا مُتَيِّمُ الشَّمْسِ حَتَّى * عِشْقُهَا بَيْنَ ذَا الوَرَى لَكَ بَادِى

96a خبر وحدّثنى جعفر مولى احمد بن محمّد بن جدير[1] المعروف بالبلبينىّ انّ ٢٢

[1] ou حدير ? Cf. plus haut, p. 50, note 5.

سبب اختلاط مروان بن يحيى بن احمد بن جدير و ذهاب عقله اعتلاقه
بجارية لاخيه فمنعها منه واباعها لغيره وما كان فى اخوته مثله ولا اتمّ ادبًا
منه واخبرنى ابو العافية مولى محمّد بن عبّاس بن ابى عبدة انّ سبب
جنون يحيى بن محمّد بن احمد بن عبّاس بن ابى عبدة بيع جارية له كان
يجد بها وجدًا شديدًا كانت امّه اباعتها وذهبت الى انكاحه من بعض ٥
العامريّات فهذان رجلان جليلان مشهوران فقدا عقولهما واختلطا وصارا فى
القيود والاغلال فامّا مروان فاصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة
وانتهائهم اليها فتوفّى رحمه الله وامّا يحيى بن محمّد فهو حىّ على حالته المذكورة
فى حين كتابتى لرسالتى هذه وقد رأيته انا مرارًا وجالسته فى القصر قبل
ان يمتحن بهذه المحنة وكان استاذي واستاذه الفقيه ابو الخيّار اللغوىّ وكان ١٠
يحيى لعمرى خلوًا من الفتيان نبيلاً وامّا من دون هذه الطبقة فقد رأينا
منهم كثيرًا ولكن لم نسمّهم لخفائهم وهذه درجة اذا بلغ المشغوف اليها فقد
انبتّ الرجآء وانصرم الطمع فلا دوآء له بالوصل ولا بغيره اذ قد استحكم
96b الفساد فى الدماغ وتلفت المعرفة وتغلّبت الآفة اعاذنا الله من البلآء بطوله
وكفانا النقم بمنّه ١٥

بَابُ السُّلُوِّ

وقد علمنا انّ كل ما له اوّل فلا بدّ له من آخر حاشى نعيم الله عزّ
وجلّ بالجنّة لاوليآئه وعذابه بالنار لاعدآئه وامّا اعراض الدنيا فنافدة
فانية و زائلة مضمحلّة وعاقبة كل حبّ الى احد امرين امّا اخترام منيّة وامّا
سلوّ حادث وقد نجد النفس تغلب عليها بعض القوى المصرّفة معها فى ٢٠
الجسد فكما نجد نفسًا ترفض الراحات والملاذّ للعقل فى طاعة الله تعالى
وللرياء فى الدنيا حتى تشتهر بالزهد فكذلك نجد نفسًا تنصرف عن الرغبة
فى لقآء شكلها للانفة المستحكمة المنافرة للغدر او استمرار سوء المكافاة فى
الضمير وهذا اصحّ السلوّ وما كان من غير هذين الشيئين فليس الّا مذمومًا ٢٤

والسلوّ المتولّد عن الهجر وطوله انّما هو كالياس يدخل على النفس من
بلوغها الى املها فيفتر نزاعها ولا يقوى رغبتها ولى فى ذمّ السلوّ قصيدة منها

إِذَا مَا رَنَتْ فَالحَىُّ مَيْتٌ بِلَحْظِهَا * وَإِنْ نَطَقَتْ قُلْتُ السَّلَامُ رِطَابُ
كَأَنَّ الهَوَى ضَيْفٌ أَلَمَّ بِمُهْجَتِى * فَلَحْمِى طَعَامٌ وَالنَّجِيعُ شَرَابُ

٥ ومنها 97a

صَبُورٌ عَلَى ٱلْأَزْمِ ٱلَّذِى ٱلعِزُّ خَلْفَهُ * وَلَوْ أَمْطَرَتْهُ بِالحَرِيقِ سَحَابُ
جَزُوعًا مِنَ الرَّاحَاتِ إِنْ أَنْتَجَتْ لَهُ * خُمُولاً وَفِى بَعْضِ النَّعِيمِ عَذَابُ

والسلوّ فى التجربة الجمليّة ينقسم قسمين سلوّ طبيعىّ وهو المسمّى بالنسيان
يخلو به القلب و يفرغ به البال ويكون الانسان كانّه لم يحبّ قطّ وهذا
القسم ربّما لحق صاحبه الذمّ لانّه حادث عن اخلاق مذمومة وعن اسباب ١٠
غير موجبة استحقاق النسيان وسيأتى مبيّنةً ان شآء الله تعالى وربّما لم تلحقه
اللائمة لعذر صحيح والثانى سلوّ تطبّعىّ قهر النفس وهو المسمّى بالتصبّر فترى
المرء يظهر التجلّد و فى قلبه اشدّ لدغًا من وخز الاشفى و لكنّه يرى بعض
الشرّ اهون من بعض او يحاسب نفسه بحجّة لا تُصرَف ولا تُكسَر وهذا قسم
لا يُذَمّ آتيه و لا يُلام فاعله لانّه لا يحدث الّا عن عظيمة ولا يقع الّا عن ١٥
فادحة إمّا لسبب لا يصبر على مثله الاحرار وإمّا لخطب لا مردّ له تجرى
به الاقدار وكفاك من الموصوف به انه ليس بناسٍ لكنّه ذاكر و ذو حنين
واقف على العهد ومتجرّع مرارات الصبر والفرق العامّىّ بين المتصبّر والناسى
97b انّك ترى المتصبّر وان ابدى غاية الجلد واظهر سبّ محبوبه والتحمّل عليه
لا يحتمل ذلك من غيره و فى ذلك اقول قطعةً منها ٢٠

دَعُونِى وَسَبِّى لِلْحَبِيبِ فَإِنَّنِى * وَإِنْ كُنْتُ أُبْدِى الهَجْرَ لَسْتُ مُعَادِيَا
وَلٰكِنَّ سَبِّى لِلْحَبِيبِ كَقَوْلِهِمْ(1) * أَجَادَ فَلَقَّاهُ ٱلإِلٰـهُ الـدَّوَاهِيَـا

والناسى ضدّ هذا وكلّ هذا فعلى قدر طبيعة الانسان واجابتها وامتناعها وقوّة
تمكّن الحبّ من القلب اوضعفه و فى ذلك اقول وسمّيت السالى فيه المتصبّر ٢٤

(1) MS peu clair.

قطعةً منها

نَاسِي ٱلْأَحِبَّةِ غَيْرُ مَنْ يَسْلُوهُمُ * حُكْمُ ٱلْمُقَصِّرِ غَيْرُ حُكْمِ ٱلْمُقْصِرِ
مَا قَاصِرٌ لِلنَّفْسِ غَيْرَ مُجِيبِهَا * مَا ٱلصَّابِرُ ٱلْمَطْبُوعُ كَٱلْمُتَصَبِّرِ

والاسباب الموجبة للسلوّ المنقسم هذين القسمين كثيرة وعلى حسبها وبمقدار
الواقع منها يُعذَر السالى ويُذَمّ فمنها الملل وقد قدّمنا الكلام عليه وانّ من ٥
كان سلوّه عن ملل فليس حبّه حقيقة والمتوسّم به صاحب دعوى زائفة وانّما
هو طالب لذّة ومبادر شهوة والسالى من هذا الوجه ناسٍ مذموم ومنها
98a الاستبدال وهو وان كان يشبه الملل ففيه معنًى زائد وهو بذلك المعنى اقبح
من الاوّل وصاحبه احقّ بالذمّ ومنها حياء مركّب يكون في المحبّ يحول بينه
وبين التعريض بما يجد فيتطاول الامر وتتراخى المدّة ويبلى جديد المودّة ١٠
ويحدث السلوّ وهذا وجه ان كان السالى عنه ناسيًا فليس بمنصف اذ منه
جاء سبب الحرمان وان كان متصبّرًا فليس بملوم اذ آثر الحياء على لذّة
نفسه وقد ورد عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه قال الحياء من
الايمان والبذاء من النفاق وحدّثنا احمد بن محمّد عن احمد بن مطرّف عن
عبد الله بن يحيى عن ابيه عن ملك عن سلمة بن صفوان الزرقيّ عن زيد ١٥
ابن طلحة بن ركانة يرفعه الى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه قال لكلّ
دين خُلق وخُلق الاسلام الحياء فهذه الاسباب الثلاثة اصلها من المحبّ
وابتداؤها من قبله والذمّ لاصق به فى نسيانه لمن يحبّ عنها ثم اسباب اربعة
هنّ من قبل المحبوب واصلها عنده فمنها الهجر وقد مرّ تفسير وجوهه ولا بدّ لنا
ان نورد منه شيئًا فى هذا الباب يوافقه والهجر اذا تطاول وكثر العتاب ٢٠
98b واتّصلت المفارقة يكون بابًا الى السلوّ وليس من وصلك ثم قطعك لغيرك
من باب الهجر فى شىء لانّه الغدر الصحيح ولا من مال الى غيرك دون
ان يتقدّم لك معه صلة من الهجر ايضًا فى شىء انّما ذلك هو النفار وسيقع
الكلام فى هذين الفصلين بعد هذا ان شاء الله تعالى لكن الهجر ممّن
وِصلك ثم قطعك لتثقيل واشٍ او لذنب واقعٍ او لشىء قام فى النفس ولم ٢٥

يمل الى سواك و لا اقام احدًا غيرك مقامك والناسى فى هذا الفصل من المحبّين ملوم دون سائر الاسباب الواقعة من المحبوب لانّه لا يقع حالة تقيم العذر فى نسيانه وانّما هو راغب عن وصلك وهو شيء لا يلزمه وقد تقدّم من اذمّة الوصال وحقّ ايّامه ما يُلزم التذكّر ويوجب عهد الالفة ولكنّ السالى على جهة التصبّر والتجلّد هاهنا معذور اذا رأى الهجر متماديًا ولم يرَ للوصال علامةً ولا للمراجعة دلالةً وقد استجاز كثير من الناس ان يسمّوا هذا المعنى غدرًا اذ ظاهرها واحد ولكنّ علّتيهما مختلفتان فلذلك فرقنا بينهما فى الحقيقة واقول فى ذلك شعرًا منه ٥

فَكُونُوا كَمَنْ لَمْ أَدْرِ قَطُّ فَإِنَّنِي * كَآخَرَ لَمْ تَدْرُوا وَلَمْ تَصِلُوهُ
أَنَا كَالصَّدَا مَا قَالَ كُلٌّ أُجِيبُهُ * فَمَا شِئْتُمُوهُ ٱلْيَوْمَ فَٱعْتَمِدُوهُ ١٠ 99a

واقول ايضًا قطعة ثلاثة ابيات قلتها وانا نائم واستيقظت فاضفتُ[1] اليها البيت الرابع

أَلَا لِلّٰهِ دَهْرٌ كُنْتَ فِيهِ * أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ رُوحِى وَأَهْلِى
فَمَا بَرِحَتْ يَدُ ٱلْهِجْرَانِ حَتَّى * طَوَاكَ بَنَانُهَا طَيَّ ٱلسِّجِلِّ
سَقَانِى ٱلصَّبْرَ هَجْرُكُمْ كَمَا قَدْ * سَقَانِى ٱلْحُبَّ وَصْلُكُمْ بِسَجْلِ ١٥
وَجَدْتُ ٱلْوَصْلَ أَصْلَ ٱلْوَجْدِ حَقًّا * وَطُولَ ٱلْهَجْرِ أَصْلًا لِلتَّسَلِّى

واقول ايضًا منها

لَوْ قِيلَ لِى مِنْ قَبْلِ ذَا * أَنْ سَوْفَ تَسْلُو مَنْ تَوَدّْ
فَحَلَفْتُ أَلْفَ قَسَامَةٍ * لَا كَانَ ذَا أَبَدَ ٱلْأَبَدْ
وَإِذَا طَوِيلُ ٱلْهَجْرِ مَا * مَعَهُ مِنَ ٱلسُّلْوَانِ بُدّْ ٢٠
لِلّٰهِ هَجْرُكَ إِنَّهُ * سَاعٍ لِبُرْءِيَ مُجْتَهِدْ
فَٱلْآنَ أَعْجَبُ لِلسُّلُوِّ وَكُنْتُ أَعْجَبُ لِلْجَلَدْ
وَأَرَى هَوَاكَ كَجَمْرَةٍ * تَحْتَ ٱلرَّمَادِ لَهَا مَدَدْ ٢٢

---

(1) MS فاصفت.

واقول

كَانَتْ جَهَنَّمُ فِي الحَشَى مِنْ حُبِّكُمْ * فَلَقَدْ أَرَاهَا نَارَ إِبْرَاهِيمَا

99b ثم الاسباب الثلاثة الباقية التى هى من قبل المحبوب فالمتصبّر من الناس
فيها غير مذموم لما سنورده ان شآء الله فى كل فصل منها فمنها نفار يكون
فى المحبوب وانزوآء قاطع للاطماع خبر وانّى لاخبرك عنّى انّى الفت فى ٥
ايّام صباى الفة المحبّة جاريةً نشأت فى دارنا وكانت فى ذلك الوقت بنت
ستّة عشر عامًا وكانت غاية فى حسن وجهها وعقلها وعفافها وطهارتها
وخفرها ودماثتها عديمة الهزل منيعة البذل بديعة البشر مسبلة الستر فقيدة
الذآمّ قليلة الكلام مغضوضة البصر شديدة الحذر نقيّة من العيوب دائمة
القطوب حلوة الاعراض مطبوعة الانقباض مليحة الصدود رزينة القعود ١٠
كثيرة الوقار مستلذّة النفار لا توجّه الاراجى نحوها ولا تقف المطامع عليها
ولا معرّس للأمل لديها فوجهها جالب كلّ القلوب وحالها طارد من أَمَّها
تَزْدَانُ فى المنع والبخل ما لا يَزْدَانُ غيرها بالسماحة والبذل موقوفة على الجدّ
فى امرها غير راغبة فى اللهو على انّها كانتْ تحسن العود احسانًا جيّدًا
100a فجنحتُ اليها واحببتها حبًّا مفرطًا شديدًا فسعيت عامين او نحوهما ان تجيبنى ١٥
بكلمة واسمع من فيها لفظة غير ما يقع فى الحديث الظاهر الى كل سامع بابلغ
السعى فما وصلت من ذلك الى شيء البتّة فلعهدى بمصطنع كان فى دارنا
لبعض ما يصطنع له فى دور الرؤساء تجمّعت فيه دخلتنا ودخلة اخى
رحمه الله من النسآء ونسآء فتياننا و من لاث بنا من خدمنا ممّن يخفّ
موضعه ويلطف محلّه فلبثن صدرًا من النهار ثم تنقّلن الى قصبة كانت فى ٢٠
دارنا مشرفةٍ على بستان الدار ويطلع منها على جميع قرطبة وفحوصها مفتّحة
الابواب فصرن ينظرن من خلال الشراجيب وانا بينهنّ فانّى لاذكر انّى
كنت اقصد نحو الباب الذى هى فيه انسًا بقربها متعرّضًا للدنوّ منها فما هو
الّا ان ترانى فى جوارها فتترك ذلك الباب وتقصد غيره فى لطف الحركة
فاتعمّد انا القصد الى الباب الذى صارت اليه فتعود الى مثل ذلك ٢٥

الفعل من الزوال الى غيره وكانت قد علمت كلفى بها ولم يشعر سائر
100b النسوان بما نحن فيه لانّهنّ كنّ عددًا كثيرًا واذ كلّهنّ يتنقّلن من باب الى
باب لسبب الاطلاع من بعض الابواب على جهات لا يُطّلع من غيرها
عليها واعلم انّ قيافة النسآء فى من يميل اليهنّ انفذ من قيافة مدلج فى
الآثار ثم نزلن الى البستان فرغب عجائزنا وكرائمنا الى سيّدتها فى سماع ٥
غنائها فامرتها فاخذت العود وسوّته بخفر وخجل لا عهد لى بمثله وانّ الشئ
يتضاعف حسنه فى عين مستحسنه ثم اندفعت تغنّى بابيات العبّاس بن
الاحنف حيث يقول

إنّى طَرِبْتُ إِلَى شَمْسٍ إِذَا غَرَبَتْ * كَانَتْ مَغَارِبُهَا جَوْفَ الْمَقَاصِيرِ
شَمْسٌ مُمَثَّلَةٌ فِى خَلْقِ جَارِيَةٍ * كَأَنَّ أَعْطَافَهَا طَىُّ الطَّوَامِيرِ ١٠
لَيْسَتْ مِنَ الْإِنْسِ إِلَّا فِى مُنَاسَبَةٍ * وَلَا مِنَ الْجِنِّ إِلَّا فِى التَّصَاوِيرِ
فَالْوَجْهُ جَوْهَرَةٌ وَالْجِسْمُ عَبْهَرَةٌ * وَالرِّيحُ عَنْبَرَةٌ وَالْكُلُّ مِنْ نُورِ
كَأَنَّهَا حِينَ تَخْطُو فِى مَجَاسِدِهَا * تَخْطُو عَلَى الْبَيْضِ أَوْ حَدِّ الْقَوَارِيرِ (١)

فلعمرى لكانّ المضراب انّما يقع على قلبى وما نسيت ذلك اليوم ولا انساه
الى يوم مفارقتى الدنيا وهذا اكثر ما وصلت اليه من التمكّن من رؤيتها ١٥
وسماع كلامها وفى ذلك اقول

101a لَا تَلُمْهَا عَلَى النِّفَارِ وَمَنْعِ الْـ * ـوَصْلِ مَا ذَا كُمْ لَهَا بِنَكِيرِ
هَلْ يَكُونُ الْهِلَالُ غَيْرَ بَعِيدٍ * أَوْ يَكُونُ الْغَزَالُ غَيْرَ نَفُورِ

واقول

مَنَعْتِ جَمَالَ وَجْهِكِ مُقْلَتَيَّا * وَلَفْظُكِ قَدْ ضَنَنْتِ بِهِ عَلَيَّا ٢٠
أَرَاكِ نَذَرْتِ لِلرَّحْمٰنِ صَوْمًا * فَلَسْتِ تُكَلِّمِينَ الْيَوْمَ حَيَّا
وَقَدْ غَنَّيْتِ لِلْعَبَّاسِ شِعْرًا * هَنِيئًا ذَا لِعَبَّاسٍ هَنِيئًا
فَلَوْ يَلْقَاكِ عَبَّاسٌ لَأَضْحَى * لِنَوْزٍ قَالِيًا وَبِكُمْ شَجِيَّا ٢٢

(١) Cf. l'édition de Constantinople, 1298, pp. 66, 34—67, 1—5. Indiqué par M. I. Kratschkovsky.

ثم انتقل الوزير ابى رحمه الله من دورنا المحدّث بالجانب الشرقىّ من قرطبة
فى ربض الزاهرة الى دورنا القديمة فى الجانب الغربىّ من قرطبة ببلاط
مغيث فى اليوم الثالث من قيام امير المؤمنين محمّد المهدىّ بالخلافة وانتقلت
انا بانتقاله وذلك فى جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلثمائة ولم تنتقل هى
بانتقالنا لامور اوجبت ذلك ثم شُغلنا بعد قيام امير المؤمنين هشام المؤيّد ٥
بالنكبات وباعتداء ارباب دولته وامتحنّا بالاعتقال والترقيب والاغرام الفادح
101b والاستتار وارزمت الفتنة والقت باعها وعمّت الناس وخصّتنا الى ان توفّى
ابى الوزير رحمه الله ونحن فى هذه الاحوال بعد العصر يوم السبت لليلتين
بقيتا من ذى القعدة عام اثنتين و اربعمائة واتّصلت بنا تلك الحال بعده الى
ان كانت عندنا جنازة لبعض اهلنا فرأيتها وقد ارتفعت الواعية قائمةً فى ١٠
المأتم وسط النساء فى جملة البواكى والنوادب فلقد اثارت وجدًا دفينًا
وحرّكت ساكنًا وذكّرتنى عهدًا قديمًا وحبًّا تليدًا ودهرًا ماضيًا وزمنًا عافيًا
وشهورًا خوالى واخبارًا بوالى ودهورًا فوانى وايّامًا قد ذهبت وآثارًا قد
دثرت وجدّدت احزانى وهيّجت بلابلى على انّى كنت فى ذلك النهار مرزءًا
مصابًا من وجوه وما كنت نسيت ولكن زاد الشجا وتوقّدت اللوعة وتأكّد ١٥
الحزن وتضاعف الاسف واستجلب الوجد ما كان منه كامنًا فلبّاه مجيبًا فقلت
قطعةً منها

يُبَكِّي لِمَيْتٍ مَاتَ وَهْوَ مُكَرَّمٌ * وَلَلْحَيُّ أَوْلَى بِالدُّمُوعِ الذَّوَارِفِ
فَيَا عَجَبًا مِنْ آسِفٍ لِامْرِءٍ ثَوَى * وَ مَا هُوَ لِلْمَقْتُولِ ظُلْمًا بِآسِفِ

102a ثم ضرب الدهر ضربانه واجلينا عن منازلنا وتغلّب علينا جند البربر فخرجت ٢٠
عن قرطبة اوّل المحرّم سنة اربع واربعمائة وغابت عن بصرى بعد تلك
الرؤية الواحدة ستّة عوام واكثر ثم دخلت قرطبة فى شوال سنة تسع واربعمائة
فنزلت على بعض نسآئنا فرأيتها هنالك وما كدت ان اميّزها حتى قيل لى
هذه فلانة وقد تغيّر اكثر محاسنها وذهبت نضارتها وفنيت تلك البهجة
وغاض ذلك المآء الذى كان يُرى كالسيف الصقيل والمرآة الهنديّة وذبل ٢٥

ذلك النوّار الذى كان البصر يقصد نحوه متبوّرًا ويرتاد فيه متخيّرًا وينصرف
عنه متحيّرًا فلم يبق الاّ البعض المنبىء عن الكل والخبر المخبر عن الجميع
وذلك لقلّة اهتبالها بنفسها وعدمها الصيانة التى كانت غذيت بها ايّام دولتنا
وامتداد ظلّنا ولتبذّلها فى الخروج فيما لا بدّ لها منه ممّا كانت تصان وترفع
عنه قبل ذلك وانّما النسآء رياحين متى لم تتعاهد نقصت و بنيـة متى لم ٥
يُهْتَبَل بها استهدمت ولذلك قال من قال انّ حسن الرجال اصدق صدقًا 102b
واثبت اصلاً واعتق جودةً لصبره على ما لو لقى بعضه وجوه النسآء لتغيّرت
اشدّ التغيّر مثل المجير والسموم والرياح واختلاف الهوآء وعدم الكنّ وانّى
لو نلتُ منها اقلّ وصل وأنست لى بعض الانس لخولطت طربًا او لمتّ فرحًا
ولكنّ هذا النفار الذى صبّرنى واسلانى وهذا الوجه من اسباب السلوّ صاحبه ١٠
فى كلا الوجهين معذور وغير ملوم اذ لم يقع تثبّت يوجب الوفآء ولا عهد
يقتضى المحافظة و لا سلف ذمام ولا فرط تصادق يلام على تضييعه ونسيانه
ومنها جفآء يكون من المحبوب فاذا افرط فيه واسرف و صادف من المحبّ
نفسًا لها بعض الانفة والعزّة تسلّى واذا كان الجفآء يسيرًا منقطعًا او دائمًا
او كبيرًا منقطعًا احتمل وأُغضى عليه حتى اذا كثر و دام فلا بقآء عليه ولا ١٥
يلام الناسى لمن يحبّ فى مثل هذا ومنها الغدر وهو الذى لا يحتمله احد
ولا يغضى عليه كريم وهو المسلاة حقًّا و لا يلام السالى عنه على اىّ وجه
كان ناسيًا او متصبّرًا بل اللائمة لاحقة لمن صبر عليه ولولا انّ القلوب
بيد مقلّبها لا اله الاّ هو ولا يكلف المرء صرف قلبه ولا احالة استحسانـه 103a
ولولا ذاك لقلت انّ المتصبّر فى سلوّه مع الغدر يكاد ان يستحقّ الملامـة ٢٠
و التعنيف ولا أَدْعَى[1] الى السلوّ عند الحرّ النفس و ذوى الحفيظة والسرىّ
السجايا من الغدر فما يصبر عليه الاّ دنىّ المروءة خسيس النفس نذل الهمّة
ساقط الانفة و فى ذلك اقول قطعةً منها

هَوَاكِ فَلَسْتُ أَقْرَبُهُ غُرُورٌ * وَأَنْتِ لِكُلِّ مَا يَأْتِى سَرِيرُ ٢٤

---

(1) MS ادعَى.

وَ مَا إِنْ تَصْبِرِينَ عَلَى حَبِيبٍ * فَحَوْلَكِ مِنْهُمُ عَــدَدٌ كَثِيرُ
فَلَوْ كُنْتِ ٱلْأَمِيرَ لَهَا تَعَاطَى * لِقَاءَكِ خَوْفَ جَمْعِهِمُ ٱلْأَمِيرُ
رَأَيْتُكِ كَالْأَمَانِي مَا عَلَى مَنْ * يَلُمُّ بِهَـا وَ لَوْ كَثُرُوا غُرُورُ
وَ لَا عَنْهَا لِمَنْ يَأْتِي دِفَاعٌ * وَ لَوْ حَشَدَ ٱلْأَنَامَ لَهُمْ نَفِيرُ

ثم سبب ثامن وهو لا من المحبّ و لا من المحبوب ولكنّه من الله تعالى وهو ٥
اليأس و فروعه ثلاثة امّا موت و امّا بين لا يرجى معه اوبة وامّا عارض
يدخل على المتحابّين بعلّــة المحبّ[1] التى من اجلهــا وثق المحبوب فيغيّرها[2]
103b وكل هذه الوجوه فمن اسباب السلوّ والتصبّر وعلى المحبّ الناسى فى هذا الوجه
المنقسم الى هــذه الاقسام الثلاثة من الغضاضة والذمّ واستحقاق اسم اللوم
والغدر غير قليل وانّ لليأس لعملاً فى النفوس عجيبًا وثلجًا لحرّ الاكباد كبيرًا ١٠
وكل هذه الوجوه المذكورة اوّلاً وآخرًا فالتأنّى فيها واجب والتربّص على
اهلها حسن فيما يمكن فيه التأنّى ويصحّ لديه التربّص فاذا انقطعت الاطماع
و انحسمت الامال فحينئذ يقوم العذر وللشعرآء فنّ من الشعر يذمّون فيه
الباكى على الدمن ويثنون على المثابر على اللذّات وهــذا يدخل فى باب
السلوّ ولقد اكثر الحسن بن هانئ فى هذا الباب وافتخر به وهو كثيرًا ما ١٥
يصف نفسه بالغدر الصريح فى اشعاره تحكّمًا بلسانــه واقتدارًا على القول
و فى مثل هذا اقول شعرًا منه

خَلِّ هَذَا وَبَادِرِ ٱلدَّهْرَ وَٱرْحَلْ * فِي رِيَاضِ ٱلرُّبَى[3] مَطِيَّ ٱلْقِفَارِ
وَٱحْدُهَا بِالْبَدِيعِ مِنْ نَغَمَاتِ الـــعُودِ كَيْمَـا تُحَثُّ بِالْمِزْمَـارِ
إِنَّ خَيْرًا مِنَ ٱلْوُقُوفِ عَلَى الدَّا * رِ وُقُوفُ الْبَنَـانِ بِالْأَوْتَـارِ ٢٠
وَ بَدَا النَّرْجِسُ الْبَدِيعُ كَصَبٍّ * حَائِرِ الطَّرْفِ مَائِلاً كَالْمُدَارِ
لَوْنُــهُ لَوْنُ عَاشِقٍ مُسْتَهَـامٍ * وَهْوَ لَا شَكَّ هَائِمٌ بِالْبَهَارِ[4] 104a

ومعاذ الله ان يكون نسيان ما درس لنا طبعًا ومعصية الله بشرب الراح
لنا خلقًا وكساد الهمّة لنا صفةً ولكن حسبنا قول الله تعالى ومن اصدق من ٢٤

---

(١) MS بعلّة المحبّ sur la marge. (٢) MS فيغيرها (٣) MS الرُّبا (٤) MS بالنهارِ.

الله قيلاً فى الشعرآء أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا
يَفْعَلُونَ(١) فهذه شهادة الله العزيز الجبّار لهم ولكن شذوذ القائل للشعر عن
مرتبة الشعر خطآء وكان سبب هـذه الابيات انّ ضنا العامريّة احدى
كرائم المظفّر عبد الملك بن ابي عامر كلّفتنى صنعتها فاجبتها وكنت أجلّها
ولها فيها صنعة فى طريقة النشيد والبسيط رائقة جدًّا ولقد انشدتُها بعض ٥
اخوانى من اهل الادب فقال سرورًا بها يجب ان توضع هـذه فى جملة
عجائب الدنيا فجميع فصول هذا الباب كما ترى ثمانية منها ثلاثة هى من المحب
اثنان منها يذمّ السالى فيهما على كل وجه وهما الملل والاستبدال و واحد منها
يذمّ السالى فيه ولا يذمّ المتصبّر وهو الحياء كما قدّمنا و اربعة من المحبوب
منها واحد يذمّ الناسى فيه و لا يذمّ المتصبّر وهو الهجر الدائم و ثلاثـة لا ١٠
يذمّ السالى فيها على اىّ وجه كان ناسيًا او متصبّرًا وهى النفار والجفاء 104b
والغدر و وجه ثامن و هو من قبل الله عزّ وجلّ وهو اليأس امّا بموت او
بين او آفة تزمن والمتصبّر فى هذه معذور وعنّى اخبرك انّى جُبلتُ على
طبيعتين لا يهنى معهما عيش ابدًا وانّى لأبرمُ بحياتى باجتماعهما واودّ التثبّت
من نفسى احيانًا لأفقد ما انا بسببه من النكد من اجلهما وهما وفآء لا يشوبه ١٥
تلوّن قد استوت فيه الحضرة والمغيب والباطن والظاهر تولده الالفة التى لم
تعرف بها نفسى عن ما دَرِبَتْه ولا تتطلّع الى عدم من صَحِبَتْه و عزّة نفس
لا تقرّ على الضيم مهتمّةً لاقلّ ما يرد عليها من تغيّر المعارف مؤثّرةً للموت
عليه فكل واحدة من هاتين السجيتين تدعو الى نفسها وانّى لأُجْفَى فاحتمل
واستعمل الاناة الطويلة والتلوّم الذى لا يكاد يطيقه احد فاذا افرط الامر ٢٠
و حميت نفسى تصبّرتُ و فى القلب ما فيه وفى ذلك اقول قطعةً منها

لِى خَلَّتَانِ أَذَاقَانِى ٱلْأَسَى جُرَعًا * وَ نَغَّصَا عِيشَتِى وَٱسْتَهْلَكَا جَلَدِى
كِلَاهُمَا ...... (٢) نَحْوَ جِبِلَّتِهَـا * كَالصَّيْدِ يَنْشَبُ بَيْنَ ٱلذِّئْبِ وَٱلْأَسَدِ
وَفَآءُ صِدْقٍ فَمَا فَارَقْتُ ذَا مِقَـةٍ * فَزَالَ حُزْنِى عَلَيْـهِ آخِرَ ٱلْأَبَـدِ ٢٤ 105a

(١) 26, 225—226. (٢) MS بطى .

وَ عِزَّةٌ لَا يَحِلُّ الضَّيْمُ سَاحَتَهَا * صَرَّامَةٌ فِيـــه بِالْأَمْوَالِ وَالْوَلَــدِ

و ممّا يشبه ما نحن فيه وان كان ليس منه انّ رجلاً من اخوانى كنت حلّلته من نفسى محلّها واسقطتُ المؤونة بينى وبينه واعددته ذخراً[١] وكنزًا وكان كثير السمع من كل قائلٍ فدبّ ذو النميمة بينى و بينه فحاكوا فيه وانجح سعيهم عنده فانقبض عمّا كنت اعهده فتربّصت عليه مدّةً فى مثلهـا اوب ٥ الغائب و رضى العاتب فلم يزد الّا انقباضًا فتركته و حاله

بَابُ المَوْتِ

وربّما تزايد الامر و رقّ الطبع وعظم الاشفاق فكان سببًا للموت ومفارقة الدنيا وقد جآء فى الآثار من عشق فعفّ فمات فهو شهيد و فى ذلك اقول قطعةً منها ١٠

فَإِنْ أَهْلِكْ هَوًى أَهْلِكْ شَهِيدًا * وَإِنْ تَمْنُنْ بَقِيتُ قَرِيرَ عَيْنِ

رَوَى هَــذَا لَنَــا قَوْمٌ ثِقَاتٌ * ثَوَوْا بِالصِّدْقِ عَنْ[٢] جَرْحٍ وَمَيْنِ

ولقـــد حدّثنى ابو السرىّ عمار بن زياد صاحبنا عمّن يثق به انّ الكاتب ابن قزمان امتحن بمحبّة اسلم بن عبد العزيز اخى الحاجب هاشم بن عبد العزيز 105b وكان اسلم غايةً فى الجمال حتى اضجعه لما به واوقعه فى اسباب المنيّة وكان ١٥ اسلم كثير الالمام به والزيارة له و لا علم له بانّه اصل دآئه الى ان توفّى اسفًا و دنفًا قال المخبر فاخبرتُ اسلم بعد وفاته بسبب علّته وموته فتاسّف وقال هلّا اعلمتنى فقلت ولِمَ قال كنت والله ازيد فى صلته وما اكاد افارقه فما علىّ فى ذلك ضرر وكان اسلم هذا من اهل الادب البارع والتفنّن مع حظّ من الفقه وافر وذا بصارة فى الشعر و له شعر جيّد وله معرفة بالاغانى ٢٠ وتصرّفها وهو صاحب تاليف فى طرآئق غناء زرياب واخباره وهو ديوان عجيب جدًّا وكان احسن الناس خَلقًا وخُلقًا وهو والد ابى الجعد الذى كان ساكنًا بالجانب الغربىّ من قرطبة[٣] وانا اعلم جاريةً كانت لبعض الرؤسآء ٢٣

---

(١) MS دخرا (٢) MS عنى (٣) Cf. Bibl. Ar. Hisp. III, pp. 224—225; indiqué par M. Asin Palacios, comme plus bas, pp. 111—112.

فعزف عنها لشىء بلغه فى جهتها لم يكن يوجب السخط فباعها فجزعت لذلك
جزعًا شديدًا وما فارقها النحول والاسف ولا بان عن عينها الدمع الى
ان سلت وكان ذلك سبب موتها و لم تعش بعد خروجها عنه الّا اشهرًا
106a ليست بالكثيرة ولقد اخبرتنى عنها امرأة اثق بها انّها لقيتها وهى قد صارت
كالخيال نحولاً ورقّةً فقالت لها احسب هذا الذى بك من محبّتك لفلان ٥
فتنفّست الصعداء وقالت والله لا نسيته ابدًا وان كان جفانى بلا سبب
وما عاشت بعد هذا القول الّا يسيرًا وانا اخبرك عن ابى بكر اخى رحمه
الله وكان متزوّجًا بعاتكة بنت قند صاحب الثغر الاعلى ايّام المنصور ابى عامر
محمّد بن عامر وكانت التى لا مرمى وراءها فى جمالها و كريم خلالها ولا
تأتى الدنيا بمثلها فى فضائلها و كانا فى حدّ الصبى و تمكّن سلطانه يُغضب ١٠
كل واحد منهما الكلمة التى لا قدر لها فكانا لم يزالا فى تغاضب وتعاتب
مدّة ثمانية اعوام وكانت قد شغفها حبّه واضناها الوجد فيه وانحلها شدّة كلفها
به حتى صارت كالخيال المتوسّم دنفًا لا يلهيها من الدنيا شىء ولا تسرّ
من اموالها على عرضها و تكاثرها بقليل ولا كثير اذ فاتها اتّفاقه معها
وسلامته لها الى ان توفّى اخى رحمه الله فى الطاعون الواقع بقرطبة فى شهر ١٥
ذى القعدة سنة احدى واربعمائة وهو ابن اثنين وعشرين سنة فما انفكّت
منذ بان عنها من السقم الدخيل والمرض والذبول الى ان ماتت بعده
106b بعامٍ فى اليوم الذى اكمل هو فيه تحت الارض عامًا ولقد اخبرتنى عنها امّها
وجميع جواريها انّها كانت تقول بعده ما يقوّى صبرى و يمسك رمقى فى
الدنيا ساعةً واحدةً بعد وفاته الّا سرورى وتيقّنى انّه لا يضمّه وامرأةً مضجع ٢٠
ابدًا فقد امنتُ هذا الذى ما كنت اتخوّف غيره و اعظم امالى اليوم اللحاق
به و لم يكن له قبلها ولا معها امرأة غيرها وهى كذلك لم يكن لها غيره
فكان كما قدّرت غفر الله لها و رضى عنها واما خبر صاحبنا ابى عبد الله محمّد
ابن يحيى بن محمّد بن الحسين التميمىّ المعروف بابن الطبنىّ فانّه كان رحمه
الله كانّه قد خلق الحسن على مثاله او خلق من نفس كل من رآه لم ٢٥

اشاهد له مثلاً حسنًا وجمالاً وخلقًا وعفّةً و تصاونًا وادبًا وفهمًا و حلمًا
ووفآء و سوددًا وطهارةً وكرمًا ودماثةً و حلاوةً ولباقةً وصبرًا وإغْضَآءً (١)
وعقلاً ومروءةً ودينًا ودرايةً وحفظًا للقرآن والحديث والنحو واللغة وشاعرًا
مفلقًا وحسن الخطّ وبليغًا مفنّنًا مع حظّ صالح من الكلام والجدل وكان من غلمان
ابي القاسم عبد الرحمن بن ابي يزيد الازديّ استاذى فى هذا الشأن وكان ٥
107a بينه وبين ابيه اثنا عشر عامًا فى السنّ وكنت انا وهو متقاربين فى الاسنان
وكنّا اليفين لا نفترق وخدنين لا يجرى المآء بيننا صفآء الى ان القت الفتنة
جرانها و ارخت غزاليها ووقع انهاب جند البربر منازلنا فى الجانب الغربى
بقرطبة ونزولهم فيها وكان مسكن ابى عبد الله فى الجانب الشرقىّ ببلاط
مغيث وتقلّبت بي الامور الى الخروج عن قرطبة وسكنى مدينة المريّة فكنّا ١٠
نتهادى النظم والنثر كثيرًا وآخر ما خاطبنى به رسالة فى درجها هذه الابيات

لَيْتَ شِعْرِى عَنْ حَبْلِ وُدِّكَ هَلْ يُمْــسِى جَدِيــدًا لَدَىَّ غَيْرَ رَثِيثِ
وَ أَرَانِى أَرَى مُحَيَّاكَ يَوْمًــا * وَ أُنَــاجِيكَ فِى بَلَاطِ مُغِيثِ
فَلَوَ انَّ الدِيَارَ يُنْهِضُهَا الشَوْ * قُ أَتَاكَ البَلَاطُ كَالْمُسْتَغِيثِ
وَلَوَ انَّ القُلُوبَ تَسْطِيعُ سَيْرًا * سَارَ قَلْبِى إِلَيْـكَ سَيْرَ الحَثِيثِ ١٥
كُنْ كَمَا شِئْتَ لِى فَإِنِّى مُحِبٌّ * لَيْسَ لِى غَيْرُ ذِكْرِكُمْ مِنْ حَدِيثِ
لَكَ عِنْدِى وَ إِنْ تَنَاسَيْتَ عَهْدٌ * فِى صَمِيمِ الفُؤَادِ غَيْرُ نَكِيثِ

فكنّا على ذلك الى ان انقطعت دولة بنى مروان و قُتل سليمان الظافر امير
المؤمنين وظهرت دولة الطالبيّة و بويع علىّ بن حمود الحسنىّ المسمّى بالناصر
107b بالخلافة و تغلّب على قرطبة و تملّكها و استمرّ فى قتاله ايّاها بجيوش ٢٠
المتغلّبين والثوّار فى اقطار الاندلس وفى اثر ذلك نكبنى خيران صاحب
المريّة اذ نقل اليه من لم يتّق الله عزّ وجلّ من الباغين وقد انتقم الله منهم
عنّى وعن محمّد بن اسحق صاحبى انّا نسعى فى القيام بدعوة الـدولة
الامويّة فاعتقلنا عند نفسه اشهرًا ثم اخرجنا على جهة التغريب فصرنا الى ٢٤

(١) MS إعضآء.

خصن القصر ولقينا صاحبه ابو القسم عبد الله بن محمّد بن هذيل النجيبيّ[1]
المعروف بابن المقفّل فاقمنا عنده شهورًا فى خير دار اقامةٍ وبين خير اهل
وجيران وعند اجلّ الناس همّةً واكملهم معروفًا واتمّهم سيادةً ثمّ ركبنا البحر
قاصدين بلنسية عند ظهور امير المؤمنين المرتضى عبد الرحمن بن محمّد
وسكناه بها فوجدتُ ببلنسية ابا شاكر عبد الرحمن بن محمّد بن موهب ٥
العنبريّ[2] صديقنا فنعى الىّ ابا عبد الله بن الطبنىّ واخبرنى بموته رحمه الله
ثمّ اخبرنى بعد ذلك بمدينة القاضى ابو الوليد يونس بن محمّد المرادىّ وابو
عمرٍو احمد بن محرّز انّ ابا بكر المصعب بن عبد الله الازدىّ المعروف
108a بابن الفرضىّ حدّثهما وكان والد المصعب[3] هذا قاضى بلنسية ايّام امير
المؤمنين المهدىّ وكان المصعب لنا صديقًا واخًا واليفًا ايّام طلبنا الحديث ١٠
على والده وسائر شيوخ المحدّثين بقرطبة قالا قال لنا المصعب سألت ابا
عبد الله ابن الطبنىّ عن سبب علّته و هو قد نحل وقد خفيت محاسن وجهه
بالضنى فلم يبق الاّ عين جوهرها المخبر عن صفاتها السالفة وصار يكاد ان
يطيره النفس وقرب من الانحناء والشجا بادٍ على وجهه ونحن منفردان
فقال لى نعم اخبرك انّى كنت على باب دارى بقديد الشمّاس فى حين ١٥
دخول علىّ بن حمود قرطبة والجيوش واردة عليها من الجهات تتسارب
فرأيت فى جملتهم فتىً لم اقدر انّ للحسن صورة قائمة حتى رأيته فغلب على
عقلى وهام به لبّى فسألت عنه فقيل لى هذا فلان ابن فلان من سكّان
جهة كذا ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة الماخذ فيئستُ عن رؤيته بعد ذلك
ولعمرى يابا بكر لا فارقنى حبّه او يوردنى رمسى فكان كذلك وانا اعرف ٢٠
ذلك الفتى وادريه وقد رأيته لكنّى اضربتُ عن اسمه لانّه قد مات والتقى
108b كلاهما عند الله عزّ وجلّ عفا الله عن الجميع هذا على انّ ابا عبد الله
اكرم الله نزله ممّن لم يكن له ولة قطّ و لا فارق الطريقة المثلى ولا وطئ

---

(١) Ou peut être التجيبيّ?

(٢) Cf. Bibl. Ar. Hisp. III, pp. 379—380.

(٣) Ibidem, p. 357.

حرامًا قطّ ولا قارف مسكرًا ولا اتى منهيًّا عنه يخلّ بدينه و مروّته ولا
قارض من جفا عليه وما كان فى طبقتنا مثله ثم دخلت انا قرطبة فى خلافة
القاسم بن حمود المأمون فلم اقدّم شيئا على قصد ابى عمرو القاسم بن يحيى
التميمىّ[١] اخى ابى عبد الله رحمه الله فسألته عن حاله و عزّيته عن اخيه وما
كان اولى بالتعزية عنه منّى ثم سألته عن اشعاره و رسائله اذ كان الذى عندى ٥
منه قد ذهب بالنهب فى السبب الذى ذكرته فى صدر هذه الحكاية فاخبرنى عنه
انّه لمّا قربت وفاته وايقن بحضور المنيّة ولم يشكّ فى الموت دعا بجميع شعره
و بكتبى التى كنت خاطبته انا بها فقطعها كلّها ثم امر بدفنها قال ابو عمرو
فقلت له يا اخى دعها تبقى فقال انّى اقطعها وانا ادرى انّى اقطع فيها ادبًا
كثيرًا و لكن لو كان ابو محمّد بعينى حاضرًا لدفعتها اليه تكون عنده تذكرةً ١٠
لمودّتى ولكنّى لا اعلم اىّ البلاد اضمرته ولا أحىّ هو ام ميّت وكانت نكبتى
اتّصلت به ولم يعلم مستقرّى ولا الى ما آل امرى فمن مراثى له قصيدة منها 109a

لَئِنْ سَتَرَتْكَ بُطُونُ ٱللُّحُودِ * فَوَجْدِىَ بَعْـدَكَ لَا يَسْتَتِرْ
قَصَدتُّ دِيَارَكَ قَصْدَ ٱلْمَشُوقِ * وَلِلدَّهْرِ فِينَـا كُرُورٌ وَ مَرّْ
فَأَلْفَيْتُهَـا مِنْكَ قَفْرًا خَلَآءً * فَأَسْكَبْتُ عَيْنِى عَلَيْكَ ٱلْعِبَرْ[٢] ١٥

وحدّثنى ابو القاسم الهمدانىّ رحمه الله قال كان معنا ببغداذ اخٌ لعبد الله
بن يحيى بن احمد بن دحُّون الفقيه الذى عليه مدار الفتيا بقرطبة وكان
اعلم من اخيه و اجلّ مقدارًا ما كان فى اصحابنا ببغداذ مثله وانّه اجتاز يومًا
بدرب قطنه فى زقاق لا ينفذ فدخل فيـه فرأى فى اقصاه جاريةً واقفةً
مكشوفة الوجه فقالت له يا هذا انّ الدرب لا ينفذ قال فنظـر اليها فهام ٢٠
بها قال وانصرف الينا فتزايد عليه امرها و خشى الفتنة فخرج الى البصرة
فمات بها عشقًا رحمه الله وكان فيما ذكر من الصالحين حكاية لم ازل
اسمعها عن بعض ملوك البرابر انّ رجلاً اندلسيًّا باع جاريةً كان يجد بها ٢٢

---

(١) Cf. Bibl. Ar. Hisp. III, p. 437. (٢) Sur الطبنىّ cf. ibidem, pp. 212—213.

109b وجدًا شديدًا لفاقةٍ اصابته من رجل من اهل ذلك البلد ولم يظنّ بائعها
انّ نفسه تتبعها ذلك التتبّع فلمّا حصلت عند المشترى كادت نفس
الاندلسىّ تخرج فاتى الى الذى ابتاعها منه وحكّمه فى ماله اجمع وفى نفسه
فابى عليه فتحمّل عليه باهل البلد فلم يسعف منهم احد فكاد عقله ان
يذهب و رأى ان يتصدّى الى الملك فتعرّض له وصاح فسمعه فامر بادخاله ٥
والملك قاعد فى عليّةٍ له مشرفةٍ عاليةٍ فوصل اليه فلما مثل بين يديه اخبره
بقصّته واسترحمه وتضرّع اليه فرقّ له الملك فامر باحضار الرجل المبتاع
فحضر فقال له هذا رجل غريب وهو كما تراه وانا شفيعه اليك فابى المبتاع
وقال انا اشدّ حبًّا لها منه واخشى ان صرفتها اليه ان استغيث بك غدًا
وانا فى اسوأ من حالته فرام به الملك ومن حواليه فى اموالهم فابى وجّ ١٠
واعتذر بمحبّته لها فلما طال المجلس ولم يروا منه البتّة جنوحًا الى الاسعاف (١)
قال للاندلسىّ يا هذا ما لك بيدى اكثر ممّا ترى وقد جهدتُ لك بابلغ
سعى وهو تراه يعتذر بانّه فيها احبّ منك وانّه يخشى على نفسه شرًّا ممّا
انت فيه فاصبر لما قضى الله عليك فقال له الاندلسىّ فما لى بيدك حيلة
110a قال له وهل هاهنا غير الرغبة والبذل ما استطيع لك اكثر فلما يئس ١٥
الاندلسىّ منها جمع يديه و رجليه وانصبّ من اعلى العلّيّة الى الارض
فارتاع الملك وصرخ فابتدر اليه الغلمان من اسفل فقُضِى انّه لم يتأذّ فى
ذلك الوقوع كبير أذًى فصُعد به الى الملك فقال له ما ذا اردتَ بهذا
فقال ايّها الملك لا سبيل لى الى الحياة بعدها ثم همّ ان يرمى نفسه ثانيةً
فمُنع فقال الملك الله اكبر قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة ثم التفت الى ٢٠
المشترى فقال يا هذا انّك ذكرت انّك اودّ لها منه و تخاف ان تصير فى مثل
حاله فقال نعم قال فانّ صاحبك هذا ابدا عنوان محبّته وقذف بنفسه يريد
الموت لولا انّ الله عزّ وجلّ وقاه فانت قم فصحّح حبّك وترام من اعلى
هذه القصبة كما فعل صاحبك فان متَّ فبأجلك و ان عشتَ كنت اولى ٢٤

(١) Cf. Dozy, Supplément, I, 655, 2.

بالجارية اذ هى فى يدك و يمضى صاحبك عنك وان ابيتَ نزعت الجارية منك رغمًا و دفعتها اليه فتمنّع ثم قال أترامى فلما قرب من الباب ونظر الى الهوى تحته رجع القهقرى فقال له الملك هو والله ما قلت فهمّ ثم نكل 110b فلما لم يقدم قال له الملك لا تتلاعب بنا يا غلمان خذوا بيديه وارموا به الى الارض فلما رأى العزيمة قال ايّها الملك قد طابت نفسى با لجارية فقال ٥ له جزاك اللهُ خيرًا فاشتراها منه و دفعها الى بائعها وانصرفا

بَابُ قُبْحِ المَعْصِيَةِ

قال المصنّف رحمه الله تعالى وكثير من الناس يطيعون انفسهم ويعصون عقولهم ويتبعون اهوآءهم و يرفضون اديانهم ويتجنّبون ما حضّ الله تعالى عليه ورتّبه فى الالباب السليمة من العفّة وترك المعاصى و مقارعة ١٠ الهوى ويخالفون الله ربّهم ويوافقون ابليس فيما يحبّه من الشهوة المعطبة فيواقعون المعصية فى حبّهم وقد علمنا انّ الله عزّ وجلّ ركّب فى الانسان طبيعتين متضادّتين احداهما لا تشير الاّ بخير ولا تحضّ الاّ على حسن ولا يتصوّر فيها الاّ كل امر مرضىّ وهى العقل وقائده العدل و الثانية ضدٌّ لها لا تشير الاّ الى الشهوات ولا تقود الاّ الى الردى وهى النفس وقائدها الشهوة ١٥ والله تعالى يقول إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ[1] وكنى بالقلب عن العقل فقال إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ[2] وقال تعالى و حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ[3] و خاطب أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ[4] 111a فهاتان الطبيعتان قطبان فى الانسان و هما قوّتان من قوى الجسد الفعّال بهما ومطرحان من مطارح شعاعات هذين الجوهرين العجيبين الرفيعين ٢٠ العلويّين ففى كل جسد منها حظّه على قدر مقابلته لهما فى تقدير الواحد الصمد تقدّست اسمآؤه حين خلقه وهيّأه فهما يتقابلان ابدًا و يتنازعان دأبًا فاذا غلب العقل النفس ارتدع الانسان و قمع عوارضه المدخولة

(١) 12, 53. (٢) 50, 36. (٣) 49, 7. (٤) cf. Cor. 39, 22.

واستضاء بنور الله واتبع العدل و اذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة
ولم يصحّ الفرق بين الحسن والقبيح وعظم الالتباس وتردّى فى هوّة الردى
ومهواة الهلكة و بهذا حسن الامر والنهى و وجب الاكتمال وصحّ الثواب
والعقاب واستحقّ الجزآء والروح واصل بين هاتين الطبيعتين وموصل ما
بينهما وحامل الالتقاء بهما وانّ الوقوف عند حدّ الطاعة لمعدوم الاّ مع ٥
طول الرياضة وصحّة المعرفة ونفاذ(١) التمييز و مع ذلك اجتناب التعرّض
111b للفتن ومداخلة الناس جملةً والجلوس فى البيوت وبالحرا أن يقع السلامة
المضمونة(٢) او يكون الرجل حصورًا لا إرْبَ له فى النسآء و لا جارحة
له تعينه عليهنّ قديمًا ولقد من وُقى شرّ لَقْلَقِهِ و قَبْقَبِهِ و ذَبْذَبِهِ فقد وُقى
شرّ الدنيا بجذافيرها واللقلق اللسان والقبقب البطن والذبذب الفرج ولقد ١٠
اخبرنى ابو حفص الكاتب هو من ولد روح بن زنباع الجذامىّ انّه سمع
بعض المتسمّين باسم الفقه من اهل الرواية المشاهير وقد سُئل عن هذا
الحديث فقال القبقبة البِطّيخُ(٣) وحدّثنا احمد بن محمّد بن احمد ثنا وهب
بن مسرّة و محمّد بن ابى دليم عن محمّد بن وضّاح عن يحيى بن يحيى عن
ملك بن انس عن زيد بن اسلم عن عطآء بن يسارٍ انّ رسول الله صلّى ١٥
الله عليه وسلّم قال فى حديث طويل من وقاه الله شرّ اثنتين دخل الجنّة
فسُئل عن ذلك فقال ما بين لحييه وما بين رجليه وانّى لاسمع كثيرًا ممّن
يقول الوفآء فى قمع الشهوات فى الرجال دون النساء فاطيل العجب من
ذلك وانّ لى قولاً لا احول عنه الرجال و النسآء فى الجنوح الى هذين
الشيئين سواء وما رجل عرضت له امرأة جميلة بالحبّ وطال ذلك ولم ٢٠
112a يكن ثم مانع الاّ وقع فى شرك الشيطان واستهوته المعاصى واستفزّه(٤) الحرص
و تغوّله الطمع وما امرأة دعاها رجل بمثل هذه الحالة الاّ وامكنته حتمًا
مقضيًا و حكمًا نافذًا لا محيد عنه البتّة ولقد اخبرنى ثقة صدق من اخوانى ٢٢

(١) MS نفاد. (٢) MS المصهونة. (٣) Cf. Dozy, Supplément I, 93, 2.
(٤) MS. استفره.

من اهل التمام فى الفقه والكلام والمعرفة و ذو صلابة فى دينه انّه احب
جارية نبيلةً اديبةً ذات جمال بارع قال فعرضتُ لها فنفرت ثم عرضتُ
فابت فلم يزل الامر يطول وحبّها يزيد وهى ممّا لا تطيع البتّة الى ان
حملنى فرط حبّى لها مع عمى الصبى على ان نذرتُ انّى متى[1] نلتُ منها
مرادى ان اتوب الى الله توبةً صادقةً قال فما مرّت الايّام والليالى حتى ٥
اذعنَتْ بعد شماسٍ ونفارٍ فقلت له ابو فلان وفيتَ بعهدك فقال إىْ والله
فضحكت و ذكرت بهذه الفعلة ما لم يزل يتداول اسماعنا من انّ فى بلاد
البربر التى تجاور اندلسنا يتوب الفاسق على انه اذا قضى وطره ممّن
اراد ان يتوب الى الله فلا يُمنَع من ذلك وينكرون على من تعرّض له بكلمة
ويقولون له أ تحرّم رجلاً مسلمًا التوبة قال ولعهدى بها تبكى وتقول والله ١٠
112b لقد بلّغتنى مبلغًا ما خطر قطّ لى ببالٍ ولا قدّرتُ ان اجيب اليه احدًا
ولستُ أُبْعِدُ ان يكون الصلاح فى الرجال والنسآء موجودًا واعوذ بالله ان
اظنّ غير هذا وانّى رأيت الناس يغلطون في معنى هذه الكلمة اعنى الصلاح
غلطًا بعيدًا والصحيح فى حقيقة تفسيرها انّ الصالحة من النسآء هى التى اذا
ضُبطت انْضَبَطَتْ و اذا قُطعت عنها الذرائع امتسكت والفاسدة هى التى اذا ١٥
ضُبِطَت لم تنضبط و اذا حِيل بينها وبين الاسباب التى تسهل الفواحش
تحيّلت فى ان تتوصّل اليها بضروب من الحيل والصالح من الرجال من
لا يداخل اهل الفسوق و لا يتعرّض من المناظرة الجالبة للاهوآء ولا
يرفع طرفه الى الصور البديعة التركيب والفاسق من يعاشر اهل النقص
وينشر بصره الى الوجوه البديعة الصنعة ويتصدّى للمشاهد المؤذية ويحبّ ٢٠
الخلوات المهلكات والصالحان من الرجال والنسآء كالنار الكامنة فى الرماد
لا تحرق من جاورها الاّ بان تُحرّك والفاسقان كالنار المشتعلة تحرق كل شىء
113a وامّا مرأة مهمَلة و رجل متعرّض فقد هلكا وتلفا ولهذا حرم على المسلم
الالتذاذ بسماع نغمة امرأة اجنبيّة وقد جُعلت النظرة الاولى لك والاخرى ٢٤

(1) MS منى.

عليك وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من تأمّل امرأةً وهو صائم
حتى يرى حجم عظامها فقد افطر وانّ فى ما ورد عن النهى عن الهوى
بنصّ التنزيل لشيئًا مقنعًا و فى ايقاع هذه الكلمة اعني الهوى اسمًا على معانٍ
واشتقاقها عند العرب وذلك دليل على ميل النفوس وهُوِيّها الى هــذه
المقامات وانّ المتمسّك عنها مقارع لنفسه محارب لها وشىء اصفه لك تراه ٥
عيانًا وهو انّى ما رأيت قطّ امرأةً فى مكانٍ تحسّ انّ رجلاً يراها او يسمع
حسّها الاّ واحدثتْ حركةً فاضلةً كانت عنها بمعزلٍ واتت بكلام زايد كانت
عنه فى غُنيةٍ مخالفين لكلامها و حركتها قبل ذلك ورأيت التهمّم لمخارج
لفظها و هيئة تقلّبها لائحًا فيها ظاهرًا عليها لا خفآء بــه والرجال كذلك
اذا احسّوا بالنسآء وأمّا اظهار الزينة وترتيب المشى وايقاع المزح عند خطور ١٠
113b المرأة بالرجل واجتياز الرجل بالمرأة فهذا اشهر من الشمس فى كل مكان والله
عزّ وجلّ يقول قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ(١)
وقال تقدّست اسمآؤه وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ(٢)
فلو لا علم الله عزّ وجلّ برقّة اغماضهنّ فى السعى لايصال حبّهنّ الى
القلوب ولطف كيدهنّ فى التحيّل لاستجلاب الهوى لما كشف الله عن ١٥
هذا المعنى البعيد الغامض الذى ليس ورآءه مرمًى وهــذا حدّ التعرّض
فكيف بما دونه ولقد اطّلَعْتُ من سرّ معتقد الرجال والنسآء فى هذا على
امر عظيم وأصل ذلك انّى لم احسن قطّ باحدٍ ظنًّا فى هذا الشأن مع غيرة
شديدة رُكّبت(٣) فىّ وحدّثنا ابو عمر احمد بن محمّد بن احمد ثنآ احمد
ثنآ محمّد بن علىّ بن رفاعة حدّثنا علىّ بن عبــد العزيز حدّثنا ابو عبيد ٢٠
القاسم بن سلام عن شيوخه انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال الغيرة
من الايمان فلم ازل باحثًا عن اخبارهنّ كاشفًا عن اسرارهنّ و كنّ قد
أنسن منّى بكتمانٍ فكنّ يطلعننى على غوامض امورهنّ ولولا ان اكون منبهًا
على عوراتٍ يستعاذ بالله منها لاوردتُ من تنبّههنّ فى الشرّ ومكرهنّ فيه ٢٤

(١) 24, 30. (٢) 24, 31. (٣) MS زكبّت.

114a عجائب تذهل الالبّآء وانّى لاعرف هذا واتقنه و مع هذا يعلم الله و كفى به
عليمًا انّى برىء الساحة سليم الاديم صحيح البشرة نقىّ الحجرة وانّى اقسم بالله
اجلّ الاقسام انى ما حللت ميزرى على فرح حرام قطّ ولا يحاسبنى ربّى
بكبيرة الزنا مذ عقلتُ الى يومى هــذا والله المحمود على ذالك والمشكور
فيما مضى والمستعصم فيما بقى حدّثنا القاضى ابو عبد الرحمن بن عبد الله بن ٥
عبد الرحمن بن جحاف المعافرىّ وانّه لافضل قاضٍ رأيته عن محمّد بن
ابرهيم الطليطلىّ عن القاضى بمصر بكر بن العلآء فى قول الله عزّ و جلّ
وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ[1] انّ لبعض المتقدّمين فيه قولاً وهو انّ المسلم يكون
مخبرًا عن نفسه بما انعم الله تعالى به عليه من طاعة ربّه التى هى اعظم
النعم و لا سيّما فى المفترض على المسلمين اجتنابه واتباعه وكان السبب فيما ١٠
ذكرته انّى كنت وقت تأجّج نار الصبى و شرّة الحداثة و تمكّن غرارة الفتوّة
مقصورًا محظّرًا علىّ بين رقبآء ورقائب فلما ملكت نفسى وعقلت صحبت ابا
علىّ الحسين بن علىّ الفاسىّ فى مجلس ابى القسم عبد الرحمن بن ابى يزيد
114b الازدىّ شيخنا واستاذى رضى الله عنه وكان ابو علىّ المذكور عاقلاً عاملاً
عالمًا ممّن تقدّم فى الصلاح والنسك الصحيح فى الزهد فى الدنيا والاجتهاد ١٥
للآخرة واحسبه كان حصورًا لانّه لم تكن له امرأة قطّ و ما رأيت مثله
جملةً علمًا و عملاً و دينًا و ورعًا فنفعنى الله به كثيرًا وعلمت موقع الاسآءة
وقبح المعاصى و مات ابو علىّ رحمه الله فى طريق الحجّ ولقد ضمّنى المبيت
ليلة فى بعض الازمان عند امرأة من بعض معارفى مشهورة بالصلاح
والخير والحزم ومعها جارية من بعض قراباتها من اللاّتى قد ضمّها معى ٢٠
النشأة فى الصبى ثم غبتُ عنها اعوامًا كثيرةً وكنت تركتهــا حين اعمرت
و وجدتها قد جرى على وجهها مآء الشباب ففاض وانساب وتفجّرت عليها
ينابيع الملاحة فتردّدتُ وتحيّرتُ وطلعت فى سمآء وجههــا نجوم الحسن
فاشرقت وتوقّدت وانبعثت فى خدّيهــا ازاهير الجمال فتمّت واعتمّت ٢٤

(1) 93, 11.

فانت كما اقول

خَرِيدَةٌ صَاغَهَا الرَّحْمٰنُ مِنْ نُورٍ * جَلَّتْ مَلَاحَتُهَا عَنْ كُلِّ تَقْدِيرِ
لَوْ جَآءَنِى عَمَلِى فِى حُسْنِ صُورَتِهَا * يَوْمَ الحِسَابِ وَيَوْمَ النَّفْخِ فِى الصُّورِ
لَكُنْتُ أَحْظَى عِبَادِ اللَّهِ كُلِّهِمُ * بِالجَنَّتَيْنِ وَ قُرْبِ الخُرَّدِ الحُورِ

115a وكانت من اهل بيت صباحةً وقد ظهرت منها صورة تعجز[1] الوصّاف وقد ٥ طبّق وصف شبابها قرطبة فبتُّ عندها ثلاث ليالٍ متواليةٍ ولم تحجب عنّى على جارى العادة فى التربية فلعمرى لقد كاد قلبى ان يصبو ويثوب اليه مرفوض الهوى ويعاوده منسىّ الغزل ولقد امتنعت بعد ذلك من دخول تلك الدار خوفًا على لبّى ان يزدهيه الاستحسان ولقد كانت هى وجميع اهلها ممّن لا تتعدّى الاطماع اليهنّ ولكنّ الشيطان غير مأمون الغوآئل و فى ذلك اقول ١٠

لَا تُتْبِعِ النَّفْسَ الهَوَى * وَدَعِ التَّعَرُّضَ لِلْمِحَنْ
إِبْلِيسُ حَىٌّ لَمْ يَمُتْ * وَالعَيْنُ بَابٌ لِلْفِتَنْ

و اقول

وَ قَائِلٍ لِى هَذَا * ظَنٌّ يُرِيدُكَ غَيًّا
فَقُلْتُ دَعْ عَنْكَ لَوْمِى * أَلَيْسَ إِبْلِيسُ حَيًّا ١٥

وما اورد الله تعالى علينا من قصّة يوسف بن يعقوب و داود ابن إيشى[2] رسل الله عليهم السلام الّا ليعلمنا نقصاننا وفاقتنا الى عصمته وانّ بنيتنا مدخولة ضعيفة فاذا كانا صلّى الله عليهما و هما نبيّان رسولان ابناء انبيآء 115b رسل و من اهل بيت نبوّة ورسالة متكرّرين فى الحفظ مغموسين فى الولاية محفوفين بالكلاءة مؤيّدين بالعصمة لا يجعل للشيطان عليهما سبيل ولا ٢٠ فتح لوسواسه نحوهما طريق وبلغا حيث نصّ الله عزّ وجلّ علينا فى قرآنه المنزل بالجبلّة الموكّلة والطبع البشرىّ والخلقة الاصيلة لا بتعمّد الخطيئة[3] ولا القصد اليها اذ النبيّون مبرّؤون من كل ما خالف طاعة الله عزّ وجلّ لكنّه استحسان طبيعىّ فى النفس الصور فمن ذا الذى يصف نفسه بملكها ٢٤

(١) MS تجز. (٢) MS انيشا. (٣) MS الحطيئة.

ويتعاطى ضبطها الاّ بحول الله وقوّته و اوّل دم سُفك فى الارض فدم احد
ابنى آدم على سبب المنافسة فى النسآء و رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
يقول باعدوا بين انفاس الرجال والنسآء وهذه امرأة من العرب تقول
وقد حَبلت من ذى قرابة لها حين سُئلت ما ببطنك يا هند فقالت قرب
الوساد وطول السواد و فى ذلك اقول شعرًا منه ٥

لَا تَلُمْ مَنْ عَرَّضَ النَفْسَ لِمَا * لَيْسَ يَرْضَى غَيْرُهُ عِنْدَ المِحَنْ
لَا تُقَرِّبْ عَرْفَجًا مِنْ لَهَبٍ * وَ مَتَى قَرَّبْتَهُ قَامَتْ دُخَنْ
لَا تُصَرِّفْ ثِقَةً فِى أَحَدٍ * فَسَدَ النَاسُ جَمِيعًا وَالزَمَنْ 116a
خُلِقَ النِسْوَانُ لِلْفَحْلِ كَمَا * خُلِقَ الفَحْلُ بِلَا شَكٍّ لَهُنْ
كُلُّ شَكْلٍ يَتَشَهَّى شَكْلَهُ * لَا تَكُنْ عَنْ أَحَدٍ تَنْفِى الظِنَنْ ١٠
صِفَةُ الصَالِحِ مَنْ إِنْ صُنْتَهُ * عَنْ قَبِيحٍ أَظْهَرَ الطَوْعَ الحَسَنْ
وَسِوَاهُ مَنْ إِذَا ثَقَّفْتَهُ * أَعْمَلَ الحِيلَةَ فِى خَلْعِ الرَسَنْ

وانّى لاعلم فتىً من اهل الصيانه قد أُولِعَ بهوًى له فاجتاز بعض اخوانه
فوجده قاعدًا مع من كان يحبّ فاستجلبه الى منزله فاجابه الى منزله بامتثال
المسير بعده فمضى داعيه الى منزله وانتظره حتى طال عليه التربّص فلم ١٥
يأته فلما كان بعد ذلك اجتمع به داعيه فعدّد عليه واطال لومه على اخلافه
موعده فاعتذر و ورّى فقلت انا للذى دعاه انا اكشف عذره صحيحًا من كتاب
الله عزّ وجلّ اذ يقول مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا
مِنْ زِينَةِ ٱلْقَوْمِ (١) فضحك من حضر وكُلّفتُ ان اقول فى ذلك شيئًا فقلت

وَ جَرْحُكَ لِى جَرْحٌ جُبَارٌ فَلَا تَلُمْ * وَ لَكِنَّ جُرْحَ الحُبِّ غَيْرُ جُبَارِ ٢٠
وَ قَدْ صَارَتِ ٱلْخِيلَانُ وَسْطَ بَيَاضِهِ * كَنَيْلُوفَرٍ حَفَّتْهُ رَوْضُ بَهَارِ
وَ كَمْ قَالَ لِى مَنْ مُتُّ وَجْدًا بِحُبِّهِ * مَقَالَةَ مَحْلُولِ المَقَالَةِ زَارِى 116b
وَ قَدْ كَثُرَتْ مِنِّى إِلَيْهِ مَطَالِبٌ * أُلِحُّ عَلَيْهِ تَارَةً وَ أُدَارِى
أَمَا فِى ٱلتِوَآئِى مَا يُبَرِّدُ غُلَّةً (٢) * وَ يُذْهِبُ شَوْقًا فِى ضُلُوعِكَ سَارِى ٢٤

---

(١) 20, 90. (٢) MS sur la marge. لوعة.

فَقُلْتُ لَهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ تَكُنْ * عَدَاوَةُ جَارٍ فِى ٱلْأَنَامِ لِجَارِ
وَ قَدْ نَتَرَآءَى العَسْكَرَانِ لَدَا الوَغَى * وَبَيْنَهُمَـا لِلْمَوْتِ سُبْلُ بَوَارِ

ولى كلمتان قلتهما معرّضًا بل مصرّحًا برجل من اصحابنا كنّا نعرفه كلّنا من
اهل الطلب والعناية والورع وقيام الليل واقتفاء آثار النسّاك وسلوك مذاهب
المتصوّفين القدماء باحثًا مجتهدًا ولقـد كنّا نتجنّب المزاح بحضرته فلم يمض ٥
الزمن حتى مكّن[١] الشيطان من نفسه و فُتك بعد لباس النسّاك وملّك
ابليس من خطامه فسوّل له الغرور وزيّن له الويل والثبور و اجرّه رسنه
بعد اباء واعطاه ناصيته بعد شماس فخبّ فى طاعته واوضع واشتهر بعد ما
ذكرته فى بعض المعاصى القبيحة الوضرة ولقد اطلت ملامه وتشدّدت فى
عذله اذ اعلن بالمعصية بعد استتار الى ان افسد ذلك ضميره علىّ و ١٠
117a خبثت نيّته لى وتربّص فى الدوائر السوء وكان بعض اصحابنا يساعده
بالكلام استجرارًا اليه فيأنس به ويظهر له عداوتى الى ان اظهر الله سريرته
فعلمها البادى والحاضر وسقط من عيون الناس كلهم بعد ان كان مقصدًا
للعلماء ومنتابًا للفضلاء[٢] ورذل عند اخوانه جملةً اعاذنـا الله من البلاء
و سترنا فى كفايته و لا سلبنا ما بنا من نعمتـه فيأسوءتاه[٣] لمن بدأ ١٥
بالاستقامة ولم يعلم انّ الخذلان يحلّ به وانّ العصمة ستفارقـه لا اله الاّ
الله ما اشنع هذا و افظعه لقد دهمته احدى بنات الحرس والقت عصاها
به أمّ طبق من كان لله اوّلاً ثم صار للشيطان آخرًا ومن احدى الكلمتين

أَمَّا الغُلَامُ فَقَـدْ حَانَتْ فَضِيحَتُهُ * وَإِنَّهُ كَانَ مَسْتُورًا فَقَـدْ هُتِكَا
مَا زَالَ يَضْحَكُ مِنْ أَهْلِ الهَوَى عَجَبًا * فَالْآنَ كُلُّ جَهُولٍ مِنْهُ قَدْ ضَحِكَا ٢٠
إِلَيْكَ لَا تَلْحُ صَبًّا هَائِمًا كَلِفًا * يَرَى التَّهَتُّكَ فِى دِينِ الهَوَى نُسُكَا
قَدْ كَانَ دَهْرًا يُعَانِى النُّسْكَ مُجْتَهِدًا * يُعَدُّ فِى نُسْكِهِ كُلُّ امْرِءٍ نَسَكَا
ذُو مَخْبَرٍ وَ كِتَـابٍ لَا يُفَارِقُـه * نَحْوَ المُحَدِّثِ يَسْعَى حَيْثُ مَا سَلَكَا

---

(١) MS مكن. (٢) MS les deux mots peu clairs. (٣) Cf. Dozy, Supplément, I, 698, 1.

فَٱعْتَاضَ مِنْ سُمْرِ أَقْلَامٍ بَنَانَ فَتًى * كَأَنَّهُ مِنْ لُجَيْنٍ صِيغَ أَوْ سُبِكَا

117b يَا لَائِمِى سَفَهًا فِى ذَاكَ قِلَّ فَلَمْ * تَشْهَدْ جَبِينَيْنِ يَوْمَ ٱلْمُلْتَقَى ٱشْتَبَكَا

دَعْنِى وَ وِرْدِى فِى ٱلآبَارِ أَطْلُبُهُ * إِلَيْكَ عَنِّى كَذَا لَا أَبْتَغِى ٱلْبَرَكَا

إِذَا تَعَفَّفْتَ عَفَّ ٱلْحُبُّ عَنْكَ وَإِنْ * تَرَكْتَ يَوْمًا فَإِنَّ ٱلْحُبَّ قَدْ تَرَكَا

وَلَا تَحُلُّ مِنَ ٱلْهِجْرَانِ مُنْعَقِدًا * إِلَّا إِذَامَا حَلَلْتَ ٱلإِزْرَ وَٱلتِّكَكَا[1] ٥

وَلَا تُصَحِّحُ لِلسُّلْطَانِ مَمْلَكَةً * أَوْ تَدْخُلُ ٱلْبُرْدُ عَنْ إِنْفَاذِهِ[2] ٱلسِّكَكَا

وَلَا بِغَيْرِ كَثِيرِ ٱلْمَسْحِ يَذْهَبُ مَا * يَعْلُو ٱلْحَدِيدَ مِنَ ٱلإِصْدَآءِ إِنْ سُبِكَا

وكان هذا المذكور من اصحابنا قد احكم القرآآت احكامًا جيّدًا واختصر كتاب الانباريّ فى الوقف والابتدآء اختصارًا حسنًا اعجب به من رآه من المقرئين وكان دائبًا على طلب الحديث وتقييده واكثر ذهنه هو المتولّى ١٠ لقرآءة ما يسمعه على الشيوخ المحدّثين مثابرًا على النسخ مجتهدًا به فلما أُمتحن بهذه البليّة مع بعض الغلمان رفض ما كان معتنيًا به وباع اكثر كتبه واستحال استحالةً كلّيّةً نعوذ بالله من الخذلان وقلت فيه كلمةً وهى التالية للكلمة التى ذكرت منها فى اوّل خبره ثم تركتها وقد ذكر ابو الحسين احمد بن يحيى بن اسحق الرويديّ فى كتاب اللفظ والاصلاح انّ ابرهيم ١٥ 118a ابن سيّار النظّام رأس المعتزلة مع علوّ طبقته فى الكلام و تمكّنه و تحكّمه فى المعرفة تسبّب الى ما حرّم الله عليه من فتى نصرانىّ عشقه بان وضع له كتابًا فى تفضيل التثليث على التوحيد فيا غوثاهْ عياذك يا ربّ من توثّج الشيطان و وقوع الخذلان وقد يعظم البلآء وتكلب الشهوة و يهون القبيح و يرقّ الدين حتى يرضى الانسان فى جنب وصوله الى مراده بالقبائح ٢٠ والفضائح كمثل ما دهم عبيد الله بن يحيى الازديّ المعروف بابن الجزيريّ فانّه رضى باهمال داره واباحة حريمه والتعريض باهله طمعًا فى الحصول على بغيته من فتىً كان علقه نعوذ بالله من الضلال ونسأله الحياطة و تحسين آثارنا واطابة اخبارنا حتى لقد صار المسكين حديثًا تعمر به المحافل وتصاغ ٢٤

---

(١) Cf. Dozy, Suppl. I, 149, 2 et Vêtem. 95—99. (٢) MS انفاده.

فيه الاشعار وهو الذى تسمّيه العرب الديّوث وهو مشتقّ من التديبث وهو
التسهيل وما بعد تسهيل من تسمّح نفسه بهذا الشأن تسهيل ومنه بعير
مديّث اىّ مذلّل ولعمرى انّ الغيرة لتوجد فى الحيوان بالخلقة فكيف وقد
118b اكّدتها عندنا الشريعة وما بعد هذا مصاب ولقد كنت اعرف هذا
المذكور مستورًا الى ان استهواه الشيطان ونعوذ بالله من الخذلان وفيه ٥
يقول عيسى بن محمّد بن محمّل الحولانىّ

يَا جَاعِلاً إِخْرَاجَ حُرِّ نِسَآئِه * شَرَكًا لِصَيْدِ جَآذِرِ الغِزْلَانِ
إِنِّي أَرَى شَرَكًا يُمَزَّقُ ثُمَّ لَا * تَحْظَى بِغَيْرِ مَذَلَّةِ الحِرْمَانِ

واقول انا ايضًا

أَبَاحَ أَبُو مَرْوَانَ حُرَّ نِسَآئِه * لِيَبْلُغَ مَا يَهْوَى مِنَ ٱلرَّشَإِ الفَرْدِ ١٠
فَعَاتَبْتُهُ الدَّيُّوثَ فِي قُبْحِ فِعْلِه * فَأَنْشَدَنِي إِنْشَادَ مُسْتَبْصِرٍ جَلْدِ
لَقَدْ كُنْتُ أَدْرَكْتُ المُنَى غَيْرَ أَنَّنِي * يُعَيِّرُنِي قَوْمِي بِإِدْرَاكِهَا وَحْدِي

واقول ايضًا

رَأَيْتُ الجَزِيرِيَّ فِيمَا يُعَانِي * قَلِيلَ الرَّشَادِ كَثِيرَ السَّفَاهِ
يَبِيعُ وَيَبْتَاعُ عِرضًا بِعِرْضٍ * أُمُورٌ وَجَدِّكَ ذَاتُ ٱشْتِبَاهِ ١٥
وَيَأْخُذُ مِيمًا[1] بِإِعْطَآءِ هَاءٍ * أَلَا هٰكَذَا فَلْيَكُنْ ذُو النَّوَاهِي
وَيَبْدُلُ[2] أَرْضًا تُغَذِّى النَّبَاتَ * بِأَرْضٍ تُحَفُّ بِشَوْكِ العِضَاهِ
لَقَدْ خَابَ فِي تَجْرِهِ ذُو ٱبْتِيَاعٍ * مَهَبَّ الرِّيَاحِ بِمَجْرَى المِيَاهِ

119a ولقد سمعته فى المسجد الجامع يستعيذ بالله من العصمة كما يستعاذ به من
الخذلان وممّا يشبه هذا انّى اذكر انّى كنت فى مجلس فيه اخوان لنا عند ٢٠
بعض مياسير اهل بلدنا فرأيت بين بعض من حضر وبين من كان
بالحضرة ايضًا من اهل صاحب المجلس امرًا انكرته وغمزًا استبشعته و
خلوات الحين بعد الحين وصاحب المجلس كالغائب او النائم فنبّهته ٢٢

---

(1) MS. peu clair. (2) MS. يبذل.

بالتعريض فلم ينتبه و حرّكته بالتصريح فلم يتحرّك فجعلت أكرّر عليه بيتين
قديمين لعلّه يفطن وهما هذان

إِنَّ إِخْوَانَهُ المُقِيمِينَ بالأَمْـــسِ أَتَوْا لِلزِّنَآءِ لَا لِلْغِنَآءِ
قَطَعُوا أَمْرَهُمْ وَأَنْتَ حِمَارٌ * مُوقَرٌ مِنْ بَلَادَةٍ وَ عَيَآءِ

وأكثرت من انشادهنّ حتى قال لى صاحب المجلس قد امللتنا من سماعها ٥
فتفضّل بتركها او انشاد غيرها فامسكت وانا لا ادرى اغافل هو ام متغافل
وما اذكر انّى عدتُّ الى ذلك المجلس بعدها وقلت فيه قطعةً منها

أَنْتَ لَا شَكَّ أَحْسَنُ النَّاسِ ظَنًّا * وَ يَقِينًـا وَ نِيَّـةً وَ ضَمِيرَا
فَانْتَبِهْ إِنَّ بَعْضَ مَنْ كَانَ بالأَمْـــسِ جَلِيسًا لَنَا يُعَـانِى كَبِيرَا
لَيْسَ كُلُّ الرُّكُوعِ فَاعْلَمْ صَلَاةً * لَا وَ لَا كُلُّ ذِى لِحَاظٍ بَصِيرَا ١٠ 119b

وحدّثنى ثعلب بن موسى الكلاذانىّ قال حدّثنى سليمان بن احمد الشاعر
قال حدّثتنى امرأة اسمها هند كنت رأيتها فى المشرق وكانت قد حجّت خمس
حجّات وهى من المتعبّدات المجتهدات قال سليمان فقالت لى يابن اخى لا
تحسن الظنّ بامرأة قطّ فانّى اخبرك عن نفسى بمـا يعلمه الله عزّ وجلّ
ركبت البحر منصرفة من الحجّ وقد رفضتُ الدنيا وانا خامسة خمس نسوة ١٥
كلهنّ قد حججن وصرنا فى مركب فى بحر القلزم وفى بعض ملّاحى السفينـة
رجل مضمّر الخلق مديد القامة واسع الاكتاف حسن التركيب فرأيته
اوّل ليلةٍ قد اتى الى احدى صواحبى فوضع احليله فى يدهـا وكان ضخمًا
جدًّا فامكنت فى الوقت من نفسها ثم مرّ عليهنّ كلهنّ فى ليالٍ متواليات فلم
يبق له غيرهـا تعنى نفسها قالت فقلت فى نفسى لانتقمنّ منك فاخذت ٢٠
موسى وامسكتها بيدى فاتى فى الليل على جارى عادته فلما فعل كفعله فى
سائر الليالى سقطت الموسى عليه فارتاع وقام لينهض قالت فاشفقت عليـه
وقلت له وقد امسكته لا زلتَ او اخذ نصيبى منك قالت العجوز فقضى 120a
وطره واستغفر الله وانّ للشعرآء من لطف التعريض عن الكناية لعجباً و
من بعض ذلك قولى حيث اقول ٢٥

أَتَانِى وَمَآءُ المُزْنِ فِى الجَوِّ يُسْفَكُ * كَمَحْضِ لُجَيْنٍ إِذْ يُمَدُّ وَ يُسْبَكُ
هِلَالُ الدَّيَاجِى انْحَطَّ مِنْ جَوِّ أُفْقِهِ * فَقُلْ فِى مُحِبٍّ نَالَ مَا لَيْسَ يُدْرَكُ
وَكَانَ الَّذِى إِنْ كُنْتَ لِى عَنْهُ سَائِلاً * فَمَا لِى جَوَابٌ غَيْرَ أَنِّى أَضْحَكُ
لِفَرْطِ سُرُورِى خِلْتَنِى عَنْهُ نَائِمًا * فَيَا عَجَبًا مِنْ مُوقِنٍ يَتَشَكَّكُ

و اقول ايضًا قطعةً منها ٥

أَتَيْتَنِى وَ هِلَالُ الجَوِّ مُطَّلِعٌ * قُبَيْلَ قَرْعِ النَّصَارَى لِلنَّوَاقِيسِ
كَحَاجِبِ الشَّيْخِ عَمَّ الشَّيْبُ أَكْثَرَهُ * وَأَخْمَصِ الرِّجْلِ فِى لُطْفٍ وَتَقْوِيسِ
وَلَاحَ فِى الْأُفْقِ قَوْسُ اللهِ مُكْتَسِيًا * مِنْ كُلِّ لَوْنٍ كَأَذْنَابِ الطَّوَاوِيسِ

وانّ فيما يبدو الينا من تعادى المتواصلين فى غير ذات الله تعالى بعد
الالفة وتدابرهم بعد الوصال وتقاطعهم بعد المودّة وتباغضهم بعد المحبّة ١٠
و استحكام الضغائن وتاكّد السخائم فى صدورهم لكاشفًا ناهيًا لو صادف
120b عقولاً سليمةً وآرآء نافذةً وغرائم صحيحةً فكيف بما اعدّ الله لمن عصاه
من النكال الشديد يوم الحساب و فى دار الجزآء و من الكشف على رؤس
الخلائق يوم تذهل كل مرضعةٍ عمّا ارضعت و تضع كل ذات حمل حملها
وترى الناس بسكارى و ما هم بسكارى ولكنّ عذاب الله شديد جعلنا الله ١٥
ممّن يفوز برضاه ويستحقّ رحمته ولقد رأيت امرأة كانت مودّتها فى
غير ذات الله عزّ وجلّ فعهدتها اصفى من المآء والطف من الهوآء واثبت
من الجبال واقوى من الحديد واشدّ امتزاجًا من اللون فى الملوّن وانفذ
استحكامًا من الاعراض فى الاجسام واضوأ من الشمس واصحّ من العيان
واثقب من النجم واصدق من كدر القطا واعجب من الدهر واحسن من ٢٠
البرّ و اجمل من وجه ابى عامر والذّ من العافية واحلى من المنى وادنى من
النفس واقرب من النسب و ارسخ من النقش فى الحجر ثم لم البث ان رأيت
تلك المودّة قد استحالت عداوةً افظع من الموت وانفذ من السهم وامرّ من
السقم واوحش من زوال النعم واقبح من حلول النقم وامضى من عقم
121a الرياح واضرّ من الحمق وادهى من غلبة العدوّ واشدّ من الاسر واقسى ٢٥

من الصخر وابغض من كشف الاستار وانأى من الجوزآء واصعب من
معاناة السمآء واكبر من رؤية المصاب واشنع من خرق العادات واقطع
من فجأة البلآء وابشع من السمّ الذعاف و ما لا يتولّد مثله عن الدخول
والتراث وقتل الابآء وسبي الامّهات وتلك عادة الله فى اهل الفسق
القاصدين سواه الامّين غيره وذلك قوله عزّ وجلّ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا ٥
خَلِيلًا لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي(١) فيجب على اللبيب(٢)
الاستجارة بالله ممّا يورّط فيه الهوى فهذا خلف مولى يوسف بن قمقام القائد
المشهور كان احد القايمين مع هشام بن سليمان بن الناصر فلما اسر هشام
وقتل و هرب الذين وازروه فرّ خلف فى جملتهم و نجا فلما اتى القسطلات
لم يطق الصبر عن جاريـة كانت له بقرطبة فكرّ راجعًا فظفر بـه امير ١٠
المؤمنين المهدىّ فامر بصلبه فلعهدى به مصلوبًا فى المرج على النهر الاعظم
وكانّه القنفذ من النبل ولقد اخبرنى ابو بكر محمّد بن الوزير عبد الرحمن
1216 بن الليث رحمه الله انّ سبب هروبه الى محلّة البرابر ايام تحوّلهم مع سليمان
الظافر انّما كان لجارية يكلف بها تصيّرت عند بعض من كان فى تلك
الناحية ولقد كاد ان يتلف فى تلك السفرة وهذان الفصلان وان لم يكونا ١٥
من جنس الباب فانّهما شاهدان على ما يقود اليه الهـوى من الهلاك
الحاضر الظاهر الذى يستوى فى فهمه العالم والجاهل فكيف من العصمة
التى لا يفهمها من ضعفت بصيرته و لا يقولنّ امرؤٌ خلوتُ فهو وان انفرد
فبمرأى و مسمعٍ من علّام الغيوب الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور
وَيَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى(٣) وما يكون من نجوى ثلاثةٍ الاّ هو رابعهم و لا خمسةٍ الاّ ٢٠
هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الاّ هو معهم اينما كانوا وهو عليم
بذات الصدور و هو عالم الغيب والشهادة و يستخفون من الناس ولا
يستخفون من الله وهو معهم وقال وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ وَ نَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
بِهِ نَفْسُهُ وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ ٢٤

(١) 25, 30—31; MS بعد manque. (٢) MS البيب. (٣) 20, 6.

122a وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ[١] وليعلم المستخفّ بالمعاصى المتّكل على التسويف المعرض عن طاعة ربّه انّ ابليس كان فى الجنّة مع الملائكة المقرّبين فلمعصية واحـدة وقعت منه استحقّ لعنة الابد و عذاب الخلد وصيّر شيطانًا رجيمًا و أُبعد عن رفيع المكان و هذا آدم صلّى الله عليه وسلّم بذنب واحد أُخرج من الجنّة الى شقآء الدنيا ونكدها ولو ٥ لا انّه تلقّى من ربّه كلماتٍ وتاب عليه لكان من الهالكين افترى هذا المغترّ بالله ربّه وباملآئـه ليزداد اثمًا يظنّ انّه اكرم على خالقه من ابيه آدم الذى خلقه بيده ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته الذين هم افضل خلقه عنده او عقابه اعزّ عليه من عقوبته ايّاه كلّا ولكنّ استعذاب التمنّى واستيطآء مركب العجز و سخف الرأى قائدة اصحابها الى الوبال والخزى ولو ١٠ لم يكن عند ركوب المعصية زاجر من نهى الله تعالى و لا حامٍ من غليظ عقابه لكان فى قبيح الاحدوثة عن صاحبه و عظيم الظلم الواقع فى نفس فاعله[٢] اعظم مانع واشدّ رادع لمن نظر بعين الحقيقة واتبع سبيل الرشد فكيف والله عزّ وجلّ يقول وَ لَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ 122b وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَ ١٥ يَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا[٣] حدّثنا الهمدانىّ فى مسجد القمرىّ بالجانب الغربىّ من قرطبة سنة احدى واربعمأة حدّثنا ابن سبويه و ابو اسحق البلخىّ بخراسان سنة خمس وسبعين و ثلثمأة قالا ثنا محمّد بن يوسف ثنا محمّد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن سعيد ثنا جرير عن الاعمش عن ابى وائل عن عمرو بن شرحبيل قال قال عبد الله وهو ابن مسعود قال رجل يا رسول الله اىّ ٢٠ الذنب اكبر عند الله قال ان تدعوَ لله ندًّا وهو خلقك قال ثم اىّ قال ان تقتل ولدك ان يُطعَم معك قال ثم اىّ قال ان تزانى حليلة جارك فانزل الله تصديقها وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ[٤] الآية وقال عزّ وجلّ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى ٢٤

---

(١) 50, 15—17. (٢) MS فعله. (٣) 25, 68—69. (٤) 25, 68—69. Cf. plus haut.

فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِأَةَ جَلْدَةٍ وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللّٰهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللّٰهِ الآية[1] حدّثنا الهمدانىّ عن ابى اسحق البلخىّ وابن سبويه عن محمّد بن يوسف عن محمّد بن اسمعيل عن الليث عن
123a عقيل عن ابن شهاب الزهرىّ عن ابى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام وسعيد بن المسيّب المخزوميّين وابى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ٥
الزهرىّ انّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لا يزنى الزانى حين يـزنى و هو مؤمن وبالسند المذكور الى محمّد بن اسمعيل عن يحيى بن بكير عن الليث عن غقيل عن ابن شهاب عن ابى سلمة وسعيد بن المسيّب عن ابى هريرة قال اتى رجل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو فى المسجد فقال يا رسول الله انّى زنيت فأعرض عنه ثم ردّ عليه اربع مرّات فلما شهد على ١٠
نفسه اربع شهادات دعاه النبىّ صلّى الله عليه وسلّم فقال أَبِكَ جنون قال لا قال فهل احصنت قال نعم فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم اذهبوا به فارجموه قال ابن شهاب فاخبرنى من سمع جابر بن عبد الله قال كنت فيمن رجمه فرجمناه بالمصلّى فلما اذلقته الحجارة هرب فادركناه با الحرّة فرجمناه حدّثنا ابو سعيد مولى الحاجب جعفر فى المسجد الجامع بقرطبة عن ابى بكر المقرئ عن ١٥
ابى جعفر بن النحّاس عن سعيد بن بشر عن عمر بن رافع عن منصور عن
123b الحسن عن حطّان بن عبد الله الرقاشىّ عن عبادة بن الصامت عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه قال خذوا عنّى خذوا عنّى قد جعل الله لهنّ سبيلا البكر بالبكر جلد وتغريب سنةٍ والثيّب بالثيّب جلد مأـــة والرجم فيا لشنعة ذنب انزل الله وحيه مبيناً بالتشهير بصاحبه والعنف بفاعله ٢٠
والتشديد لمقترفه و تشدّد فى ان لا يرجم الاّ بحضرة اوليائــه عقوبة رجمه وقد اجمع المسلمون اجماعاً لا ينقضه الاّ ملحدان الزانى المحصن عليه الرجم حتى يموت فيا لها قتلةً ما اهولها وعقوبةً ما افظعها و اشدّ عذابها وابعدها من الاراحة وسرعة الموت وطوائف من اهل العلم منهم الحسن بن ابى ٢٤

---

(1) 24, 2

الحسن وابن راهويه وداود و اصحابه يرون عليه مع الرجم جلد مائة ويحتجّون عليه بنصّ القرآن وثبات السنّة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبفعل علىّ رضى الله عنه بانّه رجم امرأةً محصنةً فى الزنا بعد ان جلدها مائة وقال جلدتُها بكتاب الله و رجمتُها بسنّة رسول الله والقول بذلك لازم لاصحاب الشافعىّ لانّ زيادة العدل فى الحديث مقبولة وقد صحّ فى ٥
124a اجماع الامّة المنقول بالكافّة الذى يصحبه العمل عند كل فرقة و فى اهل كل نحلة من نحل اهل القبلة حاشى طائفة يسيرة من الخوارج لا يعتدّ بهم انّه لا يحلّ دم امرء مسلم الاّ بكفر بعد ايمان او نفس بنفسٍ او بمحاربة للّه و رسوله يشهر فيها سيفه و يسعى فى الارض فسادًا مقبلاً غير مدبرٍ وبالزنا بعد الاحصان فانّ حدّ ما جعل الله مع الكفر بالله عزّ وجلّ ١٠ ومحاربته وقطع حجّته فى الارض ومنابذته دينه لجرم كبير و معصية شنعآء والله تعالى يقول إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّآتِكُمْ(١) وَ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَآئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلاَّ ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ(٢) وان كان اهل العلم اختلفوا فى تسميتها فكلهم مجمع مهما اختلفوا فيه منها انّ الزنا يقدم فيها لا اختلاف بينهم فى ذلك و لم يوعد الله عزّ ١٥ وجلّ فى كتابه بالنار بعد الشرك الاّ فى سبع ذنوب وهى الكبائر الزنا احدها وقذف المحصنات ايضًا منها منصوصًا ذلك كله فى كتاب الله عزّ وجلّ وقد ذكرنا انّه لا يجب القتل على احد من ولد آدم الاّ فى الذنوب الاربعة التى قد تقدّم ذكرها فامّا الكفر منها فان عاد صاحبه الى الاسلام او بالذمّة ان لم يكن مرتدًّا قُبل منه ودُرئ عنه الموت وامّا القتل فان ٢٠
124b قبل الوَلِىُّ الدية فى قول(٣) بعض الفقهآء او عفا فى قول جميعهم سقط عن القاتل القتل بالقصاص وامّا الفساد فى الارض فان تاب صاحبه قبل ان .....(٤) هدر عنه القتل ولا(٣) سبيل فى قول احد موالف او مخالف فى ترك رجم المحصن ولا وجه لرفع الموت عنه البتّة وممّا يدلّ على شنعة الزنا ٢٤

(١) 4, 35. (٢) 53, 33. (٣) MS très effacé. (٤) MS illisible.

ما حدّثنا القاضى ابو عبد الرحمن ثنآ القاضى ابو عيسى عن عبد الله بن
يحيى عن ابيه يحيى بن يحيى عن الليث عن الزهرىّ عن القاسم بن محمّد بن
ابى بكر عن عبيد بن عمير انّ عمر بن الخطّاب رضى الله عنه اصاب فى
زمانه ناسًا من هذيل فخرجت جارية منهم فاتبعها رجل يريدها عن نفسها فرمته
بحجر ففضّت كبده فقال عمر هذا قتيل الله والله لا يودى ابدًا وما جعل ٥
الله عزّ وجلّ فيه اربعة شهودٍ و فى كل حكم شاهدين الّا حياطةً منه الّا
تشيع الفاحشة فى عباده لعظمها وشنعتها وقبحها وكيف لا تكون شنيعة ومن
قذف بها اخاه المسلم او اخته المسلمة دون صحّة علم او تيقّن معرفة فقد اتى
كبيرة من الكبائر استحقّ عليها النار غدًا و وجب عليه بنصّ التنزيل ان
125a تضرب بشرته ثمانين سوطًا وملك رضى الله عنه يرى ان لا يؤخذ فى شىء ١٠
من الاشيآء حدٌّ بالتعريض دون التصريح الّا فى قذف و بالسند المذكور
عن الليث بن سعد عن يحيى بن سعيد عن محمّد بن عبد الرحمن عن امّه
عمرة بنت عبد الرحمن عمر بن الخطّاب رضى الله عنه انّه امر ان يجلد
الرجل قال لآخر ما ابى بزانٍ و لا امّى بزانيةٍ فى حديث طويل وباجماع
من الامّة كلها دون خلاف من احد نعلمه انّه اذا قال رجل لآخر ١٥
يا كافر او يا قاتل النفس التى حرّم الله لما وجب عليه حدٌّ احتياطًا من
الله عزّ و جلّ الّا يثبت هذه العظيمة فى مسلم و لا مسلمة و من قول ملك
رحمه الله ايضًا انّه لا حدّ فى الاسلام الّا والقتل يُغنى عنه و ينسخه الّا
حدّ القذف فانّه ان وجب على من قد وجب عليه القتل حُدّ ثم قُتل قال
الله تعالى وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ٢٠
ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَآئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ إِلَّا
ٱلَّذِينَ تَابُوا(١) الآية وقال تعالى إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ
ٱلْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٢) و روى عن
125b رسول الله صلّى الله عليه و سلّم انّه قال الغضب واللعنة المذكورين فى ٢٤

(١) 24, 4. (٢) 24, 23.

اللعان انّهما موجبتان[١] حدّثنا الهمدانيّ عن ابى اسحق عن محمّد بن يوسف عن محمّد بن اسمعيل عن عبد العزيز بن عبد الله قال ثنآ سليمان عن ثور بن يزيد عن ابى الغيث عن ابى هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انّه قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا وما هنّ يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرّم الله الاّ بالحقّ واكل الربا واكل مال اليتيم ٥ والتولّى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات و انّ فى الزنا من اباحة الحريم وافساد النسل والتفريق بين الازواج الذى عظّم الله امره ما لا يهون على ذى عقل او من له اقلّ خلاقٍ ولو لا مكان هذا العنصر من الانسان وانّه غير مأمون الغلبة لما خفّف الله عن البكرين وشدّد على المحصنين وهذا عندنا وفى جميع الشرائع القديمة النازلة من عند الله عزّ ١٠ و جلّ حكمًا باقيًا لم ينسخ و لا ازيل فيترك الناظر لعباده الذى لم يشغله عظيم ما فى خلقه و لا يحيف[٢] قدرته كبير ما فى عوالمه عن النظر لحقير ما 126a فيها فهو كما قال عزّ و جلّ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَ لَا نَوْمٌ[٣] وقال يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا[٤] عَالِمُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ[٥] ١٥ و انّ اعظم ما ياتى بـه العبد هتك ستر الله عزّ وجلّ فى عباده وقد جآء فى حكم ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى ضربه الرجل الذى ضمّ صبيًّا حتى امنى ضربًا كان سببًا للمنيّة ومن اعجاب ملك رحمه الله باجتهاد الامير الذى ضرب صبيًّا مكّن رجلاً من تقبيله حتى امنى الرجل ضربه الى ان مات ما ينسى شدّة دواعى هذا الشأن واسبابه والتزيّد فى الاجتهاد ٢٠ وان كنّا لا نراه فهو قول كثير من العلمآء يتبعه على ذلك عالم من الناس وامّا الذى نذهب اليه فالّذى حدّثناه الهمدانى عن البلخىّ عن البخارىّ عن الفريرىّ عن البخارىّ قال ثنآ يحيى بن سليمان ثنآ ابن وهب قال

(١) MS peu sûr. (٢) MS لحف. (٣) 2, 256. (٤) 34, 2.
(٥) Cf. 10, 62.

اخبرنى عمرو انّ بكيرًا حدّثه عن سليمان بن يسار عن عبد الرحمن بن
جابر عن ابيه عن ابى بردة الانصارىّ قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه
و سلّم يقول لا يُجلد فوق عشرة اسواط الاّ فى حدّ من حـدود الله عزّ
وجلّ وبه يقول ابو جعفر محمّد بن علىّ النسائى الشافعىّ رحمه الله وامّا 126b
فعل قوم لُوطٍ فشنيع بشيع قال الله تعالى أَ تَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا
مِنْ أَحَدٍ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ[1] وقد قذف الله فاعليه بحجارة من طين مسوّمة
ومالك رحمه الله يرى على الفاعل والمفعول به الرجم احصنا او لم يحصنا
واحتجّ بعض المالكيّين فى ذلك بانّ الله عزّ وجلّ يقول فى رجمه فاعليه
با لحجارة وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ[2] فوجب بهذا انّه من ظلم الآن بمثل
فعلهم قربت منه والخلاف فى هذه المسألة ليس هـذا موضعه وقـد ذكر ١٠
ابو اسحق ابرهيم بن السرىّ انّ ابا بكرٍ رضى الله عنه احرق فيه بالنار و
ذكر ابو عبيدة معمر بن المثنّى اسم المحرَق فقال هو شجاع بن ورقاء الاسدىّ
احرقه بالنار ابو بكر الصديق لانّه يؤتى فى دبره كما تؤتى المرأة وانّ عن
المعاصى لمذاهب للعاقل واسعة فما حرّم الله شيئًا الاّ و قـد عوّض عباده
من الحلال ما هو احسن من المحرّم وافضل لا اله الاّ هو واقول فى النهى ١٥
عن اتباع الهوى على سبيل الوعظ

أَقُولُ لِنَفْسِى مَا مُبِينٌ كَحَالِكٍ * وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَ ٱبْنُ هَالِكِ
صُنِ ٱلنَّفْسَ عَمَّا عَابَهَا وَ ٱرْفُضِ ٱلْهَوَى * فَإِنَّ ٱلْهَوَى مِفْتَاحُ بَابِ ٱلْمَهَالِكِ
رَأَيْتُ ٱلْهَوَى سَهْلَ ٱلْمَبَادِى لَذِيذَهَا * وَ عُقْبَاهُ مُرُّ ٱلطَّعْمِ ضَنْكُ ٱلْمَسَالِكِ 127a
فَمَا لَذَّةُ ٱلْإِنْسَانِ وَ ٱلْمَوْتُ بَعْدَهَـا * وَلَوْ عَاشَ ضِعْفَىْ عُمْرِ نُوحِ بْنِ لَامِكِ ٢٠
فَلَا تَتَّبِعْ[3] دَارًا قَلِيـلًا لَبَاثُهَـا * فَقَدْ أَنْذَرَتْنَا بِٱلْفَنَاءِ ٱلْمَوَاشِكِ
وَ مَا تَرْكُهَا إِلَّا إِذَا هِىَ أَمْكَنَتْ * وَ كَمْ تَارِكٍ إِضْمَارُهُ غَيْرُ تَارِكِ
فَمَا تَارِكُ ٱلْآمَالِ عُجْبًا جُؤَاذِرًا * كَتَارِكِهَا ذَاتِ ٱلضُّرُوعِ ٱلْحَوَاشِكِ
وَمَا قَابِلُ ٱلْأَمْرَ ٱلَّذِى كَانَ رَاغِبًا * بِشَهْوَةِ مُشْتَاقٍ وَ عَقْلِ مُبَارَكِ ٢٤

(١) 7, 78. (٢) 11, 84. (٣) MS تتبيع.

لأجْدَى عِبَادَ ٱللهِ بِٱلفوزِ عِنْدَهُ * لَدَا جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ فَوْقَ ٱلأَرَائِكِ
وَمَنْ عَرَفَ الأَمْرَ ٱلَّذِى هُوَ طَالِبٌ * رَأَى سَبَبًا مَا فِى يَدَىْ كُلِّ مَالِكِ
وَ مَنْ عَرَفَ الرَّحْمٰنَ لَمْ يَعْصِ أَمْرَهُ * وَلَوْ أَنَّهُ يُعْطِى جَمِيعَ المَمَالِكِ
سَبِيلُ التُّقَى وَ النُّسْكِ خَيْرُ المَسَالِكِ * وَ سَالِكُهَا مُسْتَبْصِرٌ خَيْرُ سَالِكِ
فَمَا فَقَدَ التَّنْغِيصَ مَنْ عَاجَ دُونَهَا * وَ لَا طَابَ عَيْشٌ لِأَمْرِءٍ غَيْرِ مَاسِكِ ٥
وَ طُوبَى لِأَقْوَامٍ يَؤُمُّونَ نَحْوَهَا * بِخِفَّةِ أَرْوَاحٍ وَ لِينِ عَرَائِكِ
لَقَدْ فَقَدُوا غِلَّ النُّفُوسِ وَ فُضِّلُوا * بِعِزِّ سَلَاطِينٍ وَ أَمْنِ صَعَالِكِ
فَعَاشُوا كَمَا شَاءُوا وَمَاتُوا كَمَا ٱشْتَهَوْا * وَ فَازُوا بِدَارِ الخُلْدِ رَحْبِ المَبَارِكِ
عَصَوْا طَاعَةَ ٱلأَجْسَادِ فِى كُلِّ لَذَّةٍ * بِنُورٍ مَحَلِّ ظُلْمَةِ الغَىِّ هَاتِكِ
127b فَلَوْ لَا ٱعْتِدَاءُ الجِسْمِ أَيْقَنْتَ أَنَّهُمْ * يَعِيشُونَ عَيْشًا مِثْلَ عَيْشِ المَلَائِكِ ١٠
فَيَا رَبِّ قَدِّمْهُمْ وَ زِدْ فِى صَلَاحِهِمْ * وَ صَلِّ عَلَيْهِمْ حَيْثُ حَلُّوا وَ بَارِكِ
وَيَا نَفْسُ جِدِّى لَا تَمَلِّى وَ شَمِّرِى * لِنَيْلِ سُرُورِ الدَّهْرِ فِيمَا هُنَالِكِ
وَأَنْتِ مَتَى دَمَّرْتِ سَعْيَكِ فِى الهَوَى * عَلِمْتِ بِأَنَّ الحَقَّ لَيْسَ كَذَلِكِ
فَقَدْ بَيَّنَ ٱللهُ الشَّرِيعَةَ لِلْوَرَى * بِأَبْيَنَ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ
فَيَا نَفْسُ جِدِّى فِى خَلَاصِكِ وَٱنْفُذِى * نَفَاذَ السُّيُوفِ المُرْهَفَاتِ البَوَاتِكِ ١٥
فَلَوْ أَعْمَلَ النَّاسُ التَّفَكُّرَ فِى ٱلَّذِى * لَهُ خُلِقُوا مَا كَانَ حَىٌّ بِضَاحِكِ

بَابُ فَضْلِ التَّعَفُّفِ

و من افضل ما يأتيه الانسان فى حبّه التعفّف وترك ركوب المعصية والفاحشة وان لا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم فى دار المقامة وان لا يعصى مولاه المتفضّل عليه الذى جعله مكانًا و اهلاً لامره و نهيه وارسل ٢٠ اليه رسله وجعل كلامه ثابتًا لديه عنايةً منه بنا واحسانًا الينا وانّ من هام قلبه وشُغِل باله واشتدّ شوقه وعظم وجده ثم ظفر فرام هواه ان يغلب عقله 128a وشهوته وان يقهر دينه ثم اقام العدل لنفسه حصنًا وعلم انّها النفس الامّارة

بالسوء وذكّرها بعقاب الله تعالى وفكّر فى اجترائه على خالقه وهو يراه وحذّرها من يوم المعاد والوقوف بين يدى الملك العزيز الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذى لا يحتاج الى بيّنة ونظر بعين ضميره الى انفراده عن كل مدافع بحضرة علّام الغيوب ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (١) ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَوَاتُ﴾ (٢) ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ ٥ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ (٣) يوم ﴿عَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (٤) يوم ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (٥) يوم الطامّة الكبرى ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَ بُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ ١٠ عَنِ ٱلْهَوَى فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَى﴾ (٦) واليوم الذى قال الله تعالى فيه ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا 128b ٱقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ (٧) عندها يقول العاصى يا ويلتى ﴿مَا لِهَٰذَا ٱلْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ (٨) فكيف بمن طوى قلبه على احرّ من جمر الغضا وطوى كشحه على احدّ من السيف وتجرّع غصصًا ١٥ امرّ من الحنظل وصرف نفسه كرهًا عن ما طمعت فيه وتيقّنت ببلوغه وتهيّأت له ولم يحل دونها حائل تحرىٌّ ان يسرّ غدا يوم البعث ويكون من المقرّبين فى دار الجزاء وعالم الخلود وان يامن روعات القيامة وهول المطّلع وان يعوّضه الله عن هذه القرحة الامن يوم الحشر حدّثني ابو موسى هارون بن موسى الطبيب قال رأيت شابًّا حسن الوجه من اهل قرطبة قد تعبّد و رفض ٢٠ الدنيا وكان له اخ فى الله قد سقطت بينهما مؤونة التحفّظ فزاره ذات ليلة وعزم على المبيت عنده فعرضت لصاحب المنزل حاجة الى بعض معارفه بالبعد عن منزله فنهض لها على ان ينصرف مسرعًا ونزل الشابّ فى داره ٢٢

(١) 26, 88—89. (٢) 14, 49. (٣) 3, 28. (٤) 20, 110. (٥) 18, 48.
(٦) 79, 34—41. (٧) 17, 14. (٨) 18, 47.

مع امرأته وكانت غايةً فى الحسن وتربًا للضيف فى الصبى فاطال ربّ
129a المنزل المقام الى ان مشى العسس ولم يمكنه الانصراف الى منزله فلما علمت
المرأة بفوات الوقت وانّ زوجها لا يمكنه المجىء تلك الليلة تاقت نفسها الى
ذلك الفتى فبرزت اليه و دعته الى نفسها ولا ثالث لهما الاّ الله عزّ وجلّ
فهمّ بها ثم ثاب اليه عقله وفكّر فى الله عزّ وجلّ فوضع اصبعه على السراج
فتفقّح ثم قال يا نفس ذوقى هذا واين هذا من نار جهنّم فهال المرأة ما رأت
ثم عاودته فعاودته الشهوة المركّبة فى الانسان فعاد الى الفعلة الاولى فانبلج
الصباح وسبابته قد اصطلمتها النار ا فتظنّ[1] بلغ هذا من نفسه هذا المبلغ
الاّ لفرط شهوة قد كلبت عليه او ترى انّ الله تعالى يضيع له هذا المقام كلاّ
انه لاكرم من ذلك واعلم ولقد حدّثتنى امرأة اثق بها انّها علقها فتًى ١٠
مثلها فى الحسن وعلقته وشاع القول عليهما فاجتمعا يومًا خاليين فقال هلمّى
نحقّق ما يقال فينا فقالت لا والله لا كان هذا ابدًا وانا اقرأ قول الله
ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ[2] قالت فما مضى قليل حتى
129b اجتمعنا فى حلال ولقد حدّثنى ثقة من اخوانى انه خلا يومًا بجارية كانت
له معارك فى الصبى فتعرّضت لبعض تلك المعانى فقال لها كلاّ انّ من شكر ١٥
نعمة الله فيما منحنى من وصالك الذى كان اقصى آمالى ان اجتنبَ هواى
لامره ولعمرى انّ هذا لغريب فيما خلا من الازمان فكيف فى مثل هذا
الزمان الذى قد ذهب خيره واتى شرّه وما اقدر فى هذه الاخبار وهى
صحيحة الاّ احد وجهين لا شكّ فيهما امّا طبع قد مال الى غير هذا الشأن
واستحكمت معرفته بفضل سواه عليه فهو لا يجيب دواعى الغزل فى كلمة و ٢٠
لا كلمتين و لا فى يوم و لا يومين ولو طال على هؤلآء الممتحنين ما امتحنوا
به لجادت طباعهم واجابوا هاتف الفتنة ولكنّ الله عصمهم بانقطاع السبب
المحرّك نظرًا لهم و علمًا فى ضمائرهم من الاستعاذة به من القبائح و استدعاء
الرشد لا اله الاّ هو وامّا بصيرة حضرت فى ذلك الوقت وخاطر تجرّد ٢٤

(١) MS. أفتظن   (٢) 43, 67.

انقمعت به طوالع الشهوة فى ذلك الحين لخيرٍ اراد الله عزّ وجلّ لصاحبه
جعلنا الله ممّن يخافــه ويرجوه امين وحدّثنى ابو عبد الله محمّد بن عمر
130a ابن مضاء عن رجال من بنى مروان ثقات يسندون الحديث الى ابى
العبّاس الوليد بن غانم انّه ذكر انّ الامام عبد الرحمن بن الحكم غاب
فى بعض غزواته شهورًا وثقّف القصر بابنه محمّد الذى ولى الخلافة بعده و ٥
رتّبه فى السطح وجعل مبيته ليلاً وقعوده نهارًا فيه ولم يأذن له فى الخروج
البتّة ورتّب معه فى كل ليلة وزيرًا من الوزرآء وفتىً من اكابر الفتيان
يبيتان معه فى السطح قال ابو العبّاس فاقام على ذلك مدّة طويلة وبعد
عهده باهله وهو فى سنّ العشرين او نحوها الى ان وافق مبيتى فى ليلتى
نوبة فتىً من اكابر الفتيان وكان صغيرًا فى سنّه و غايةً فى حسن وجهه ١٠
قال ابو العبّاس فقلت فى نفسى انّى اخشى الليلة على محمّد بن عبد الرحمن
الهلاك بمواقعة المعصية و تزيين ابليس واتباعه له قال ثم اخذتُ مضجعى
فى السطح الخارج ومحمّد فى السطح الداخل المطلّ على حرم امير المؤمنين
والفتى فى الطرف الثانى القريب من المطلع فظللت ارقبه و لا اغفل وهو
130b يظنّ انّى قد نمتُ ولا يشعر باطلاعى عليه قال فلما مضى هزيع من الليل ١٥
رأيته قد قام واستوى قاعدًا ساعةً لطيفةً ثم تعوّذ من الشيطان و رجع الى
منامه ثم قام بعد حين ولبس قميصه واستوفز ثم نزعه عن نفسه وعاد الى
منامه ثم قام الثالثة ولبس قميصه و دلّى رجليه من السرير وبقى كذلك
ساعةً ثم نادى الفتى باسمه فاجابه فقال له انزل عن السطح وابق فى
الفصيل الذى تحته فقام الفتى مؤتمرًا له فلما نزل قام محمّد واغلق الباب ٢٠
من داخله وعاد الى سريره قال ابو العبّاس فعلمت من ذلك الوقت انّ
للّه فيه مراد خير حدّثنا احمد بن محمّد بن الجسور عن احمد بن مطرّف
عن عبيد الله بن يحيى عن ابيه عن ملك عن حبيب بن عبد الرحمن
الانصاريّ عن حفص بن عاصم عن ابى هريرة عن رسول الله صلّى الله
عليه وسلّم انّه قال سبعة يظلّهم الله فى ظلّه يوم لا ظلّ الاّ ظلّه امام عادل ٢٥

وشابّ نشأ فى عبادة الله عزّ و جلّ و رجل قلبه معلّق بالمسجد اذا خرج
منه حتى يعود اليه و رجلان تحابّا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرّقا و رجل
131a ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه و رجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال
انّى اخاف الله و رجل تصدّق صدقة فاخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه
وانّى لاذكر انّى دُعِيت الى مجلس فيه بعض من تستحسن الابصار صورته وتألف ٥
القلوب اخلاقه للحديث والمجالسة دون منكر ولا مكروه فسارعتُ اليه وكان
هذا سحرًا فبعد ان صلّيت الصبح واخذت زيّى طرقنى فكرٌ فسنحت لى
ابيات ومعى رجل من اخوانى فقال لى ما هذا الاطراق فلم اجبه حتى اكملتها
ثم كتبتها و دفعتها اليه وامسكت عن المسير حيث كنت نويت ومن الابيات
أَرَاقَكَ حُسْنٌ غَيْبُهُ لَكَ تَأْرِيقُ * وَ تَبْرِيدُ وَصْلٍ سِرُّهُ فِيكَ تَحْرِيقُ ١٠
وَ قُرْبُ مَزَارٍ يَقْتَضِى لَكَ فُرْقَـةً * وَشِيكًا وَلَوْ لاَ ٱلْقُرْبُ لَمْ يَكُ تَفْرِيقُ
وَ لَذَّةُ طَعْمٍ مُعْقِبٍ لَكَ عَلْقَمًا * وَ صَابًا وَ فَسْحٌ فِى تَضَاعِيفِهِ ضِيقُ
ولو لم يكن جزآء ولا عقاب ولا ثواب لوجب علينا افناء الاعمار وانعاب
الابدان واجهاد الطاقـة واستنفاد الوُسع واستفراغ القوّة فى شكر الخالق
131b الذى ابتدأنا بالنعم قبل استئهالها وامتنّ علينا بالعقل الذى به عرفناه و ١٥
وهبنا الحواسّ والعلم والمعرفـة و دقائق الصناعات وصرّف لنا السموات
جارية بمنافعها و دبّرنا التدبير الذى لو ملكنا خلقنا لم نهتد اليه ولا نظرنا
لانفسنا نظره لنا وفضّلنا على اكثر المخلوقات وجعلنا مستودع كلامه ومستقرّ
دينه وخلق لنا الجنّة دون ان نستحقّها ثم لم يرض لعباده ان يدخلوها الّا
باعمالهم لتكون واجبة لهم قال الله تعالى جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ(١) ورشّدنا ٢٠
الى سبيلها وبصّرنا وجه ظلّها وجعل غاية احسانه الينا وامتنانه علينا حقًّا
من حقوقنا قِبَلَهُ و دينًا لازمًا له و شكرنا على ما اعطانا من الطاعة التى
رزقنا قواها واثابنا بفضله على تفضّله هذا كرم لا تهتدى اليه العقول ولا
يمكن ان تكيّفه الالباب ومن عرف ربّه ومقدار رضاه وسخطه هانت عنـده ٢٤

(١) 32, 17.

اللذّات الذاهبة والحطام الفانى فكيف وقد اتى من وعيده ما تقشعر لسماعه
132a الاجساد وتذوب له النفوس واورد علينا من عذابه ما لم ينته اليه امل فاين
المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم وما الرغبة فى لذّة ذاهبة لا تذهب الندامة
عنها ولا تفنى التباعة منها ولا يزول الخزى عن راكبها و الى كم هذا التمادى
وقد اسمعنا المنادى وكأنّ قد حدا بنا الحادى الى دار القرار فامّا الى جنّة ٥
وامّا الى نار ألاَ انّ التثبّط فى هذا المكان لهو الضلال المبين و فى ذلك اقول

أَقْصَرَ عَنْ لَهْوِهِ وَ عَنْ طَرَبِـهْ * وَ عَفَّ فِى حُبِّهِ وَ فِى عُرُبِهْ
فَلَيْسَ شُرْبُ المُدَامِ هِمَّتَـهُ * وَ لاَ ٱقْتِضَاضُ الظِّبَآءِ مِنْ إِرَبِهْ
قَدْ آنَ لِلْقَلْبِ أَنْ يُفِيقَ وَأَنْ * يُزِيلَ مَا قَدْ عَلاَهُ مِنْ حُجُبِهْ
أَلْهَاهُ عَمَّا عَهِدْتُ يُعْجِبُهُ * خِيفَةُ يَوْمٍ تُبْلَى السَّرَائِرُ بِهْ ١٠
يَا نَفْسُ جِدِّى وَ شَمِّرِى وَ دَعِى * عَنْكِ ٱتِّبَاعَ الهَوَى عَلَى لَعِبِهْ
وَ سَارِعِى فِى النَّجَاةِ وَٱجْتَهِدِى * سَاعِيَةً فِى الخَلاَصِ مِنْ كُرَبِهْ
عَلِّىَ أَحْظَى بِالفَوْزِ فِيهِ وَ أَنْ * أَنْجُوَ مِنْ ضِيقِهِ وَ مِنْ لَهَبِهْ
يَا أَيُّهَا اللاَّعِبُ المُجِدُّ بِهِ الـدَّهْرُ أَمَـا تَتَّقِى شَبَا نُكَبِـهْ
كَفَاكَ مِنْ كُلِّ مَا وُعِظْتَ بِـهِ * مَا قَدْ أَرَاكَ الزَّمَانَ مِنْ عَجَبِـهْ ١٥
132b دَعْ عَنْكَ دَارًا تَفْنَى غَضَارَتُهَـا * وَ مَكْسَبًا لاَعِبًا بِمُكْتَسِبِـهْ
لَمْ يَضْطَرِبْ فِى مَحَلِّهَا أَحَـدٌ * إِلاَّ نَبَا حَدُّهَـا بِمُضْطَرِبِـهْ
مَنْ عَرَفَ ٱللّٰهَ حَقَّ مَعْرِفَـةٍ * لَوَى وَ حَلَّ الفُؤَادُ فِى رَهَبِهْ
مَا مُنْقَضِى المُلْكِ مِثْلُ خَالِـدِهِ * وَ لاَ صَحِيحُ التُّقَى كَمُؤْتَشِبِهْ
وَ لاَ تَقِىُّ الوَرَى كَفَـاسِقِهِمْ * وَلَيْسَ صِدْقُ الكَلاَمِ مِنْ كَذِبِهْ ٢٠
فَلَوْ أَمِنَّـا مِنَ ٱلعِقَـابِ وَ لَمْ * نَخْشَ مِنَ ٱللّٰهِ مُتَّقَى غَضَبِـهْ
وَ لَمْ نَخَفْ نَارَهُ ٱلَّتِى خُلِقَتْ * لِكُلِّ جَانِى الكَلاَمِ مُحْتَقِبِهْ
لَكَانَ فَرْضًا لُزُومُ طَاعَتِـهِ * وَ رَدُّ وَفْـدِ الهَوَى عَلَى عَقِبِـهْ
وَ صِحَّةُ الزُّهْدِ فِى البَقَآءِ وَ أَنْ * يَلْحَقَ تَفْنِيدُنَـا بِمُرْتَقِبِـهْ
فَقَدْ رَأَيْنَا فِعْلَ الزَّمَانِ بِأَهْـلِيهِ كَفِعْلِ الشُّوَاظِ فِى حَطَبِهْ ٢٥

كَمْ مُتْعَبٍ ...... مُهْجَتَهُ(1) * رَاحَتُهُ فِى الكَرِيهِ مِنْ تَعَبِهْ
وَ طَالِبٍ بِٱجْتِهَادِهِ زَهَرَ الدُّنْيَا عَدَاهُ المَنُونُ عَنْ طَلَبِهْ
وَ مُدْرِكٍ مَا ٱبْتَغَاهُ ذِى جَدَلٍ * حَلَّ بِهِ مَا يَخَافُ مِنْ سَبَبِهْ
وَبَاحِثٍ جَاهِدٍ لِبُغْيَتِهِ * فَإِنَّمَا بَحْثُهُ عَلَى عَطَبِهِ
٥ بَيْنَا تَرَى المَرْءَ سَامِيًا مَلِكًا * صَارَ إِلَى السُّفْلِ مِنْ ذُرَى رُتَبِهْ
كَٱلزَّرْعِ لِلرِّجْلِ فَوْقَهُ عَمَلٌ * إِنْ يَنَمْ حُسْنَ النُّمُوِّ فِى قَصَبِهْ 133a
كَمْ قَاطِعٍ نَفْسَهُ أَسًى وَ شَجًا * فِى إِثْرِ جَدٍّ يَجِدُّ فِى هَرَبِهْ
أَ لَيْسَ فِى ذَاكَ زَاجِرٌ عَجَبٌ * يَزِيدُ ذَا ٱللُّبِّ فِى حُلَى أَدَبِهْ
فَكَيْفَ وَ النَّارُ لِلْمُسِىءِ إِذَا * عَاجَ عَنِ ٱلْمُسْتَقِيمِ مِنْ عَقِبِهْ
١٠ وَيَوْمَ عَرْضِ الحِسَابِ يَفْضَحُهُ ٱللَّهُ وَ يُبْدِى ٱلْخَفِىَّ مِنْ رِيَبِهْ
مَنْ قَدْ حَبَاهُ ٱلْإِلٰهُ رَحْمَتَهُ * مَوْصُولَةً بِالمَزِيدِ مِنْ نِعَمِهْ
فَصَارَ مِنْ جَهْلِهِ يُصَرِّفُهَا * فِيمَا نَهَى ٱللَّهُ عَنْهُ فِى كُتُبِهْ
أَ لَيْسَ هٰذَا أَحْرَى ٱلعِبَادِ غَدًا * بِالوَقْعِ فِى وَيْلِهِ وَفِى حَرَبِهْ
شُكْرًا لِرَبٍّ لَطِيفٍ(2) قُدْرَتُهُ * فِينَا كَحَبْلِ الوَرِيدِ فِى كَثَبِهْ
١٥ رَازِقِ أَهْلِ الزَّمَانِ أَجْمَعِهِمْ * مَنْ كَانَ مِنْ عَجَمِهْ وَمِنْ عَرَبِهْ
وَ الحَمْدُ لِلَّهِ فِى تَفَضُّلِهِ * وَ قَمْعِهِ لِلزَّمَانِ فِى نُوَبِهْ
أَخْدَمَنَا ٱلْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ وَمَنْ * فِى الجَوِّ مِنْ مَائِهِ وَ مِنْ شُهُبِهْ
فَٱسْمَعْ وَ دَعْ مَنْ عَصَاهُ نَاحِيَةً * لَا يُحْمَلُ الحَمْلَ غَيْرُ مُحْتَطِبِهْ

واقول ايضًا

٢٠ أَعَارَتْكَ دُنْيَا مُسْتَرَدٌّ مُعَارُهَا * غَضَارَةَ عَيْشٍ سَوْفَ يَذْوِى ٱخْضِرَارُهَا
وَهَلْ يَتَمَنَّى المُحْكَمُ الرَّأْىِ عِيشَةً * وَ قَدْ حَانَ مِنْ دَهْمِ المَنَايَا مَزَارُهَا 133b
وَكَيْفَ تَلَذُّ العَيْنُ هَجْعَةَ سَاعَةٍ * وَ قَدْ طَالَ فِيمَا عَايَنَتْهُ ٱعْتِبَارُهَا
وَكَيْفَ تَقِرُّ النَّفْسُ فِى دَارِ نُقْلَةٍ * قَدِ ٱسْتَيْقَنَتْ أَنْ لَيْسَ فِيهَا قَرَارُهَا
٢٤ وَأَنَّى لَهَا فِى الأَرْضِ خَاطِرُ فِكْرَةٍ * وَ لَمْ تَدْرِ بَعْدَ المَوْتِ أَيْنَ مَحَارُهَا

(1) MS. لِلاَّ لَهُ.   (2) La mesure exacte du vers exigerait لَطِيفٍ.

أَلَيْسَ لَهَا فِى السَّعْىِ لِلْفَوْزِ شَاغِلٌ * أَمَا فِى تَوَقِّيهَا الْعَذَابَ ٱزْدِجَارُهَا

فَخَابَتْ نُفُوسٌ قَادَهَا لَهْوُ سَاعَةٍ * إِلَى حَرِّ نَارٍ لَيْسَ يُطْفَى أُوَارُهَا

لَهَا سَائِقٌ حَادٍ حَثِيثٌ مُبَادِرٌ * إِلَى غَيْرِ مَا أَضْحَى إِلَيْهِ مَدَارُهَا

تُرَادُ لِأَمْرٍ وَهْىَ تَطْلُبُ غَيْرَهُ * وَتَقْصِدُ وَجْهًا فِى سِوَاهُ سِفَارُهَا

أَمُسْرِعَةٌ فِيمَا يَسُوءُ قِيَامُهَا * وَقَدْ أَيْقَنَتْ أَنَّ الْعَذَابَ قُصَارُهَا ٥

تُعَطِّلُ مَفْرُوضًا وَتَغْنَى بِفَضْلَةٍ * لَقَدْ شَفَّهَا طُغْيَانُهَا وَٱغْتِرَارُهَا

إِلَى مَا لَهَا مِنْهُ الْبَلَاءُ سُكُونُهَا * وَعَمَّا لَهَا مِنْهُ النَّجَاحُ نِفَارُهَا

وَتُعْرِضُ عَنْ رَبٍّ دَعَاهَا لِرُشْدِهَا * وَتَتْبَعُ دُنْيَا جَدَّ عَنْهَا فِرَارُهَا

فَيَا أَيُّهَا الْمَغْرُورُ بَادِرْ بِرَجْعَةٍ * فَلِلَّهِ دَارٌ لَيْسَ تَخْمَدُ نَارُهَا

وَلَا تَتَخَيَّرْ فَانِيًا دُونَ خَالِدٍ * دَلِيلٌ عَلَى مَحْضِ الْعُقُولِ ٱخْتِيَارُهَا ١٠

أَتَعْلَمُ أَنَّ الْحَقَّ فِيمَا تَرَكْتَهُ * وَتَسْلُكُ سُبْلًا لَيْسَ يَخْفَى عَوَارُهَا

وَتَتْرُكُ بَيْضَاءَ الْمَنَاهِجِ ضَلَّةً * لِبَهْمَاءَ يُؤْذِى الرِّجْلَ فِيهَا عِثَارُهَا   134a

تَسُرُّ بِلَهْوٍ مُعْقِبٍ بِنَدَامَةٍ * إِذَا مَا ٱنْقَضَى لَا يَنْقَضِى مُسْتَثَارُهَا

وَتَفْنَى اللَّيَالِى وَالْمَسَرَّاتُ كُلُّهَا * وَتَبْقَى تِبَاعَاتُ الذُّنُوبِ وَعَارُهَا

فَهَلْ أَنْتَ يَا مَغْبُونُ مُسْتَيْقِظٌ فَقَدْ * تَبَيَّنَ مِنْ سِرِّ الْخُطُوبِ ٱسْتِتَارُهَا ١٥

فَعَجِّلْ إِلَى رِضْوَانِ رَبِّكَ وَٱجْتَنِبْ * نَوَاهِيَهُ إِذْ قَدْ تَجَلَّى مَنَارُهَا

يُجِدُّ(1) مُرُورَ الدَّهْرِ عَنْكَ بِلَاعِبٍ * وَتُغْرَى بِدُنْيَا سَاءَ فِيكَ سِرَارُهَا

فَكَمْ أُمَّةٍ قَدْ غَرَّهَا الدَّهْرُ قَبْلَنَا * وَهَاتِيكَ مِنْهَا مُقْفِرَاتٌ دِيَارُهَا

تَذَكَّرْ عَلَى مَا قَدْ مَضَى وَٱعْتَبِرْ بِهِ * فَإِنَّ الْمُذَكِّى لِلْعُقُولِ ٱعْتِبَارُهَا

تَحَامَى ذُرَاهَا كُلُّ بَاغٍ وَطَالِبٍ * وَكَانَ ضَمَانًا فِى الْأَعَادِى ٱنْتِصَارُهَا ٢٠

تَوَافَتْ بِبَطْنِ الْأَرْضِ وَٱنْشَتَّ شَمْلُهَا * وَعَادَ إِلَى ذِى مُلْكَةٍ ٱسْتِعَارُهَا

وَكَمْ رَاقِدٍ فِى غَفْلَةٍ عَنْ مَنِيَّةٍ * مُشَمِّرَةٍ فِى الْقَصْدِ وَهْوَ شِعَارُهَا

وَمَظْلَمَةٍ قَدْ نَالَهَا مُتَسَلِّطٌ * مُدِلٌّ بِأَيْدٍ عِنْدَ ذِى الْعَرْشِ ثَأْرُهَا

أَرَاكَ إِذَا حَاوَلْتَ دُنْيَاكَ سَاعِيًا * عَلَى أَنَّهَا بَادٍ إِلَيْكَ ٱزْوِرَارُهَا ٢٤

---

(1) MS يجدُ.

وَفِى طَاعَةِ الرَّحْمٰنِ يُقْعِدُكَ الوَنَا * وَتُبْدِى أَنَاةً لَا يَصِحُّ ٱعْتِذَارُهَا

تُحَاذِرُ إِخْوَانًا سَتَفْنَى وَتَنْقَضِى * وَتَنْسَى ٱلَّتِى فَرْضٌ عَلَيْكَ حِذَارُهَا

134b كَأَنِّى أَرَى مِنْكَ ٱلتَّبَرُّمَ ظَاهِرًا * مُبِينًا إِذَا ٱلأَقْدَارُ حَلَّ ٱضْطِرَارُهَا

هُنَاكَ يَقُولُ المَرْءُ مَنْ لِى بِأَعْصُرٍ * مَضَتْ كَانَ مِلْكًا فِى يَدَىَّ خِيَارُهَا

٥ تَنَبَّهْ لِيَوْمٍ قَدْ أَظَلَّكَ وِرْدُهُ * عَصِيبٍ يُوَافِى النَّفْسَ فِيهِ ٱحْتِضَارُهَا

تَبَرَّأَ فِيهِ مِنْكَ كُلُّ مُخَالِطٍ * وَإِنَّ مِنَ ٱلآمَالِ فِيهِ ٱنْهِيَارُهَا

فَأَوْدَعْتَ فِى ظَلْمَاءَ ضَنْكٍ مَقَرُّهَا * يَلُوحُ عَلَيْهَا لِلْعُيُونِ ٱغْبِرَارُهَا

تُنَادَى فَلَا تَدْرِى المُنَادِىَ مُفْرَدًا * وَقَدْ حُطَّ عَنْ وَجْهِ الحَيَاةِ خِمَارُهَا

تُنَادَى إِلَى يَوْمٍ شَدِيدٍ مُفَزِّعٍ * وَسَاعَةِ حَشْرٍ لَيْسَ يَخْفَى ٱشْتِهَارُهَا

١٠ إِذَا حُشِرَتْ فِيهِ ٱلْوُحُوشُ وَجُمِّعَتْ * صَحَائِفُنَا وَٱنْثَالَ فِينَا ٱنْتِشَارُهَا

وَزُيِّنَتِ ٱلْجَنَّاتُ فِيهِ وَأُزْلِفَتْ * وَأُذْكِىَ مِنْ نَارِ الجَحِيمِ ٱسْتِعَارُهَا

وَكُوِّرَتِ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ بِالضُّحَى * وَأَسْرَعَ مِنْ زُهْرِ النُّجُومِ ٱنْكِدَارُهَا

لَقَدْ جَلَّ أَمْرٌ كَانَ مِنْهُ ٱنْتِظَامُهَا * وَقَدْ حَلَّ أَمْرٌ كَانَ مِنْهُ ٱنْتِثَارُهَا

وَسُيِّرَتِ ٱلأَجْبَالُ وَٱلأَرْضُ بُدِّلَتْ * وَقَدْ عُطِّلَتْ مِنْ مَالِكِيهَا عِشَارُهَا

١٥ فَإِمَّا لِدَارٍ لَيْسَ يَفْنَى نَعِيمُهَا * وَإِمَّا لِدَارٍ لَا يُفَكُّ إِسَارُهَا

بِحَضْرَةِ جَبَّارٍ رَفِيقٍ مُعَاقِبٍ * فَتُحْصَى ٱلْمَعَاصِى كُبْرُهَا وَصِغَارُهَا

وَيَنْدَمُ يَوْمَ البَعْثِ جَانِى صِغَارِهَا * وَتُهْلِكُ أَهْلِيهَا هُنَاكَ كِبَارُهَا

135a سَتُغْبَطُ أَجْسَادٌ وَتَحْيَى نُفُوسُهَا * إِذَا مَا ٱسْتَوَى أَسْرَارُهَا وَجِهَارُهَا

إِذَا حَفَّهُمْ عَفْوُ ٱلإِلٰهِ وَفَضْلُهُ * وَأَسْكَنَهُمْ دَارًا حَلَالٌ عُقَارُهَا

٢٠ سَيَلْحَقُهُمْ أَهْلُ الفُسُوقِ إِذَا ٱسْتَوَى * بِحَلْبَةِ سَبْقٍ طِرْفُهَا وَحِمَارُهَا

يَغُرُّ بَنُو الدُّنْيَا بِدُنْيَاهُمُ ٱلَّتِى * تَظُنُّ عَلَى أَهْلِ الحُظُوظِ ٱقْتِصَارُهَا

هِىَ ٱلأُمُّ خَيْرُ البِرِّ فِيهَا عُقُوقُهَا * وَلَيْسَ بِغَيْرِ البَذْلِ يُحْمَى ذِمَارُهَا

فَمَا نَالَ مِنْهَا الحَظَّ إِلَّا مُهِينُهَا * وَمَا الهُلْكُ إِلَّا قُرْبُهَا وَٱعْتِمَارُهَا

تَهَافَتَ فِيهَا طَامِعٌ بَعْدَ طَامِعٍ * وَقَدْ بَانَ لِلُّبِّ الذَّكِىِّ ٱخْتِبَارُهَا

٢٥ تَطَامَنْ لِغَمْرِ الحَادِثَاتِ وَلَا تَكُنْ * لَهَا ذَا ٱعْتِمَارٍ يَجْتَنِيكَ غِمَارُهَا

وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ مِنْهَا بِمَا تَرَى * فَقَدْ صَحَّ فِي الْعَقْلِ الْجَلِيِّ عِيَارُهَا
رَأَيْتُ مُلُوكَ الْأَرْضِ يَبْغُونَ عُدَّةً * وَلَذَّةَ نَفْسٍ يُسْتَطَابُ اجْتِرَارُهَا
وَحَلُّوا طَرِيقَ الْقَصْدِ فِي مُبْتَغَاهُمُ * لِمُتْبِعِهِ الصِّفَارُ جَمٌّ صِغَارُهَا
وَإِنَّ الَّتِي يَبْغُونَ نَهْجَ بَقِيَّةٍ * مَكِينٌ لِطُلَّابِ الْخَلَاصِ اخْتِصَارُهَا
هَلِ الْعِزُّ إِلَّا هِمَّةٌ صَحَّ صَوْنُهَا * إِذَا صَانَ هِمَّاتِ الرِّجَالِ انْكِسَارُهَا ٥
وَهَلْ رَابِحٌ إِلَّا امْرُؤٌ مُتَوَكِّلٌ * قَنُوعٌ غَنِيُّ النَّفْسِ بَادٍ وَقَارُهَا
وَيَلْقَى وُلَاةُ الْمُلْكِ خَوْفًا وَفِكْرَةً * تَضِيقُ بِهَا ذَرْعًا وَيَفْنَى اصْطِبَارُهَا
عِيَانًا نَرَى هَذَا وَلَكِنَّ سَكْرَةً * أَحَاطَتْ بِنَا مَا إِنْ يُفِيقُ خُمَارُهَا 135b
تَدَبَّرْ مِنَ الْبَانِي عَلَى الْأَرْضِ سَقْفَهَا * وَفِي عِلْمِهِ مَعْمُورُهَا وَقِفَارُهَا
وَمَنْ يُمْسِكُ الْأَجْرَامَ وَالْأَرْضَ أَمْرُهُ * بِلَا عَمَدٍ يُبْنَى عَلَيْهِ قَرَارُهَا ١٠
وَمَنْ قَدَّرَ التَّدْبِيرَ فِيهَا بِحِكْمَةٍ * فَصَحَّ لَدَيْهَا لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا
وَمَنْ فَتَقَ الْأَمْوَاهَ فِي صَفْحِ وَجْهِهَا * فَمِنْهَا يُغَذَّى حَبُّهَا وَثِمَارُهَا
وَمَنْ صَيَّرَ الْأَلْوَانَ فِي نَوْرِ نَبْتِهَا * فَأَشْرَقَ فِيهَا وَرْدُهَا وَبَهَارُهَا
فَمِنْهُنَّ مُخْضَرٌّ يَرُوقُ بَصِيصُهُ * وَمِنْهُنَّ مَا يُغْشِي اللِّحَاظَ احْمِرَارُهَا
وَمَنْ حَفَرَ الْأَنْهَارَ دُونَ تَكَلُّفٍ * فَثَارَ مِنَ الصُّمِّ الصِّلَابِ انْفِجَارُهَا ١٥
وَمَنْ رَتَّبَ الشَّمْسَ الْمُنِيرَ ابْيِضَاضُهَا * غُدُوًّا وَيَبْدُو بِالْعَشِيِّ اصْفِرَارُهَا
وَمَنْ خَلَقَ الْأَفْلَاكَ فَامْتَدَّ جَرْيُهَا * وَأَحْكَمَهَا حَتَّى اسْتَقَامَ مَدَارُهَا
وَمَنْ إِنْ أَلَمَّتْ بِالْعُقُولِ رَزِيَّةٌ * فَلَيْسَ إِلَى حَيٍّ سِوَاهُ افْتِقَارُهَا
تَجِدْ كُلَّ هَذَا رَاجِعًا نَحْوَ خَالِقٍ * لَهُ مُلْكُهَا مُنْقَادَةً وَائْتِمَارُهَا
أَبَانَ لَنَا الْآيَاتِ فِي أَنْبِيَائِهِ * فَأَمْكَنَ بَعْدَ الْعَجْزِ فِيهَا اقْتِدَارُهَا ٢٠
فَأَنْطَقَ أَفْوَاهًا بِأَلْفَاظِ حِكْمَةٍ * وَمَا حَلَّهَا إِثْغَارُهَا وَاتِّغَارُهَا
وَأَبْرَزَ مِنْ صُمِّ الْحِجَارَةِ نَاقَةً * وَأَسْمَعَهُمْ فِي الْحِينِ مِنْهَا حُوَارُهَا
لِيُوقِنَ أَقْوَامٌ وَتَكْفُرَ عُصْبَةٌ * أَتَاهَا بِأَسْبَابِ الْهَلَاكِ قُدَارُهَا 136a
وَشَقَّ لِمُوسَى الْبَحْرَ دُونَ تَكَلُّفٍ * وَبَانَ مِنَ الْأَمْوَاجِ فِيهِ انْحِسَارُهَا
وَسَلَّمَ مِنْ نَارِ الْأَنُوقِ خَلِيلَهُ * فَلَمْ يُؤْذِهِ إِحْرَاقُهَا وَاعْتِرَارُهَا ٢٥

وَنَجَّى مِنَ ٱلطُّوفَانِ نُوحًا وَقَدْ هَدَتْ * بِهِ أُمَّةٌ أَبْدَا الفُسُوقَ شِرَارُهَا
وَمَكَّنَ دَاوُدًا (١) بِأَيْدٍ وَإِبْنَهُ (٢) * فَتَعْسِيرُهَا مُلْقًى لَهُ وَبِدَارُهَا
وَذَلَّلَ جُبَّارَ البِلَادِ لِأَمْرِهِ * وَعَلَّمَ مِنْ طَيْرِ السَّمَآءِ جُوَارَهَا
وَفَضَّلَ بِالقُرْآنِ أُمَّةَ أَحْمَدٍ * وَمَكَّنَ فِي أَقْصَى البِلَادِ مُغَارَهَا
وَشَقَّ لَهُ بَدْرَ السَّمَآءِ وَخَصَّهُ * بِآيَاتِ حَقٍّ لَا يُخَلُّ مُعَارُهَا ٥
وَأَنْقَذَنَا (٣) مِنْ كُفْرِ أَرْبَابِنَا بِهِ * وَكَانَ عَلَى قُطْبِ الهَلَاكِ مَنَارُهَا
فَمَا بَالُنَا لَا نَتْرُكُ الجَهْلَ وَيْحَنَا * لِنَسْلَمَ مِنْ نَارٍ تَرَامَى شَرَارُهَا

هنا اعزّك الله انتهى ما تذكّرته ايجابًا لك وتقمّنًا لمسرّتك ووقوفًا عند امرك ولم امتنع ان اورد لك فى هذه الرسالة اشيآء يذكرها الشعرآء ويكثرون القول فيها موفيات على وجوهها ومفردات فى ابوابها ومنعمات ١٠ التفسير مثل الافراط فى صفة النحول وتشبيه الدموع بالامطار وانّها تروّى السفّار وعدم النوم البتّة وانقطاع الغذآء (٤) جملةً الاّ انّها اشيآء لا حقيقة لها 136b وكذب لا وجه له ولكل شىء حدّ وقد جعل الله لكل شىء قدرًا والنحول قد يعظم و لو صار حيث يصفونه لكان فى قوام الذرّة او دونها ولخرج (٥) عن حدّ المعقول والسهر قد يتّصل ليالى ولكن لو عدم الغذاء اسبوعين ١٥ لهلك وانّما قلنا انّ الصبر عن النوم اقلّ من الصبر عن الطعام لانّ النوم غذآء الروح والطعام غذآء الجسد وان كانا يشتركان فى كليهما ولكنّا حكينا على الاغلب وامّا المآء فقد رأيت انا ميسور البنّآء جارنا بقرطبة يصبر عن المآء اسبوعين فى حمارّة (٦) القيظ ويكتفى بما فى غدائه من رطوبة وحدّثنى القاضى ابو عبد الرحمن بن جحاف انّه كان يعرف من كان لا ٢٠ يشرب المآء شهرًا وانّما اقتصرتُ فى رسالتى على الحقائق المعلومة التى لا يمكن وجود سواها اصلاً وعلى انّى قد اوردت من هذه الوجوه المذكورة اشيآء كثيرة يكتفى بها لئلاّ اخرج عن طريقة اهل الشعر ومذهبهم وسيرى

(١) MS دَاوُدٌ (٢) MS ابنُهُ (٣) MS انقدنا (٤) الغدآ
(٥) MS peu clair. (٦) MS حَمَّارة

كثير من اخواننا اخبارًا لهم فى هذه الرسالة مكنيًّا فيها عن اسمآئهم على
137a ما شرطنا فى ابتدآئها وانا استغفر الله تعالى ممّا يكتب الملكان ويحصيه
الرقيبان من هذا وشبهه استغفار من يعلم انّ كلامه من عمله ولكنّه ان لم
يكن من اللغو الذى لا يؤاخذ به المرء فهو ان شآء الله من اللمم المعفوّ والّا
فليس من السيّئات والفواحش التى يتوقّع عليها العذاب وعلى كل حال فليس ٥
من الكبائر التى ورد النصّ فيها وانا اعلم انه سينكر علىّ بعض المتعصّبين علىّ
تأليفى لمثل هذا ويقول خالف طريقته وتجافى عن وجهته وما احلّ لاحد
ان يظنّ فى غير ما قصدته قال الله عزّ وجلّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا
كَثِيرًا مِنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ (١) وحدّثنى احمد بن محمّد بن
الجسورىّ ثنا ابن ابى دليم ثنا ابن وضّاح عن يحيى بن ملك بن انس عن ١٠
ابى الزبير المكّىّ عن ابى شريح الكعبىّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انّه
قال ايّاكم والظنّ فانّه اكذب الكذب وبه الى ملك عن سعيد بن ابى
سعيد المقبرىّ عن الاعرج عن ابى هريرة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
انّه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا او ليصمُتْ وحدّثنى
صاحبى ابو بكر محمّد بن اسحق ثنا عبد الله بن يوسف الازدىّ ثنا يحيى ١٥
137b بن عائذ ثنا ابو عدىّ عبد العزيز بن علىّ بن محمّد بن اسحق بن الفرج
الامام بمصر ثنا ابو علىّ الحسن بن قاسم بن دحيم المصرىّ ثنا محمّد بن
زكريّاء العلائىّ ثنا ابو العبّاس ثنا ابو بكر عن قتادة عن سعيد بن المسيّب
انّه قال وضع عمر بن الخطّاب رضى الله عنه للناس ثمانى عشرة كلمة من
الحكمة منها ضع امر اخيك على احسنه حتى ياتيك ما يغلبك عليه ولا ٢٥
تظنّ بكلمة خرجت من فى امرء مسلم شرًّا وانت تجد لها فى الخير محملاً فهذا
اعزّك الله ادب الله وادب رسوله صلّى الله عليه وسلّم وادب امير المؤمنين
وبالجملة فانّى لا اقول بالمراياة ولا انسك نسكًا اعجميًّا ومن ادّى الفرائض
المامور بها واجتنب المحارم المنهىّ عنها ولم ينس الفضل فيما بينه وبين الناس ٢٤

(١) 49, 12.

فقد وقع عليه اسم الاحسان ودعنى ممّا سوى ذلك وحسبى الله والكلام فى
مثل هذا انّما هو مع خلآء الذرع وفراغ القلب وانّ حفظ شىء وبقآء رسم
وتذكّر فائتٍ لمثل خاطرى لعجب على ما مضى ودهمنى فانت تعلم انّ ذهنى
متقلّب وبالى مهصّم بما نحن فيه من نبوّ الديار والخلآء عن الاوطان وتغوّل
138a الزمان ونكبات السلطان وتغيّر الاخوان وفساد الاحوال وتبدّل الايّام ٥
وذهاب الوفر والخروج عن الطارف والتالد واقتطاع مكاسب الابآء
والاجداد والغربة فى البلاد وذهاب المال والجاه والفكر فى صيانة الاهل
والولد واليأس عن الرجوع الى موضع الاهل ومدافعة الدهر وانتظار
الاقدار لاجعلنا الله من الشاكين الاّ اليه واعادنا الى افضل ما عودنا وانّ
الذى ابقى لاكثر ممّا اخذ والذى ترك اعظم من الذى تحيّف ومواهبه ١٠
المحيطة بنا ونعمه التى غمرتنا لا تحدّ ولايؤدّى شكرها والكل منحه وعطاياه
ولاحكم لنا فى انفسنا ونحن منه واليه منقلبنا وكل عارية فراجعة الى معيرها
وله الحمد اوّلًا وآخرًا وعودًا وبدأً وانا اقول

جَعَلْتُ اليَأْسَ لِى حِصْنًا وَدِرْعًا * فَلَمْ أَلْبَسْ ثِيَابَ المُسْتَضَامِ
وَأَكْثَرُ مِنْ جَمِيعِ النَاسِ عِنْدِى * يَسِيرٌ صَانَنِى دُونَ الأَنَامِ ١٥
إِذَامَا صَحَّ لِى دِينِى وَعِرْضِى * فَلَسْتُ لِمَا تَوَلَّى ذَا ٱهْتِمَامِ
تَوَلَّى الأَمْسُ وَالغَدُ لَسْتُ أَدْرِى * أَ أُدْرِكُهُ فَفِيمَا ذَا ٱغْتِمَامِ

138b جعلنا الله وايّاك من الصابرين الشاكرين الحامدين الذاكرين امين امين والحمد
لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليمًا كملت
الرسالة المعروفة بطوق الحمامة لابى محمّد علىّ بن احمد بن سعيد بن حزم ٢٠
رضى الله عنه بعد ..... (١) اكثر اشعارها وابقآء العيون منها تحسينًا لها واظهارًا
لمحاسنها وتصغيرًا لحجمها وتسهيلاً لوجدان المعانى الغريبة من لفظها بحمد
الله تعالى وعونه وحسن توفيقه وفرغ من نسخها مستهلّ رجب الفرد سنة
ثمان وثلثين وسبعمائة والحمد لله ربّ العالمين
٢٤

(١) MS illisible.

CORRECTIONS.

Page	Ligne	Au lieu de	Lire
VIII	22	antérieur	postérieur
XI	27	colomniateur	calomniateur
XIV	18	Jûnis	Jûnus
XXVII	2	ignonimie	ignominie
XXVIII	30	du Muhammed	de Muhammed
XXIX	4	assesoir	asseoir
٣	٣	باسم	بسم
٣	٣	رُوحِيِ	رُوحِى
٣	٦	اصف	أصنّف
٤	٣	اوضح	أوْصحّ
٦	٨	وافتتاته	وإفتتانه
٦	١٦	حُلف	خلف
٧	٦	العلوى	العلوىّ
٨	٣	يَمْتَحِنُه	يُمْتَحَنُهُ
٩	٧	واصطكاكهما	واصطكاكهما
١٠	١٥	يَفِرْنَا	يَفِرُّونَا
١٠	٢١	آعْمَلُ	أُعْمِلُ
١١	١٨	يَاَمَلِي	يَأَمَلِي
١٢	١٧	مَجِيئى	مَجِيئِي
١٥	٣٠	بَخَمْرِ	بِخَمْرِ

Page	Ligne	Au lieu de	Lire
١٦	٨	الدُرَّ	الدُرُّ
١٦	٨	التِبْرَ	التِبْرُ
١٦	١٢	يُقَرِّبه	يَقرّ به
١٧	٢	سَارِحَةْ	سَارِحَهْ
١٧	٤	لكنّ	لكن
١٨	١٦	فقطّ	فقط
٢٢	٢٣	بَابَ	بَابُ
٢٢	٢٣	الُمَطاوَلَة	المُطَاوَلَةِ
٢٣	٨	إنّى	إنِّى
٢٤	١٩	يحب	يحبّ
٢٤	٢٢	اثْنَين	اثْنَين
٢٤	٢٣	الأَصّولِ	الأُصُولِ
٢٧	١٨	ذوَاتَ	ذَوَاتِ
٢٧	٢٤	جهنَّمَ	جهنَّمِ
٢٩	٧	فَدَيُتك	فَدَيْتُكَ
٣١	٨	يبْقَى	يَبْقَى
٣٤	٢٢	فَيَاأَصْحَابنَا	فَيَاأَصْحَابَنَا
٣٧	١٥	تَهَازُئًا	تَهَزُّءًا
٣٩	٦	......	وَتَرَى
٣٩	١٦	مُوْبَذِ	مَوْبَذِ
٤٦	٢١	ضربيّة	ضريبة
٤٨	٣	المُسَما	المُسَمَّا
٤٨	٣	يُزُولُ	يَزُولُ
٤٨	٣	بترصيه	بترضّيه

Page	Ligne	Au lieu de	Lire
٤٨	١١	رَدَى	رَدًى
٤٨	١٤	بترضيه	بترضّيه
٤٨	٢٠	رِيْبَةٌ	رِيَبَةٌ
٤٨	٢٢	رُقِّنَا	رُقِّبَا
٤٩	١	مدته	مدّته
٥٠	٢	اضمحل	اضمحلّ
٥٤	١	كَمَوَلِجِ	كَمُولِجِ
٥٤	١	فَسَادِ	فَسَادَ
٥٦	١	يتوقد	يتوقّد
٥٨	١٩	وَدِدْتُ	وَدِدتُّ
٦١	١٢	اليونات	البيوتات
٦٢	٦	لكن	لكنّ
٦٤	٥	اقَمْتُ	أَقَمْتُ
٦٤	٢١	اَلمِيَاهِ	ٱلمِيَاهِ
٦٥	١	ابُ	أَبُ
٦٥	٦	أَلِجَّ	أَلِجَّ 64a
٦٦	٤	لكن	لكنّ
٦٦	١٧	أمرها	أَمرها
٦٧	٢١	مَتَعَهِّدًا	مُتَعَهِّدًا
٦٩	١٦	وزُئِينَ	وَرَتَّيْنَ
٧٠	٢	بعدّه	بعدّة
٧٠	٤	مُسْتَرَدَّه	مُسْتَرَدَّة
٧٠	١٨	دَهْرِى لِىَ	دَهْرِىَ لِى
٧٠	٢٢	مَدَدْتُ	مَدَدتُّ

Page	Ligne	Au lieu de	Lire
٧١	١٩	لِلنُعْمانِ	لِلنُّعْمَانِ
٧٢	١	وانه	وانّه
٧٢	٦	حق	حقّ
٧٢	١٠	لزدتّ	لزدتُّ
٧٦	١٣	يمتّ	تَمَتَّتَ
٧٧	١	فى الافْقِ	فِى ٱلْأُفْقِ
٨١	١٨	عُدْتُ	عُدتُّ
٨١	(note ٢)	superflus	superflu
٨٣	١٦	و........ عَبْرَتَهَا	.... وَعَبْرَتَهَا
٨٤	١١	جُدْتَ	جُدتَّ
٨٤	١٢	فَتَلاَ	تَلاَفَا
٨٤	١٤	جُدْتَ	جُدتَّ
٨٥	٥	ثَبَت	ثَبَتْ
٨٩	١٣	فِى الحِين	فِى الحِينِ
٩٠	٣	رِهِمتَ	رِهِمْتَ
٩١	٧	نَدُ	نَدُّ
٩٩	٧	عَذَاب	عَذَابُ
١٠١	٩	تِصلوه	تَصِلُوه
١٠١	١٦	وَجَدْتُ	وَجَدتُّ
١٠٥	١	يبصرف	ينصرف
١٠٧	٣	لكن	لكنّ
١١٣	١٧	بن	ابن
١١٤	٦	جزأك	جزاك
١١٦	١	احب	احبّ

Page	Ligne	Au lieu de	Lire
١٢٢	٥	ٱلهجْرَانِ	ٱلهِجْرَانِ
١٢٣	٢	تسمّح	نَسْمَح
١٢٥	٨	لاَح	لاَحَ
١٢٩	٢٣	....	يُقْدَرَ عليه
١٢٩	٢٣	مخلف	مخالف
١٣١	٢٢	الهمدانّى	الهمدانىّ
١٣٢	٤	النسائى	النسائىّ
١٣٩	١٣	كُتُبِهْ	كُتُبُهْ
١٤٢	٣	جَم	جَمَّ
١٤٤	١٦	بن	ابن

INDEX DES FRAGMENTS POÉTIQUES.